

سيّد قطب

1906 - 1966

الأعمال الكاملة الشعرية



أن نفسي ليس ترضى أيُّ نفس
تقبل العيش كسكان القبور؟

﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾

مركز الناقد الثقافي

مؤسسة ثقافية فنية مستقلة

دمشق – ساحة عرنوس – بناء واحة عرنوس – بجانب السفارة البلغارية الدور الرابع –

مكتب رقم ١ – ص ب : ٣١٤٩٠

أسس عام ٢٠٠٧ بمدينة دمشق .

– رسالة المركز :

- أن يكون عربياً، مسلماً، إنسانياً، عالمياً، يشع بحروفه الفاهمة حواراً، وتلاقياً، وتعارفاً، وحكمة ..
- محاولة جادة للخروج من القوالب الجاهزة والأفكار المعتادة والقناعات المحنطة .
- الناقد الثقافي لن يكون حبيس منظومة دائرية أو حلقة فكرية مفرغة بل هو إسعاف وإنعاش للفكر والوجدان .

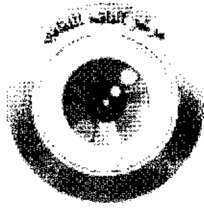
تتم التحويلات المالية باسم مركز الناقد على الحساب التالي :

IN USD ($)

Correspondent bank :	**COMMERZBANK / FRANKFUR**
SWIFT:COBADEFF	BANQUE BEMP SAUDI FRANSI
Beneficiary bank :	(MARKAZ AL NAKED/BBSF)
SWIFT : BBSFSYDA	**(0125719/BBSF)**
Name of the final beneficiary :	
Account number of the final beneficiary :	

IN SAUDI ARAB RIYAL (SAR)

Correspondent bank :	**BANQUE SAUDI FRANSI**
SWIFT : BSFRSARI	BANQUE BEMP SAUDI FRANSI BBSF
Beneficiary bank :	(MARKAZ AL NAKED/BSF):
SWIFT;BBSFSYDA	
Name of the final beneficiary	**(0125719/BSF)**



الناقد الثقافي

الدراية لا الرواية

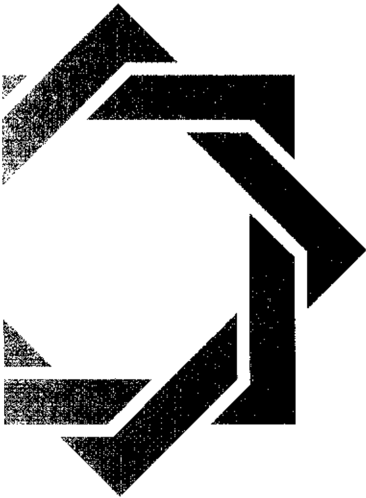
2008

الطبعة الأولى 2008م
ديوان الأعمال الشعرية الكاملة
مع دراسة في أشعار سيد قطب.
المؤلف سيد قطب.
تقديم د. حسن حنفي.
فُسح في الجمهورية العربية السورية
من قبل وزارة الإعلام برقم 96927
بتاريخ 2008/3/4م

سيد قطب

الأعمال الشعرية الكاملة

دراسة في أشعار سيد قطب
تقديم الدكتور حسن حنفي



الشاعر الرومانسي سيد قطب

بقلم . المفكر الفيلسوف

الدكتور حسن حنفي

سيد قطب هو الإمام الشهيد عند الإسلاميين . وهو المفكر الشهيد عند مجموع المفكرين. وهو الناقد الأدبي عند جماهير النقاد، وهو الشاعر الرومانسي المنتسب إلى مدرسة (أبوللو).

والحقيقة أن سيد قطب له جوانب متعددة طبقاً لمراحل حياته. فهو الشاعر الرومانسي فى العشرينيات (١٩٢٥-١٩٤٥)، وكاتب قصص الأطفال.

وهو الناقد الأدبي فى الأربعينيات (١٩٤٥-١٩٥٠) في (النقد الأدبى، أصوله ومناهجه)، (التصوير الفنى فى القرآن)، (مشاهد القيامة فى القرآن).

وهو المفكر الإسلامي في الخمسينيات (١٩٥٠-١٩٥٤) ابتداء من (العدالة الاجتماعية فى الإسلام) (١٩٤٩)، (معركة الإسلام والرأسمالية) (١٩٥٠)، (السلام العالمى والإسلام) (١٩٥١)، (المستقبل لهذا الدين) (١٩٥٣)، و(فى ظلال القرآن) على مدى عشرين عاماً.

والمرحلة السياسية (١٩٥٤-١٩٦٥) وفيها أسوأ ما كتب (معالم على الطريق) الذي كتب وهو في السجن تحت آلام التعذيب الذى يكفّر فيه المجتمع ويقسّمه إلى إسلام وجاهلية، نور وظلام، إله وطاغوت، إيمان وكفر. ولا حوار بين الحق والباطل إلا أن يقضي الحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴿وقُلْ جَاءَ الحَقُّ وزَهَقَ البَاطِلُ إنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ الإسراء١٧/٨١ [1].

---

[1] - حسن حنفي: الدين والثورة في مصر ١٩٥٢-١٩٨١ /٥ الحركات الإسلامية المعاصرة ،القاهرة، مدبولي ١٩٨٨،ص١٦٧-٣٠٠

كان الشعر مرحلة من العشرينيات حتى الأربعينيات لم تستمر. كانت أول قصيدة (وردة ذابلة) عام ١٩٢٥ وآخر قصيدة (أخي) عام ١٩٥٧ أ وهو في السجن. وكانت الذروة في الثلاثينيات خاصة عام ١٩٣٤[١]

كان يمكن تصنيف قصائده طبقاً لموضوعاها، ولكن كان من الأفضل بيان خصائصها الشعرية وموضوعاها. ويتضح سيد قطب شاعر الغزل ثم التأمل ثم الحنين ثم الوصف ثم الرثاء. ولا يأتى شاعر التمرد والوطنيات إلا فى النهاية.

هو شعر تقليدي عمودي وليس شعراً حديثاً. يستعمل الألفاظ العربية غير المتداولة كما هو الحال فى الشعر الجاهلى. يحتاج إلى شرح اللغويين والنحاة. يغلف الروح الرومانسية بغلاف لغوى وغطاء لفظى يمنع من الإحساس الجمالى المباشر بالمضمون الشعرى. قد يرى النقاد فيه بعض الصنعة والتكلف فى الصياغة. ومع ذلك يبدو المضمون الرومانسى واضحاً. لم يدخل معارك الشعر الحديث كما فعل العقاد، وطه حسين، وصلاح عبد الصبور، بل دخلها فى الرواية فى عرضه لثلاثية نجيب محفوظ، وانتصاره للجديد ضد القديم، للعقاد على طه حسين. له قصته مثل (الأيام) لطه حسين وهي (طفل من القرية) و(يوميات نائف فى الأرياف) لتوفيق الحكيم.

وهو شعر عاطفى وجداني رومانسي. ينبع من أعماق النفس (خبيئة نفسى). فالشاعر غريب فى العالم يدعو فى (دعاء الغريب).

يخطو الزمن به وثبا. يتوه فى الصحراء، وتغوص أقدامه فى (أقدام فى الرمال).

---

١ ¯ له فى عام ١٩٣٤ ¯ ٤١- قصيدة.

يحن إلى الماضى وإلى أيام الصبا وتذرف الدموع (الحنين والدموع). ويشعر بالحرمان فى (ريحانتى الأولى أو الحرمان)، والحاجة إلى الإشباع الروحى وإلى (هتاف الروح)، ينبع شعره من أعماق القلب (هدأت يا قلبى). يمجد الإبداع فى الفن والحياة وكما كتب فى ١٩٣١م فى محاضرة قدمها مهدى علام: (مهمة الشاعر فى الحياة). وظل كذلك حتى فى مرحلته الإسلامية عندما كتب (الإسلام حركة إبداعية فى الفن والحياة). ويتردد لفظ (الحياة) عشرات المرات فى قصائده: (خريف الحياة)، (عودة الحياة)، (رسول الحياة)، (سر انتصار الحياة)، (داعى الحياة)، (تحية الحياة)، (حلم الحياة).

وهو شعر واقعى يصف الجوانب السلبية فى الإنسان، وفى الحياة كما يصفها القرآن، ووصف الإنسان بالجدل والتسرع والغرور والجهل والظلم. لديه إحساس بالاضطراب والحنق فى (اضطراب حانق). والأقدار تسخر من الإنسان فى (سخرية الأقدار). والدنيا خراب فى (خراب). والنفس ضائعة فى (النفس الضائعة). والصديق مفقود فى (الصديق المفقود). والغد مجهول فى (الغد المجهول). وهو غريب فى العالم فى (غريب) و(دعاء الغريب). يرثى عهداً ولّى فى (رثاء عهد) و(عهد ذاهب). والشعاع خابٍ فى (الشعاع الخابى). والشاطئ مجهول فى (إلى الشاطئ المجهول). والشاعر فى وادى الموتى فى (السر ... أو الشاعر فى وادى الموتى). والخطيئة تغمر وجود الإنسان فى (الخطيئة). وللقصيدة مصرع فى (مصرع قصيدة).

والخلود خدعة فى (خدعة الخلود). والنظرة موحشة فى (نظرة موحشة). والناس فى خصام فى (خصام). والأفواه ظامئة فى (الظامئة). واللحن حزين فى (اللحن الحزين).

والحب فى مصرع فى (مصرع حب). والحب مكروه فى (الحب المكروه)، والبكاء على أطلال الحب فى (على أطلال الحب). والسلوان أكذوبة فى (أكذوبة السلوان). والكأس مسمومة فى (الكأس المسمومة). والوردة ذابلة فى (وردة ذابلة). والجمال عبث فى (عبث الجمال)، واليوم خريف فى (يوم خريف). والجبار عاجز فى (العاجز الجبار)، والجمال حزين فى (جمال حزين). والهرة سوسو ماتت فى (موت سوسو). وللفاجعة صدى فى (صدى الفاجعة). والبدارى مأساة فى (مأساة البدارى). والحنين يذرف الدمع فى (الحنين والدموع). والحياة نكسة فى (نكسة).

وفى الوقت نفسه هو شعر مثالى يعبر عن حضور المثل الأعلى فى الإنسان، كما هو الحال عند الرومانسيين الألمان فختة وشلنج. يعبر عن الجوانب الإيجابية فى الإنسان كما يفعل القرآن فى بر الإنسان بوالديه. يريد الصعود إلى القمة فى (على القمة). يعشق المحال فى (عاشق المحال). يحقق الحلم القديم فى (حلم قديم) و(جولة فى أعماق الماضى). الشعراء فيه سعداء فى (سعادة الشعراء) و(السعادة حديث الأشقياء). والروح تهتف فى (هتاف الروح). والابتسامة على الوجوه فى (ابتسامة)، والبسمة بعد العبوس فى (بسمة بعد العبوس)، والوجوه طريفة فى (وجوه طريفة). وهناك بعث بعد الموت فى (بعث). والحب حقيقة وتعبير فى (أحبك) و(لماذا أحبك؟) والقبلة نتيجة طبيعية للحب فى (قبلة). والحب رقية فى (رقية الحب)، والحب لا يخطئ فى (عصمة الحب). والخواطر تتوارد فى (توارد خواطر).

وهو شعر إنسانى عام، لا يفرق بين شرق وغرب. إذ لم يبدأ العداء للغرب إلا بعد ١٩٥٠ بعد الصدمة الحضارية إثر زيارته للولايات المتحدة فى بعثة تربوية، والتى كان يكتب في أثنائها الرسائل لشقيقته (حميدة) يصف فيها انطباعاته عن العالم الجديد، والتى جُمعت بعد ذلك فى (أمريكا التى رأيت).

كل أشعاره تجارب إنسانية عامة يمر بها كل إنسان بصرف النظر عن لغته وثقافته ودينه ووطنه وقومه، الموت والحياة، المحبة والعشق، الواقع والحلم، الماضى والحاضر والمستقبل، الزمان والخلود، أطوار العمر، الربيع والخريف، الألفة والغربة، السعادة والشقاء، البسمة والعبوس، الفرح والحزن.

وهو شاعر طبيعة مثل شعراء الطبيعة القدماء والمحدثين، ذي الرمة وشعراء المهجر. ففى الطبيعة جمال، كما أن فى الروح جمال. وللحياة خريفها وربيعها. سقوط أوراقها ونموها فى (نداء الخريف) و(فى ليلة من ليالى الربيع). وما أجمل الليل فى الريف فى (ليلات فى الريف) و(العودة إلى الريف) فى ظلال الأشجار فى (بين الظلال). وما أجمل الطيف وصوت حفيف الأشجار فى (طيف) و(صوت). والصبح يتنفس فى (الصبح يتنفس). والحيوان جزء من الطبيعة مثل النبات. ويبدو ذلك فى قصيدتى (سوسو) و(نوسة)، اسمين لقطتين.

وهو شعر اجتماعى يعبر عن المفارقة بين الريف والمدينة. بالرغم من أن الريف مصدر الإلهام ووحى الرومانسية فى (العودة إلى الريف) و(ليلات فى الريف) إلا أنه أيضا موطن الفقر والبؤس واستغلال الفلاح. فالحرمان هى الريحانة الأولى فى (ريحانتى الأولى أو الحرمان). الناس فى (قافلة الرقيق) يسعون نحو التحرر. السلوان أكذوبة فى (أكذوبة السلوان) و(محلاها عيشة الفلاح، متهنى القلب ومرتاح). وهو ما عبر عنه نثرا فيما بعد فى (العدالة الاجتماعية فى الإسلام) و(معركة الإسلام والرأسمالية)و(السلام العالمى والإسلام)، الشاعر الوطنى الاشتراكى مع (اشتراكية الإسلام) لمصطفى السباعى فى سوريا. ويشعر بضرورة الثورة والخروج من العزلة فى (عزلة فى ثورة). وهو ما تحول عنه أحد تلاميذه إلى «اليسار الإسلامى» عام ١٩٨٠ بعد خمسة عشر عاما من استشهاده.

وهو شعر وطنى يعبر عن الأمانى الوطنية للشعوب العربية، استقلال مصر، ثورة ١٩١٩، سعد العظيم، وحدة مصر والسودان، الجهاد فى فلسطين، انتماء مصر العربى. لذلك أعجب به عبد الناصر فى أوائل الثورة. وأراده رئيسا لهيئة التحرير، أول تنظيم سياسى للثورة. وطلب منه إعطاء أحاديث وطنية فى الإذاعة المصرية. وهو الذى كتب برنامجه الدعوي (دعوتنا) عندما طلب عبد الناصر كتابة الأحزاب لبرامجها السياسية. وسعد العظيم ذكراه خالدة فى (الذكرى الخالدة لسعد العظيم). وهو البطل فى ذكراه فى (البطل) و(ذكرى سعد). وهو (صوت الوطنية). و(مأساة البدارى) تضحية بالمواطنين فى حكومة الظلم. ومصر نبض العروبة فى (إلى البلاد الشقيقة). إنما العيب فى مدح الملك فاروق فى (المهرجان) مهجران العرش والشعب معا (عاش فاروق ودام المهرجان).

وهو شعر يعبر عن الرغبة فى الخلود، وامتداد الإنسان أفقيا بين الماضى والحاضر والمستقبل، ورأسيا بين الزمان والخلود. الزمان يمر فى (مر يوم). ويخطو وثبا فى (خطا الزمن الوثاب). ويصل إلى نهايته فى (نهاية المطاف). وهى محطات أهمها فى سن الثلاثين فى (إلى الثلاثين). ولحظة الانتظار هى لحظة خالدة ينكشف فيها الخلود فى الزمان فى (الانتظار الخالد). ويعود إلى الماضى فى (جولة فى أعماق الماضى) و(الماضى) و(عهد الصغر) و(رثاء عهد) و(عهد ذاهب) و(الذكرى الخالدة لسعد العظيم) و(ذكرى سعد). فالغد مجهول فى(الغد المجهول).

ولا يوجد دين مباشر فى المرحلة الشعرية. كان الدين مجرد صور فنية، معانى علمانية للمعجزة واليقين والحب والشكر والصلاة والوحى والجنة. لا عقائد ولا شعائر ولا إلهيات، بل أخلاقيات وعمليات وإنسانيات. تذوق الجمال عبادة جديدة، والتسبيح لعينى الحبيب. يرفع الروح إلى السماء. وهتف الروح. والدعاء للغريب. وهبل رمز الجهل فى (هبل... هبل)، استدعاء للجاهلية. والبعث للوجدان والضمير والحياة كما هو الحال

فى رواية تولستوى (البعث)، بعث أمة لطرد المحتل. والحياة لها رسول فى (رسول الحياة) والإلهام (وحى جديد)، ولقاء الحبيبين (وحى لقاء) و(وحى الخلود). للأقدار سخرية فى (سخرية الأقدار)، وليست موضوعا للإيمان كما هو الحال فى عقيدة القضاء والقدر. والمعجزة هى الفعل البطولى فى (المعجزة أو السهم الأخير). و(الجبار عاجز) أمام دفعة الحياة. و(الوادى المقدس) فى الأرض وليس فى السماء.

إنما قسوة التاريخ وظلم الشاعر والناقد والمفكر هو رده إلى مرحلة واحدة بعد ١٩٥٤ ونسيان ربع قرن من الإبداع الشعرى والنقدى والفكرى ورده إلى كتاب واحد (معالم على الطريق) الذى هو حرقة سجين مظلوم ومعذب بريء. وقد نسيت جماعته أيضاً المراحل الثلاث الأولى، ولم تتذكر إلا المرحلة الرابعة، باستثناء المخلصين له الذين تعلموا على يديه، وعرفوه مفكرا وثائرا ووطنيا باسم الإسلام. ولولا دخوله السجن فى ١٩٥٤ وتعذيبه لما كفَّر المجتمع فى (معالم على الطريق)، ولولا سفرى إلى فرنسة وعودتى بعد عشر سنوات وعيشى فى جو طبيعى لما كتبت (من العقيدة إلى الثورة)، ولا (من النقل إلى الإبداع)، ولا (من النص إلى الواقع)، ولا (من الفناء إلى البقاء)، ولا (من النقل إلى العقل). ولولا الصدمة الحضارية التى تلقاها من بعثته إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٠ لما كتب (خصائص التصور الإسلامى ومقوماته) ردا على (الإنسان ذلك المجهول) لألكس كاريل. وهو ما تطور بعد ذلك فى (مقدمة فى علم الاستغراب). ويتم استئناف (فى ظلال القرآن)آخر ما وصل إليه علم التفسير من تطور فى (الموقف من الواقع) أو نظرية التفسير، الجبهة الثالثة من مشروع (التراث والتجديد) بجبهته الأولى موقفنا من التراث القديم، وجبهته الثانية (موقفنا من التراث الغربى).

واليوم يرد – مركز الناقد الثقافى– الاعتبار لسيد قطب شاعرا عسى أن يُرد إليه نفس الاعتبار ناقدا ثم مفكرا ثم سياسيا وتنتهى أسطورة (معالم على الطريق). فنفسية السجين استثناء فى حياة الشاعر الرومانسى، والناقد الأدبى، والمفكر الحر[1].

[1]– ما أرى هذه المرحلة إلا نتيجة طبيعية للسقوط في وهَدة المؤامرة، والانزلاق إلى مهاوي الفتنة، ومن ثم الاحتراق بأتّون الحقد. من طرفي الأمة وجناحيها آنذاك، اللذين كان عليها المعوّل لو تابعا مسيرتهما معاً، كما بدأاها، التيار الإسلامي والتيار القومي المعتدل وما وصلت إليه أمتنا اليوم يؤكد أن المؤامرة يومذاك كانت كبيرة ومحكمة، بجتر عذاباتها وتنائجها المرة، والمأمول اليوم أن يدوم هذا التصالح وهذا الوعي، بل وهذا الانسجام بين التيارين في وجه العدو المشترك ..... الذي لم يتغير . (الناشر)

المقدمة
بقلم الناقد سيد قطب

أعرفُ مؤلَف هذا الديوان؛ معرفةً وثيقةً عميقة، قد لا يتأتى لأيّ سواى أن يعرفَها ! ولقد صاحبتُه زُهاء سنوات عشر أو أكثر قليلاً، وراقبتُ خوالجَه[1] وسَرائرَه وخَبَرْتُ اتجاهاته وميولَه، وكونتُ لي رأياً عنه، أقربَ ما يكون إلى حقيقته.

ولقد كان يَشْجُرُ بيننا الخلافُ على كثير من الخَوالج والقصائد، ولكننا كُنَّا نلتقي عن قريب أو بعيد، إلا أمراً واحداً،لا نزال مختلفين فيه أشدَّ الاختلاف.

ذلك أنه راضٍ عن مجموعة هذا الديوان، أمّا أنا فلستُ راضياً عنها إلا بمقدار وما أزال أتطلعُ إلى مُثل عُلْيَا، كما آخذُ عليه بعضَ أنواع الضعف والخطأ. وما يشبه الضعفَ والخطأ في بعض الأفكار وبعض الألفاظ !

وفي هذه المقدمة؛ سأستعرض آراء الشاعر واتجاهاته، ثم أذكر مآخذه وعيوبه، محاولاً ألا تؤثر صحبتي الطويلةُ له، والصداقةُ العميقة بيننا؛ في تحليلي لديوانه!!

الشعر والنظريات العلمية والفلسفية

في الفصل الأول من هذا الديوان، وفي كثير من قصائد الفصول الأخرى، تُطالع للقارئ، نظرياتٌ علميةٌ وفلسفيةٌ كثيرة، ولكنها لم تحتفظ بِسَمْتها[2] العلمي وشخصيتها المحددة، بل استحالت صورةً من صور الشعر، فيها موسيقيته وعليها مِسْحَتُه؛ ولها سِحْنَتُه[3].

١- خوالجه: خواطره ونزعاته.
٢- السَّمْتُ: الطريقة
٣- السحنة: الهيئة واللون.

وليس هناك عداء بين الشعر وبين الفلسفة والعلم، فليس الثلاثة أنداداً[(1)] حتى يَشْجُرَ بينها العداء!

إنما الشعرُ أوسعُ مجالاً من العلم؛ ومن الفلسفة أيضاً، ولن يَعْسُر عليه، حين يبلغُ حداً مُناسباً من النُّضُوج؛ أن يلتهمهما جميعاً، ويَعتصرهما دماً، ويُمثّلهما غذاءً، يُقوّى من بنْيَته؛ إن لم يُحسّ بوجوده!

ولن ننكر على الشعر إلمامَه بالحقائق العلمية والفلسفية فيما يُلمُّ به من حقائقَ أخرى تُناسبَ طبيعَته؛ إلا إذاَ قَصَرْنا طرق المعرفة على القُوى الواعية في الإنسان، وهذا مبدأ لم يسلم من المآخذ، حتى في أكثف العصور مادية، وكثيرٌ من مدارس السيكلوجية[(2)] الحديثة، تحسب للقوى المجهولة في النفس الإنسانية حساباً كبيراً، وفي مقدمتها ((مدرسة التحليل النفسي)).

وهأنذا ألخصُ بعض هذه المسائل، التي تَعرضُ للقارئ في هذا الديوان، والتي أدركها الشاعر بالإحساس والتأمل تارةً، وبالاستغراق والتجرد تارةً؛ فالتقتْ بعد ذلك بنظريات علمية وفلسفية مقررة، واتفقتْ معها؛ أو اختلفت، لأنها لم تتقيد بها، ولَم تأتَ عن طريقها وحده.

الجسم والعقل والروح:

القول بالتباين بين الجسم والروح، قديم متداول في الفلسفة القديمة، والشاعر ميال إلى الأخذ بالروح العامة لهذه الفلسفة القديمة، وإن لم يأخذ بنصوصها في الفصل بين هذين العُنْصرين، لاعتقاده بوحدة الوجود.

وبالتحديد يرى أن هناك شيئين متميزين جسماً وروحاً ولكن بينهما اتصالاً...

أما ما يستحق الالتفات فهو أنه يُفرق بعد ذلك بين القوى العقلية؛ والقوى الروحية في الإنسان، وبتعبير أدق بين القوى الواعية، والقوى المُلْهِمَة -وليست هي الغرائز- القوى المجهولة الكنه والوظيفة، والتي تعمل دوَن شعور بها؛ للسمو بالإنسانية.

1- النِّدُّ: المِثْلُ والنظير.

2- السيكولَوجية: علم النفس

ويرى أن العقل يستطيع أن يكفل للإنسانية حياتها اليومية وما يقرب منها، ولكنه يقصر عن اتصالها بالمثل العليا الغامضة، وبالعوالم المجهولة، كما يقصر عن إدماجها في الوحدة الكونية الكبرى، والحقيقة الثابتة المتصلة، التي تبعد عن الفواصل من أمثال ((قبل وبعد. ماض وحاضر ومستقبل أنا وغير)).. إلخ.

وفي قصيدة الشاطىء المجهول؛ وهي أولى قصائد الديوان تفصيل لهذا البحث، كما أن فيها ظاهرة أخرى؛ وهي عدم ثقة الشاعر بالقوى الواعية؛ وشدة إيمانه بالروح وما يتصل بها من بداهة[1] واستغراقٍ، وتجردٍ؛ وصوفية.

لقد حَجبَ العقلُ الذي نستشيرُه   حقائق جلَّت عن حقائقنا الصُّغرى

هنا عالم الأرواح فلنخلع الحجا[2]   فنغنمَ فيه الخلدَ والحبَّ والسحرا

الجسم والزمن والوحدة:

القوى الروحية – عند الشاعر – هي التي تربطه بالوحدة الكونية الكبرى كما تقدم، في حين تقصر القوى العقلية عن ذلك، وهو يرى أن الشعور بالزمن؛ نتيجة لوجود الجسم والقوى الواعية؛ وأن الروح تحس بالوجود المطلق؛ لا يقيده الزمن؛ وبالبداهة لا يقيده المكان.

ولذلك فهو حينما خلع الجسم وخلع الحجا في الشاطىء المجهول رأى أن ليس هناك (حيث) ولا (أمس) ولا (اليوم) ولا (الغد) ولا (غير) ولا (أنا)... إلخ.

ولكنه رأى الأزمان كالحلقة الكبرى ورأى (الوحدة التي احتجبت سراً). وكذلك في قصيدة الليلات المبعوثة حين تجرد لم ير للزمان معلماً ولا رسماً ورأى كل شيء كرمز الدوام.

١ – البداهة: أول شيء، وما يُفجأ منه

٢ – الحجا: العقل

وقد يكون لهذا الإحساس علاقة بنظرية النسبية لأنشتين، كما قد يكون له علاقة بنظريات التصوف الإسلامي، ولكنه الإحساس المستقل للشاعر؛ الذي يشعر به، ويكرره في كثير من قصائده.

ويبدو شعوره بالوحدة الكونية بشكل واضح في (قصيدة الإنسان الأخير)؛ حين يستيقظ والكون قد خلا من الأحياء.

ففي نفسه ما يشبهُ الموتَ سكرةً ... ومن حوله موتٌ نَمتْهُ المقابر

وفي نفسه من مثلها كلُّ ذرَّةٍ ... فهاتيك أشلاءٌ وهذى خواطر[1]

وفي قصيدة (خبيئة نفسي)[2] إذ يقول:

خبيئة نفسي في ثناياك معرضٌ ... لما لقَيتْهُ الأرضُ في الجَولَانِ

وإنك طلسَمُ الحياةِ جميعِها ... وصورتُها الصغْرى بكلِّ مكان[3].

ويبدو شعوره بوحدة الإنسانية؛ في مواضع كثيرة منها أن يجعل الإنسان الأخير يحاول كشف أسرار الغيب إكمالاً للجهاد الإنساني لهذه الغاية:

فياليته يدري بما خلف سِتْره ... فيختِمُ سفرَ النَّاسِ في الكون ظافرٌ[4]

وفي قصيدة (التجارب) يبدو إيمانه بوحدة الشعور، فقد صور شقّياً وهب ماضياً سعيداً؛ فلم يطق عليه صبراً، وعاد ماضيه الشقى توحيداً لشعوره!

الإحساس بالزمن، ومحاولة الخلود

تبدو ظاهرة؛ تستحق الالتفات في شعر هذا الديوان، فكثير منه، يدل على إحساس متيقظ بالزمن ومروره والأسف على انقضائه؛ والتنبه إلى قصر الحياة؛ ومحاولة خلودها أو امتدادها على الأقل.

١- أشلاء: مفردها شِلْو، والأشتلاء: أجزاء الجسم بعد الموت والبلى.
٢- خبيئة: المَخْبُوء
٣- الطلسْم (في علم السحر): الشيء الغامض.
٤- السِّفرُ: الكتابُ

ويملأ الإحساس بالزمن كثيراً من فصول الديوان المختلفة؛ ففي فصل (الظلال والرموز) يبدو هذا الإحساس على أشده في قصيدة (البعث).

هكذا عشْتُ كسـكّانِ القبور في ربيـعِ العمـر؛ في العهـد النَّضِرْ

آهِ لو أَسـطِيعُ للماضي الحسيرِ رجعـةً، من بعد مـا جـاء وَمرْ[1]

كنتُ أُحييه كما يُحْياَ الشُّبابُ نابضـاً بالحـبّ؛ جيـاشَ الأمـاني

ممسكاً أهدابُه خوفَ الذّهاب! مُسْـتعزاً فيـه حـتّى بالّثـواني[2]

وفي فصل (الصور والتأملات) تجده جازعاً آسفاً على أنه مر يوم من حياته.

لم تكن فيه حياةٌ أو أمل أو تمتُّعْ

وهْوَ محسوبٌ علينا في الأجَلْ فَهْو أَضْيَعْ

وكذلك تجده ينادي ليلات الريف في لهفة ((إيه ليلاتنا،اخلدي، لا تغيبي))!

وفي فصل الغزل والمناجاة تجده يتحدث عن الحياة الغالية فيقول.

واليـومَ آسـفُ للدَّقائـقِ تنطوي من عمـريَ الغالي الثّمينِ الطّيبِ

واليـوَمَ أرقُبهـا وأرقـبُ خَطْوَها فأعيشـها مثلـين بعـد ترقبي!

وفي مواضع أخرى كثيرة.

وليس غريباً؛ أن تلمح اعتزازه بالماضي وأسفه عليه متفشياً في معظم فصول الديوان، فهو تتمة لهذا الإحساس الغريب بالزمن.

١- الحسير: المنصرم

٢- أهدابه: أطرافه

وهو لهذا يحاول الخلود، ويسلك إليه طرائق شتى فتارة يعتصم بالحب:

وغنـــاءٌ عـــن الخلـــودِ غرامٌ هـــو رمـــزٌ ووَصْلـــةٌ للبقـــاءِ

وتارة يلجأ إلى الريف؛ لأن مظاهر الدوام والاستقرار فيه؛ تخفف حدة الشعور بمرور الزمن:

يا ريفُ فيك من الخلود أثارَةٌ تنســـابُ في خَلَـــد وفي أَوْهامـــي[1]

فإذا أعياه ذلك؛ وأعيا طبيعـــة الخلق، فهو يتعزّى بأخيه؛ ويهدي إليه الديوان لأنه امتداده في الحياة:

تمنيـــتُ ما أعيـــا المقاديرَ إنّمـــا وجدتُـــكَ رمزاً للأمـــاني الصّوادفِ
فأنـــت عزائـــي في حياةٍ قصـــيرةٍ وأنت امتـــدادي في الحيـــاةِ وخالفي

المجهول:

يملأ الشـــغف بكشف (المجهول) والحديث عن (السر) حيّزاً كبيراً من الديوان؛ ويمد جناحيه على حيز آخر، ومن هنا جاء اسمه.

ولعلها محاولة من محاولات الخلود، أو تعميق الحياة وتمديدها؛بمعرفة عوالم ومصائر مجهولة، يضيق الجهل بها أفق الحياة.

أم لعلها نتيجة للفصل بين أجزاء الكون والحياة، بهذا الجسم الذي لا بد له من الفواصل والحدود مع شـــوق القوى الروحية، إلى العوالم المجهولة، التي حجبها الجسم والقوى الواعية.

وعلى أي حال فالحديث عن المجهول يأخذ صوراً متعددة، ويشـــغل مكاناً كبيراً من اهتمام الشاعر، حتى لقد يلّح عليه في فصل (الغزل والمناجاة) في قصائد كثيرة.

١- الأثارة: البقية

ملكة التصوير وروح القصص:

يتبين للناقد، أن الشاعر في هذا الديوان؛ يقف موقف المصور في كثير من القصائد؛ حتى لا تكاد تخلو قصيدة من تصوير.

وقد يزيد على الصورة الصامتة في كثير من الأحيان حركة نابضة؛ والأمثلة على ذلك في (الشعاع الخابي. وخراب. والصحراء. والإنسان الأخير. وخريف الحياة. والجبار العاجز. وناحت الصخر) لا بل الأمثلة هي هذا الديوان كله، فهو متحف صور، قبل أن يكون قصائد شعر!

ولكن أي تصوير؟

إنه التصوير الهادىء؛ الغامض. فالهدوء والغموض هما اللذان يثيران في الشاعر خاطر التصوير، بل خاطر التعبير، وهو يهرب من الضجة كما يهرب من الوضوح، فإذا اضطر لملابستهما، فهو يعيش فيهما، ولكن لا يعبر عنهما.

ولقد لاحظت أن ألوان ملابسه جميعاً تتفق مع هذا الميل، وكذلك ألوان الأزهار التي يألفها؛ والمناظر التي يفضلها.

وهو مصور حسّي في بعض الأحيان. كما قد يصور الحركات الفكرية ويجسمها، أو الخواطر النفسية؛ ومنها ما يجول في نفسه هو؛ فتعجب لهذا (الوعي الفني) الذي يستطيع مع تصوير خلجات نفسه تصوير (المنتبه) لها في حركتها الداخلية المستمرة كما في (خبيئة نفسي، والنفس الضائعة، والغد المجهول، وغريب) وسواها.

وكذلك تجد روح القصص واضحة ومتفشية في كثير من المواضع، وهو يرمز للفكرة بقصة صغيرة، أو حوار كما في(التجارب) وفي (الصحراء) أو يجعل بعض القصيدة قصصاً، لتصوير موقف من المواقف.

موسيقية الديوان:

منذ عهد قريب جداً، كشفت عن ظاهرة تستحق التسجيل، ذلك أن لوناً من ألوان الموسيقا؛ يتفشى في هذا الديوان كله؛ على اختلاف أوزانه وموضوعاته.

ويجب قبل الحديث في هذا، أن أذكر أن موسيقا القصيدة؛ غير وزنها.

فالوزن يتحقق بأيِّ الألفاظ؛ ولكن الموسيقا؛ كما تعتمد على الوزن؛ تعتمد على الألفاظ والتراكيب الخاصة.

هذه هي الموسيقا السمعية، ولكن هناك موسيقا أخرى أرقى، وهي الموسيقا الفكرية؛ ثم الموسيقا الروحية.

وتتحقق الأولى بالوزن والألفاظ، والثانية بتسلسل الفكرة وتلاؤم أجزائها، والثالثة بالجو العام الذي يحس به القارئ للقصيدة. وما من شك في أن جواً نفسياً خاصاً يحف بالقارئ دون أن يحدد أسبابه.

وهذه الموسيقا الروحية هي التي أعنى أنها واحدة في الديوان، وهي من لون واحد. لون الموسيقا الصعيدية! موسيقا أولئك (الصعايدة) الغرباء؛ وهم يرتلونها في نغم رتيب، فيه شجو[1]. وفيه ألم، وفيه حنين. ولكن فيه كذلك رجولة وخشونة وروعة.

وتعليل هذا من الوجهة العلمية سهل. ونظرية (العقل الباطن) تفسره فقد اندست[2] هذه الألحان في نفس الشاعر وهو طفل في (موشا) وهي قرية من قرى أسيوط وهو يقول عن هذا الريف:

إني فقدتُــك في الطُّفولـــةِ غافلاً   عمَّا حويْتَ من الوجود السّـــامي

لكن وجدْتُــكَ إذْ كبِرْتْ بخاطري   رمـــزاً أُحيـــطَ بغمْـــرةِ الإبهـــام

١- الشجو : الحزن

٢- اندست: دخلت في خفاء واستتار

التعبير:

تبدو في هذا الديوان صورة واضحة للتعبير الدقيق المصور للأفكار؛ وأضرب مثلا لذلك بقصيدة (في الصحراء) فهناك نخلة ملت الحياة التي لا تعرف سرها (يرمز بها إلى الأحياء جميعاً) فهذه النخلة تقول لأختها:

مُنذُ مَا أُطْلِعْــتُ في هذا الخَرابِ   وأنــا أسْــألُ: مــا شَــأْنِي هُنا؟

ولو قال: ((منذ مَا طلعتُ)) لذهبت قيمة التعبير المصور لحالة هذه النخلة التي أُرْغِمَتْ على الحياة ((فَأُطْلِعَتْ)) دون إرادتها؛ و لم ((تَطْلُعْ)) هي بمشيئتها.

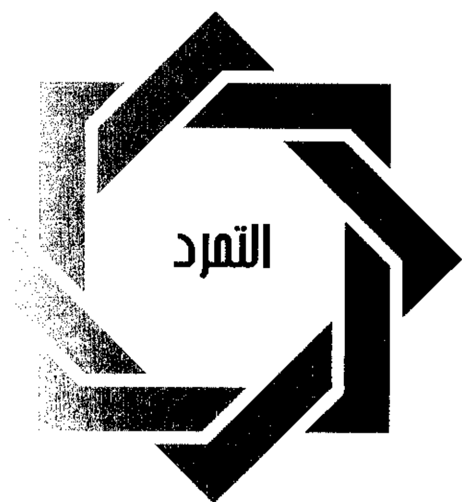
ومثل هذه الدِّقة كثير في الديوان إلا أن هذا لا ينفي أن هناك ضعفاً في بعض التراكيب؛ وخَطَأً في بعض الألفاظ وإن تكن معدودة.

والذي يستحقُّ التنبيه أن هناك جُرْأَةً في الاشتقاق، قد تُؤدي إلى الفوضى، وقد يستغلُّها العاجزُون في اللغة استغلالاً...!

خاتمة:

وبعدُ: فهناك مَباحثُ طويلةٌ عن بقية فصول الديوان لا تتسع لها المقدمة ولا سيما فصل سيد (ا لغزل) وفصلُ (الوطنيات) أتركها للقراء..[1]

١- اعتمدنا في طبعتنا هذه على نسخة مصرية قام بإعدادها الأستاذ عبد الباقي محمد حسين تمامي،والنسخة تستحق التقدير فقد بذل جهداً ملحوظاً استفدنا منه في طبعتنا هذه فالشكر الجزيل له.



إنَّ نفسي ليس ترضى: أيُّ نفسٍ

تقبلُ العيشَ كسُكّانِ القبورْ؟

عزلة في ثورة!!!!*

حَدثيـــني أنْــتِ يــا نَفْسِـــي فما أفهـــمُ العَالَـــم أو يَفْهَمُنـــي
إنـــني أنكرَتُــه اليـــومَ كمـــا أنـــه بالأمـــسِ قَـــدْ أنْكَرَنـــي
لم أجـــدْ في الكـــون إلا أَلَمـــا إنمـــا الوَحْـــدَةُ أصلُ الشَّـــجَنِ
* * *
وَحْـــدَةُ الأرواحِ أنْكَـــى الوَحَدَاتِ وَحدةُ الأجسام تُنْسَـــى وتَهوُنْ[1]
أيُّ بُؤْســـي تســـتحثُّ الذكرياتِ كانفراد الرُّوح في وادي الشُّجُونْ
إنَّ رُوحي قد تَناسَتْ ((خُذْ وهَات)) وانزوت في عالمٍ جَمِّ السُّـــكُونْ[2]
* * *
لم أجـــدْ قلبـــاً إذا ارتعـــتُ خَفَق خفقة الحُـــبِّ بوحْيً صـــادقِ[3]
وإذا شـــذَّ فـــؤادٌ فَصَـــدَق أتبـــعَ الحُـــبَّ بغَـــدْرٍ مَاحِـــقِ[4]
وفـــؤادي يَتنُـــزى° في حَـــرَقٍ وَاجِفـــاً مِنْ كلِّ حَـــدسِ طارِقِ[5]
* * *
وحبيبٍ قَـــدْ سَـــمَتْ رُوحِي إليه وعبـــدتُ الطُّهْـــرَ فيـــه والجَمَالْ
ووقفـــتُ النفـــسَ والفكـــرَ عليه والأمـــانيَّ وأطيـــافَ الخَيـــالْ
ورأى مِـــني أســـيراً في يَدَيـــه فتولّـــى لاهِيـــاً عـــني ومَـــالْ
* * *

لم أجـــدْ في الكـــونِ ما أنْشُــدُه مَثَــلاً أعْلــى فــأرْوِي ظَمَئــي

وإذا صــوّرتُ مــا أقصــدُه بُهِــتَ النــاسُ لهــذا النَّبَــأِ

وتولّــى بعضُهــم يَنْقُــدُه جاهــداً والبعضُ يَــروِى خَطَئِى

* **

وتقاليــدٌ وأسْــرَى يَعْبــدُون هــذه الأصنــامَ مُغْلُــولي الفِكَرْ

وإذا ثــرُتُ عليهــا يَسْــخَطُون ويقولــون تَمــادَى وكَفَــرْ!

وَيْحَهــم مــاذا تَراهــم يبْتَغُونَ؟ أَتُرى نحيا شُــخوصاً مِنْ حَجَرْ؟!

* * *

إنْ ذكــرتُ الحُبّ قُدْسِــياً نَقيا حسَــبُوه من خَيــالِ الشُّــعَراءْ

إنــي أُدْرِكــهُ رُوحــاً خَفِيــا يَهْبِــطُ الأرضَ ومَأواه السّــمَاءْ

وهــم يَبْغُونَــه إثمــاً فَريــا يُرْتَــدَى في أثْــوابِ البغــاءْ!

* * *

أتُــرى أحيــا بُــروحٍ لا تَحِس وفؤادٍ ليــس يَدْرِى مَا الشُّــعورْ؟

أكتمُ الأنفــاسَ إن جَالتْ بِحسّ ثُمّ أبْقَــى صخرةً بــين الصُّخُورْ؟

إنّ نفسِي ليس تَرضَى: أيُّ نَفسٍ تقبــلُ العيــشَ كسُــكّانِ القُبُورْ؟

حدثيــني أنــتِ يــا نفــسُ إذَن واتركــي العَالَمَ في الكَــوْنِ يَمُوجْ

واعشَـــقي كلَّ جمـــالٍ يُفَتَتَـــنْ   واضـــحِ الطَّلعـــةِ بَسَّـــامٍ بَهيـــجْ
وخُـــذِي مَا شِـــئتهِ مـــن كلِّ فَنّْ   ودَعِي مَنْ هَـــاجَ في الأرض يَهيج!

* * *

حَلِّقـــي يـــا نفـــسُ في كلِّ فَضَاءْ   واهبِطي بـــينَ الأقاحـــي والزُّهُورْ
واسمَعي ما شـــئتِ مِنْ عَذْبِ الغنَاءْ   حينمـــا تَهْتِـــفُ باللّحْـــنِ الطُّيورْ
إنمـــا الكـــونُ ومَـــنْ فيـــه هَبَاءْ   بعدمَا يَرْضَى عـــن النفس الضَّميرْ

* * *

حَدِّثـــي يـــا نفـــسُ إني لَســـميعْ   إنْ لَهـــا النـــاسُ ولم يَسْـــتَمعُوا(١)
وَصِفي إحساسَـــكِ السّامي البديعْ   ودَعيهم حيـــثُ هُمْ قَـــدْ وَدَّعوُا
وإذا الألفـــاظُ أعيـــتْ، فالدموعْ   فـــإذا جَفَّـــتْ، فخفْـــقٌ يُسْـــمَعُ

* * *

أقفـــرَ العَـــالَمُ مـــن كلِّ سَـــميرْ   يُبْعِدُ الوَحْشَـــةَ عَنّي غيرَ نَفْســـي
فليَفِضْ ما جَاشَ فيها من شـــعورٍ   ولتكـــنْ إلْفِي ومَنْ أرجُو لأُنْســـي
وَحْـــدَةٌ فيهـــا هُدوءٌ وســـرورْ   ومناجـــاةٌ، فيا نَفْســـي لتَأسّـــي

* * *

١– لها الناسُ: تشاغلوا

إضطراب خانق*

أحيــاةٌ أمْ نــارُ الجحيــم بِلظَاهَــا الهائــج المُسْــتَعِرْ؟[1]
لا. ففي نفسي من الشّجْو الأليم من حَيــاتِيَ فَــوقَ مَــا في سَــقَرْ!

* * *

آه. لا شَــكْوى ولا بَثَّ شَجَنْ لا أريــدُ الضعــفَ. كلا. لا أريــدْ
ســوفَ لا يظهرُ مــني مَاكَمُنْ فليشــدَّ الخَطْــبُ إنّي لَشــديدْ[2]

* * *

ولمن أشــكوُ إذا شئتُ الشّكَاه؟ ولمن أســطيعُ إيضــاحَ شُــعوري؟
أيــنَ مَن ينظــرُ منّي مَــا أراه في شــعوري، غيرَ نَفسي وضَميري؟!

* * *

أُغْــرُبي عَــني بعيداً يــا حَيَاتِي قــد كَرِهــتُ العيشَ في جَــوٍّ قَذِرْ!
أُغْربُــي محفوفــةً باللعنــاتِ آبعُدي عن سَــاخَطٍ جهمٍ ضَجِرْ![3]

* * *

لا فِــراراً من جهــادٍ كالجَبَانِ لا. فمــا كنــتُ جَبَانَــا أَحْــذَرْ!
إنمــا أَنْــتِ ســبيلٌ للهــوانِ لســتُ أَرْضَــاه ونَفْسِــيَ تَشْــعُرْ

* * *

---

*نشرت في نيسان (إبريل) ١٩٢٩م

١- المستعر: المتوقد، المشتعل

٢- كَمُنَ: اختفى

٣- الجهم: عابس الوجه، ضجر ضاق وتبرم

أأنَاسًا أرى أم حَشَراتٌ شَوَّهَتْ من طَلْعَةِ الكونِ الجميلْ؟
يُشْبِهونَ الناسَ في تلك السِّماتْ بينما أنْفُسُهم رِجْسٌ يَسيلْ!

* * *

حَقَروا الكونَ وأغراضَ الحياةْ حَسِبُوها دَنَساً في دَنَسْ
وصَغاراً ليس يَرْضَاه إلهْ وَهَبَ الأرواحَ نُورَ القَبَسْ![1]

* * *

إنَّهم لَم يَعرِفُوا معنى الجمال إنّهم قد جَهِلُوا سِرَّ الوجُودْ
وإذا طَالَعَهم طيفُ الكمال لائحاً يهفُو، تولَّوا في جُمُودْ

* * *

فَهِمُوا العيشَ طَعاماً وشَرَاباً ورَواحاً حيثُ شَاؤوا وغُدُوَّا
أنفسٌ كالكهفِ ما زالت خَرَاباً من شعورٍ يُلْهِمُ النفسَ السُّموّا

* * *

فإذا حدثتَ عن طُهْرٍ بديعْ وشعورٍ يَغْمُرُ النفسَ بَراءْ[2]
أَدْرَكُوه سَافِلَ الشأنِ وَضِيعْ وهو أسمى ما استطاعتْه السّماءْ!

* * *

١- القبس: النار أو الشعلة
٢- براء: خالص (بعيد عن الشبهات)

حَقَــرُوا العِفَّــةَ والحِــسَّ البَراءْ حَقَــرُوا الرُّوحَ وهَامُوا بالجُسُــومْ
حَقرُوا الإخلاصَ مَحْضــاً والوفَاءْ ورَأَوْا في النفــس مَحْيَاهــا الذَّمِيمْ

* * *

أئِــذا مــا أخلــصَ الــودَّ فُؤادٌ لفــؤادٍ مُخْلِــصٍ، فَائتلَفَــا
لم يكــنْ ذلــك إلا لِفَســـاد يَثْلَمُ العِرْضَ ويُؤذِي الشَّــرَفا؟[٣]

* * *

لا. فمــا أقْفَــرَ هاتيــك النفوسْ لا. فمــا أجْمــدَ ذياك الشُّــعُورْ
إنَّ وَجْــه الكــونِ مُغْبَــرٌّ عَبُوسْ بِهمُــو. فَلْيَغْرُبُــوا عنــه يُنِــيرْ!

* * *

---

[١] – يثلم: يجرح، يحدث فيه نُدبةً

زفرات جامحة مكبوحة *

اذهــبْ وخلِّفـني هنــا متألمــاً لا تلقــني سمحــاً ولا مُتجهِّمــا
اذهبْ وخلِّفْني تذوبُ حُشاشَتي ويَبُــضُّ قلبي مــن قرارتِــه دَما[1]
اذهبْ فلن أشكُو إليك عَواطِفي يومــاً ولــن ألقــاكَ إلا أَبْكَمَــا
أرخصتَ حُبِّــي إذْ بَتَتُّكَ بعضَه فَلْيَبْــقَ مَكْبُوحــاً إذَنْ فَتَكتَّمَــا
إن كانَ بَــثُّ الحبِّ عندك مَأثَما فكذاك عِنْدي سَــوف يغدوُ مَأثَما

* * *

اذهبْ وفي نفسِي لِبُعدِكَ حَسْرةٌ والعيــشُ بَعْدَك صَــار صُلْباً عَلْقَما
سَــأنامُ مهموماً وأصْحُو حَائِراً وأهيــمُ في وَادِي الأسَــى مُتألِّمَــا
ويُخيم البــؤسُ المُمضُّ فلا أرى إلا شَــقَاءً في الحيــاة مُخَيِّمَــا[2]
لكن سَــأكتمُ ما تُكِــنُّ جَوانحِي وأعيشُ مَكْبُوحَ الجَوى مُسْتَسْلِمَا[3]

* * *

واويلتَــاه لقد أهنْــتُ عَواطِفِي وحســبتُها عبثــاً يُمَــجُّ مُذَمَّمَا[4]
وأراكَ تَــأبى أن أكــونَ مُتابعاً لــك في الغُدوِّ وفي الــرَّواحِ مُيمِّمَا

---

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٢٩م
١- يبض: يرشح، يتز.
٢- الممض: المؤلم من أمضّهُ الألم
٣- الجوى: حُرقة الشوق
٤- يُمَجُّ: يُلفظ

لكَ مَا تَشَــاء، فما أطيــقُ تَبَذُّلاً   مني ولســـتُ أطيــقُ منــك تَبَرُّمَا
لك ما تَشَــاءُ، فلن أرى متنائياً   عني فأرجُــو عَطْفَــه مُسْـــتَرْحِمَا
وإذا شَكَوتُ فللسماءِ سَأشْتكي   ألَمِــي وأبْــدُو صَابِــراً مُتَبَسّــمَا

سَأعيشُ عَيشَ الزّاهِدِين وكانَ لي   أمــلٌ حَطَمْـــتُ قِوامَــه فَتَحطّمَا
أملِي الذي قَدْ كانَ لي هو أن يعيشَ   الحـــبُّ فينَــا طَاهِــراً ومُكَرّمَا
أمّــا وقَــد أرْخَصْتَــهُ وأهنْتَــهُ   ورَأيتــهُ إثمــاً لديــكَ مُحَرَّمَــا
فليذهَــبِ الأمَــلُ الــذي أمّلْتُه   حِينــا وعِشْــتُ بظلّــه مُتَنَعّمَــا
سَــأصُون عهدَ الحبِّ عَفّاً طَاهِراً   حتى أمــوتَ بِــه شــهيداً مُغْرَمَا

* * *

عاشق المحال*

ضِقْتَ بالقيدِ فانْطَلِقْ أيُّها الآبِقُ الشَّرودْ[1]
قد تحررتَ فاستبقْ للصِّراعاتِ مِنْ جديدْ

* * *

انْطَلِقْ تَصْعَدُ الرُّباه ثم تَهْوى إلى السُّفُوحْ
شارداً تَقْطَعُ الحياه في التَّعِلَّاتِ والطُّمُوحْ[2]

* * *

انْطَلِقْ تَفَجأُ الخَطَرْ كالذي يَفْجأُ الرَّجاءْ
لُعْبَةٌ في يَدِ القَدَرْ تَزْرَعُ الأرضَ والسَّمَاءْ

* * *

جَمْرةٌ أَنْتَ تَتَّقِدْ خَلْفَ سِتْرٍ مِنَ الرَّمادْ
وهي تَذْكُو بِلا مَدَدْ ثم تَغْدُو إلى نَفَادْ

* * *

أَنْتَ مِنْ طَيْفِ القَلَقْ صَاغَكَ اللهُ والجُمُوحْ
تَعْشَقُ الأيْنَ والحَرَقْ والعَقَابيلَ والجُرُوحْ[3]

---

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٤٢

١- الآبِق: الهارب، الشرود: المطارِد

٢- التعلات: جمع التعلة: ما يُتَعلل أو ما يُتلهى به.

٣-الأينَ: التعب والإعياء، العقابيل: ما يخلفه المرض من آثار

أَنْـــتَ تَرنُــو إلى المُحَــالْ عَاشِــقاً بُعْــدَه السَّــحِيقْ
فَــإذا شَــارفَ المَنَــالْ خِلْتَــه مِــنْ لُقَــي الطَّريــقْ[٢]

* * *

ضِقْــتَ بالقيــدِ مِــنْ ذَهَــبْ ضِقْــتَ بالأَمْــنِ والقَــرَارْ
فَانْطَلِــقْ ثم لا تَثِــبْ عِشْــتْ للخــوفِ والعِثَــارْ[٣]

* * *

١- اللُّقى: ما طُرح وترك لهوانه على الطريق
٢- العِثار: السقوط

حلم قديم*

طَافَ بِي مُستَطِلعاً حُلْمِي القَدِيمْ

فَتَطَلَّعْتُ إليه في وُجُومْ

قلتُ: مَنْ أنْتَ، فأغْضَى خَجلاً

قال لِي: حُلْمُكَ في العَهْدِ الوَسِيمْ![1]

قلت! يَا حُلْمُ. متى عَهدِيَ ذاكْ؟

منذُ كمْ يا حُلْمُ قَدْ طافَتْ رُؤاكْ

قال: لَم يَبْعُدْ بأطيافِي المَدَى

قلتُ: ما أبْعَدَ ما مَرّتْ خُطَاكْ

شَدَّ يا حُلْمِيَ ما قَدْ حَالَ حِسّي؟

شَدَّ يا حُلْمِيَ ما أنْكَرتُ نَفْسي!

أتُرى ذاكَ الذي نَعْرِفُه؟

قال: ما تُبْصِرُ عَينِي غيرَ رَمْسَ[2]!

---

* نشرت في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٥

١- الوسيم: الحسن الجميل

٢- الرمس: القبر مستوياً مع وجه الأرض.

وَمَضَى عَنِّي فِي يأسٍ عَقِيمْ

سَادرَ الخَطْوةِ فِي الأرضِ يَهيمْ[1]

قلت: يَا حُلْمِيَ تمضِي مُفْرَداً

ليسَ في الرَّمْسِ سِوىَ قَلْبٍ رَميمْ![2]

* * *

١- يهيم: لا يدري أين يتوجه

٢- الرميم: البالي (فان)

بعد الأوان*

الآنَ والأيامُ مُدْبِرَةٌ، تُوَلْوِلُ بالنُّواحْ
والأفقُ مخضوبُ الأديم، وقد تَأذَّنَ بالرَّواحْ[1]
أقبلتِ ويحكِ تَبْسَمينَ، فأينَ كنتِ لدى الصبّاحْ؟
وَجهُ الخريفِ، يُطلُّ فاستمعي لإعوالِ الرِّياحْ!

* * *

بَعْثَرتِ أيامَ الشبابِ، فويحَ أيامِ الشبابْ!
لا نستقي إلاّ عَلَى رَنَقٍ وأنفسُنَا غِضَابْ[2]
لم تَصْفُ كَأْسُ حياتِنا يوماً ولا لذَّ الشرابْ
والآنَ تَنطلقينَ في لَهَفٍ إليّ وفي ارتقابْ

* * *

عَيناكِ وَالِهتَانِ لاَهِفتَانِ كلُّهما دُعَاءْ[3]
وحنينُ مَلْهوفٍ تَطلَّعَ في قُنوتٍ[4] للسَّماءْ[4]

---

* نشرت عام ١٩٤٧م
١- الأديم: بياض النهار.
٢-الرنَق: كدر (الماء المتعكر)
٣- والهتان: متحيرتان من شدة الوجد. لاهفتان: مشتاقتان
٤- قنوت: خضوع وخشوع.

ويحي فأينَ أنا وأينَ حنينُ أيامِي الظِّماءْ؟!

صَمْتُ الخريفِ يَلُفُّنِي وعليه شَاراتُ المَسَاءْ!

* * *

ذَهَبَ الزمانُ هُناكَ، فامضي أنت عَنِّي

ما عَادَ يُوقِظُنِي نِداؤكِ خِلْسَةً مِن بعد وَهْنِ

ماتتْ مُنَايَ جَمِيعُها، فعَلامَ يَخْدَعُنِي التَّمَنِّي؟

فَرَقَ الزمانُ طريقَنا، فامضِي وحَسْبُكِ ذَاك مِنِّي!

* * *

هَذِي خُطَايَ على الطريقِ وتلك وَاجِفَةٌ خُطَاكْ[1]

الريح تطْمِسُها فلا خَطْو ولا أثرٌ هُنَاكْ

شَبَحَانِ قد عَبَرا فلم تشعُر بِهذا أو بذاكْ

تَتْلُوهُما الأشْبَاحُ والأيامُ مَاضيةٌ دَرَاكْ![2]

* * *

١- واجفة: مضطربة

٢- دَرَاك: متتابعة



لكنها نفسٌ سمتْ فتألّمتْ

والماءُ لا يصفُو الحياةَ لشاربِ

سعادة الشعراء*

دَعْني ولا تَنْفُــسْ عَلَيَّ مَواهِبي　خُذْهَا وخُــذْ ألمي بهــا وَمَتاعِبي[1]
دعْني فلستُ كما حَسِبْتَ مُنعّماً　بمواهـــب مَلَكَـــتْ عَلـــيَّ مَذاهِبي
أنـــتَ الخَلّي فخلّنـــي وعَواطِفي　آلمـــَت وُجْدَانِي فَلَسْـــتَ بِصَاحِبي
دَعْني أعيشُ كما يَشاءُ لِيَ الأَسَى　لا كنتَ مِثْلـــي. لادَهَتَـــكَ نَوائبي
إني شَـــقِيٌّ لو علمـــتَ دَخائلي　فَدَعِ المظَاهِرَ لا تَرُعْـــكَ جَوانِبي[2]

* * *

الشِّـــعرُ من نِعَمِ الحيـــاةِ عَرَفْتُه　وعَرَفْتُ فيـــه البُؤسَ ضَرْبَةَ لاَزِبِ[3]
الشعر ذوبُ حُشاشَةٍ مَسْفُوكَةٍ　ألمـــاً وَوَجْـــداً في حنـــينٍ ذَاهِبِ[4]
مَا ضَرَّ قوماً لا تُـــذَابُ قلوبُهم　شِـــعْراً وَدَمْعاً مثل قَلْبِـــي الذائبِ

* * *

النّاسُ تَقْنَـــعُ بالحيـــاةِ وتَرْتَضي　مِنهـــا مَحَاسِـــنَ شُـــوِّهَتْ بِمثَالبِ
والشـــاعِرُون تَؤزُّهـــم أَدْرَانُها　يَبْغُونَهـــا لم تمتـــزجْ بِشَـــوائبِ[1]

---

* نشرت في أيار(مايو) ١٩٢٨

١- لا تنفس: لا تحسد

٢- لا ترعك: لا يثير إعجابك.

٣- لازِب: ثابت، لاصق.

٤- الحشاشة: بقية الروح في الجسد

حِـــسٌّ أرقُّ مـــن الأثـــيرِ يُهيجُه   ما قـــدْ تمرُّ عليـــه مَـــرَّ اللاعبِ(٢)
وهي الحيـــاةُ لِمَنْ يَرِقُّ شُـــعورُه   ألم وأن يُكَثَّـــفْ فَلَـــذةَ رَاغِـــبِ(٣)

* * *

مَنْ لِـــي إذَا جَنَّ الظَـــلامُ بَهْدأةٍ   كالهادئـــينَ وَمَـــنْ يُطَمْئِـــنُ جَانِبي
أنـــا في الطبيعةِ مُغرمٌ بِمشـــاهدٍ   تُلْهِـــي فؤادي عـــن أعَـــزِّ رَغَائِبي
الليلُ يُشْـــجِيني بِرائِـــع صَحْوِهِ   وكواكِـــبٌ يَغْرُبْنَ إثـــرَ كَواكبِ(٤)
والبـــدرُ يُوحِي لِي بســـرِّ طوافِه   مُسْتَوْحِشـــاً لم يأتنِـــس بِمُصَاحِبِ
والحُسْـــنُ يَدْعُـــوني إليـــه فأنثَني   ويَصُدُّنِـــي عنـــه بِصَفْقَـــةِ خَائِبِ

* * *

البائِسُـــون إذا سَـــمِعْتُ أنينَهم   أحسســـتُ أن مصابَهم هوَ صَائِبي
والبَاسِـــمُون إِذَا شهدتُ ثغورَهم   هَاجتْ حَنيـــني للصَّفـــاءِ الذَّاهبِ
والبعـــدُ يُؤذِيـــني ورُبَّ مفارقٍ   لَـــمْ يُـــؤْذِه يَومـــاً تنائـــي غائِبِ
وكَرَامـــةٍ لو مُسَّ منهـــا جانبٌ   أصْغَرْتُ عيشـــي عندَهـــا ومَطالبِي
بَلغَ الحِفاظُ بِها القداســـةَ والتُّقى   وحَـــذارِ وَهْـــمِ خاطِـــئٍ أو صَائِبِ

* * *

١- تؤزهم: تزلزلهم.، أدراها: أوساخها
٢- الأثير: المراد النسيم
٣-يُكثّف: من كثف يكثف: يغلظ
٤- الصحو: الهدوء والصفاء.
٥- سمتها: أذقتها

يَاليتَ لي نَفســـاً إذا مـــا سُمْتُها عَكَرَ الورودِ استرشــــدتْ بتجَارِبي[٥]
لكنّها نفـــْس سَـــمَتْ فَتَألّمتْ والمـــاءُ لا يصفُـــو الحياةَ لشـــارب
دَعْنِـــي أعيـــشُ مُعذّبـــاً متألماً بمواهبِـــي يـــا شِـــقْوتِي بِموَاهِـــبِي

* * *

سخرية الأقدار*

أغلبُ الظنِّ، وقد تدري الظنونُ   أنّهـــا ألعـــابُ دَهْـــرٍ سَـــاخرٍ
مَاهـــرٍ يَهْـــزَأُ بالمُسْـــتَهزئينَ   يبعـــثُ النُّكْتَـــةَ عفوَ الخاطـــرِ![1]

* * *

وسَـــواءٌ أضحكـــتْ سُـــمّارَه   أم دَهَتْهـــمُ بالرزَايـــا والمِحَـــن
فهـــو يُلقِـــي أبـــداً أدوارَه   وهـــو لا يُســـألُ عن مـــاذَا ومَن؟

* * *

يســـمعُ الأنّاتِ تشـــتقُّ القلوبَ   صارخاتٍ كشـــجيّاتِ النُّـــواحِ[2]
ليكادُ الصّخْرُ مِـــنْ هَوْلٍ يَذُوبُ   وهـــو يَلْقاهـــا بِهُـــزءٍ ومِـــزَاحِ!

* * *

---

* نشرت عام ١٩٢٩

١- عفو الخاطر: من غير تكلّف.

٢- تفجرها، الشجيات: مفردها شجية، وهي المحزنة.

الصديق المفقود!*

ابحثُوا لي ما استطعتُم عن صديقْ فلقـــد أعيانِـــي البحـــثُ الكثيرْ!
مخلِـــصِ الطَّبْـــعِ له قلـــبٌ رَقيقْ خالصُ الإحســـاسِ فَيَّاضُ الشعورْ

* * *

إنَّ هذَا القلبَ يَهْفُو أبداَ
لصديقٍ أصْطَفيه مُفْرَدَا
وأُريدُ الودَّ رَطْباً كالنَّدى
غــيرَ أنَّ الكونَ ذُو طَبْعٍ صَفيقْ[1] نَاضبَ الإحساسِ مَمْسُوخَ الضميرْ
يحقرُ الإخلاصَ في القلبِ الشفيقْ ويَـــرى الغـــدرَ بإعجـــابٍ جديرْ

* * *

طالما هِمْتُ بحبِّ الأصدقاءْ[2]
وتغنيتُ بألحانِ الوفاء
سامياتٍ كأناشيدِ السَّماءْ
ســـكرةٌ عَجْلى ومـــنْ ثَـــمَّ أفيقْ فـــإذا بي ألْمَـــسُ الغـــدرَ الحقيرْ
وإذا الإخْـــلاصُ خَـــلاَّبٌ بريـــقْ مِنْ سَـــرابٍ أو سَنَا بَرْقٍ قَصِير[3]

* نشرت في كانون الثاني(يناير) ١٩٣٠.
١- صفيق: قبيح.
٢- همت: تعلقت.
٣- خلاب: خدّاع ببريقه.

أيهـــذا الكـــونُ إنْ كنـــتَ تُجيبُ!

أيُّ عيـــش في حِمي الغـــدرِ يَطيبُ؟

ثم مـــاذا تَبتغِـــي تلـــكَ القلـــوبْ

غيرَ إحســـاسٍ من العطـــفِ رقيقْ   يَغْمُـــرُ الأرياحَ فَيَّـــاحَ العَبيرْ[1]

فـــإذَا العيـــشُ رَجَـــاءٌ ووُثـــوقْ   وإذا الكـــونُ رِضـــاءٌ وَحُبـــورْ

* * *

إنَّ هـــذا العطـــف رَمْـــزٌ للخُلودِ

وغِذَاءُ الـــرُّوحِ في هـــذا الوجُودِ

كلُّ ما فِـــي الكونِ لـــولاه زهيدْ

ورَحيبُ العيشِ لولا العطفُ ضِيقْ   والنعيمُ العَزَبُ مَسْـــلُوبُ النعيمْ[2]

وأرى الإنســـانَ بالعطـــفِ خليقْ   في جحيمِ العيـــشِ والعيشُ جحيمْ

* * *

١- فياح : منتشر

٢- العَزَبُ: البعيد الخفي.

ابحثُـوا لي بـيـنَ أطيـافِ الرجـاءِ

عن صديقي ذلـك الطُّهْـرِ البَراءِ

لـن أملٌ البحـثَ لو طَـالَ العَناءْ

ليس هذا اليـأسُ باليـأسِ الحقيقْ فهو لن يُخْبي في نفسـي السَّعيرْ

حِـيرةٌ تائهـةٌ مـا إنْ تُفيـقْ وهي الوحدةُ أو عَيـشُ القُبورْ

* * *

يا صديقَ الغيبِ يـا طيفَ الأمَلْ

هَاهُنـا قلبٌ مـن الوحـدةِ مَلْ

ينشدُ الإخلاصَ في قلبِ خَضَلْ[1]

وهو لا ينـوي عِتابـاً لصديقْ حينمـا يُخطـىءُ أخْطَـاءَ الغَريرْ[2]

فبحسـبي قلبُه السـمحُ الرقيقْ في فَيـافي العيـشِ إلْفـاً لِـي سميرْ

* * *

١- خَضَلٌ: عضٌ طري

٢- الغرير: الساذج، عديم التجربة

خراب...!*

أَقْفَرتْ شَـيئاً فَشـيئاً كاليباب   غـيرَ آثارٍ مـن النَبْتِ الهَشِـيمْ[1]
باقيـاتٍ ريثمَا يَسْـفَى التراب   فـإذا الكـونُ خَلاءٌ في وُجُـومْ[2]
* * *

كان ينمُـو هاهُنا النَّـورُ صغيرْ   فـوقَ نبـتٍ لَيِّـنِ العـودِ هَزيلْ
فَـذّوي النَّوْر، ومـا كانَ نَضيرْ   إنمّـا المُعْـدَمُ يَرضَـى بالقليـلْ!
* * *

زهرةٌ في إثْـرِ أُخـرى تُحتَضَره   وهُـو يرنُـو ذاهـلاً للزَّهْـرَاتْ
مُلْقَيـاتٍ حولَـه بـينَ الحُفَـرْ   والرِّيـاحُ الهُوجُ تَـدوِي مُعْولاتْ
* * *

وإذا الكـونُ حوالَيـهِ خَـرابْ   مُوحِشُ الأرجـاءِ مفقودُ القَطِينْ[3]
وهو يرنـو في وُجـومٍ واكتئابْ   يكتـمُ العَبْـرَةَ فيـه والأنـينْ
* * *

ويُـدوّي حولَه صَمـتُ الفَناءْ   حيـث تُمْحَـى كلُّ آثـارِ الوجُودْ
أينَ؟ – لا أينَ! – الأماني والرّجاءْ   طَمَسَ اليـأسُ عليهـا والكُنُودْ[4]
* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٢
١- الهشيم: اليابس من كلِّ شيء
٢- يَسفى: يتطاير، ومنه: الرّيح السّافية.
٣- القطِين: المقيم.
٤- الكُنُود: نكران النعمة من كَنَدَ النعمة: كفرها وجحدها.

خريف الحياة *

بَكَــرَ الخريفُ فلا ورودَ ولا زهورْ   ومَشــى الركودُ فلا نسيمَ ولا عَبيرْ
صَمَتَتْ صَوادحُها فما تشدُو الطيو   رُ بها، وما تشــدُو الجداوُل بالخريرْ
وسَــرَى القَفارُ بكلِّ مُخصِبَةٍ فَما   تجدُ الخصيبَ بهــا؛ وما تجدُ النضيرْ
والسُّـــحبُ طافيةٌ تُغشّي كالسُّتور   وتســيرُ وانيةَ الخُطا ســيرَ الأسيرْ
فإذا الحياةُ يغضُّ رَونَقها الأســي   وإذا القلوبُ بها كَليمٌ أو كَســيرْ[1]

* * *

والحبُّ! ويحَ الحبّ من هذا البكورِ   غامت عليه ســحابةُ اليــأسِ المريرْ
وذوتْ بجنتــهِ أفانــينُ المُــنى   وخَبا بهيكلِ حُســنهِ القبــسُ المنيرْ
وسَها عن التقديس والتسبيحِ في   محرابهِ العُبّــادُ مَسْـحُورو الدهورْ
ومَشَوا بساحتِه كما يمشي الخليُّ   مــن الغرامِ فــلا حنينَ ولا شُــعورْ
هانتْ شَــعائرهُ ومَسَّ ســتورهَ   في جُرْأةٍ، غــيرُ المقــدسِ والطَّهورْ

* * *

الأرضُ غــيرُ الأرضِ في دورانِها   لتكادُ مِــنْ فَرْطِ السّــآمة لا تدُورْ
والريحُ غيرُ الريــحِ في جَولانِها   لتكادُ تكتــمُ في جَوانحِها الزفيرْ[1]

* نشرت عام ١٩٣٤
١ - يَغضُّ: يتراجع. الرونق: الصفاء والحُسن.

والطيرُ غــيرُ الطــيرِ في ألحانِها لتكادُ تَنْعَبُ بالخــرابِ وبالثبور[٢]

والنــاسُ غيرُ النــاسِ في آمالِها ليكادُ يجثُــو اليأسُ في تلك الصدورْ

بَكَر الخريــُف فويلَه هذا البكورَ ودنَا المصيرُ فويلَه هــذا المصيرْ![٣]

* * *

١- الجوانح: مفردها الجانحة: ضلع من الصدر والمراد: داخل الصدر.

٢- الثبور: الهلاك.

٣- هنا نداء محذوف: (فياويلَهُ)

النفس الضائعة*

أأنِي أنـــا؟ أم ذاك رمـــزٌ لغابرِ؟ لأَنْكَرْتُ مِن نفسي أخصَّ شعائري!
لأَنْكَرْتُ إحساسِي وأنكرتُ منْزَعي وأنكرتُ آمالي، وشَتَّى خَواطِري[1]
وأنكرتُ شِعْرِي وهو نفسِي بريئةٌ مُمَحَّصَـــةٌ مـــن كلِّ خِلـــطٍ مُخامرِ
وتَفْصِلُني عما مضى من مَشاعِري عهـــودٌ وآبـــادٌ طِـــوالُ الدياجـــرِ
وأحســـبُها ذكرى؛ ولكنَّ بُعدَها يخيِّـــلُ لِـــي: أنْ لم تمـــرَّ بخاطِـــري!

* * *

أنَقِّبُ عـــن ماضيَّ بين ســـرائري فألْمحُه كالوهم؛ أو طيف عابرِ[2]
أعيـــشُ بـــلا مـــاضٍ كأنِّـــيَ نَبتَةٌ على السطحِ تطفُو في مهبِّ الأعاصرِ!
ومـــا غابـــرُ الإنســـانِ إلا جُذورُه فهل ثَمَّ نَبْتٌ دونَ جِـــذْرٍ مُؤازِرِ؟
وقد يتعـــزَّى المرءُ عن فقـــدِ قابلٍ فكيفَ عزاءُ المـــرءِ عن فَقْدِ غابرِ؟

* * *

أُنَقِّبُ عن نفسِـــي التي قد فقدتُها بنفسِـــي التي أحيا بها غيرَ شاعرِ!
واطلبُها في الـــروضِ إذ كان هَمُّهَا تَأمُّلـــهُ يُفْضـــي بتلـــك الأزاهرِ
وفي الليل إذا يغشى، وكانت إذا غَفا تيقَّـــظَ فيهـــا كل غافٍ وســـادرِ

---

* نشرت عام ١٩٣٤

١- منزعي: المنزَع: التروع إلى الغاية والتروع: الحنين والشوق.
٢- أنَقِّبُ: أبحث

وفي الليلةِ القَمْراءِ إذْ تَهْمِسُ الرُّؤى وتُوميءُ لـــلأرواحِ إيماءَ ســـاحِرِ
وفي الفجرِ، والأنداءُ يَقْطُرنَ والشذى يفوحُ، ويُشْجي سَمْعَهُ لحنُ طائرِ[1]
وفي الحبِّ إذ كانت شَواظاً وحُرْقَةً ومَهْبِـــطَ آمـــالٍ ومَطْمَـــحَ ثائرِ
وفي النَّكْبـــةِ النَّكْبـــاءِ والغبطةِ التي تجودُ بهـــا الأقدارُ جُـــودَ المُحاذِرِ!
ولكنَّـــني أيئســـتُ أن ألتقـــي بها وتاهتْ بـــوادٍ غامرِ التيـــه غَائِرِ
سأحيا إذَنْ كالطيفِ ليستْ تَحُسُّه يـــدانِ، ولا يَجْلُوه ضـــوءٌ لناظرِ

* * *

١- الشذى : الرائحة، يشجي: يطرب أو يثير إحساساته.

الغد المجهول*

يالَيتَ شِعْرِي، ما يُخبِّئُه غَدِي؟ إني أرُوحُ مع الظنونِ وأغْتدِي[1]
وأُجِيلُ بَاصرتِي بِها وبَصيرَتِي أبغي الهُدى فيها، وما أنا مُهتَدِ[2]
حتى إذا لاحَ اليقينُ خِلالَها أشفقتُ من وجهِ اليقينِ الأسْودِ
وأشحتُ عنه، ولو أطقتُ دَعَوْتُه وطرحتُ عني حَيْرَتِي وتَردُّدِي
فكأنني الملاَّحُ تَاهَ سفينهُ ويخافُ من شطِّ مريبٍ أجْرَدِ!

* * *

مَاذا سَيُولَدُ يومَ تُولَدُ يا غدِي؟ إنِّي أُحسُّ بِهولِ هذا المولِدِ!
سَيصرِّخُ الشكُّ الدفينُ بمُهْجَتِي فأبيتُ فاقدَ خيرَ ما ملكتْ يدي
ستروغُ مِنْ حولي عواطفُ لم تزلْ تُضفِي علَى بعطفِها المُتوددِ
ستَجِفُّ أزهارٌ يفوحُ عبيرُها حَولي؛ وينفحني بها الأرجُ النَّدي[3]
والمِشْعَلِ الهادِي سيخبُو ضوؤه ويلفُّني الليلُ البهيمُ بمفردِي

* * *

---

* نشرت في ١٩٣٤.

١- ياليت شعري: ليت علمي متحصِّل.

٢- الباصرة: قوة الإبصار، البصيرة: قوة الإدراك والفطنة

٣- الأرج: أرج الطيبُ: فاح

ماذا تُخَلّفُ يــومَ تذهبُ ياغَدِي ؟ لاشــيءَ بَعــد الفَقْــدِ للمتفقدِّ

«سَــتُخلّفُ الأيــامَ قاعاً صفصفاً تذرُو الرياحُ بها غبــارَ الفدفدِ»[٤]

لامُرتَجى يُرْجى، ولا أســف على مــاضٍ يضيــعُ كأنّه لَــم يُوجَدِ

أبداً ولا ذِكْرى تُجَــدّدُ ماانطوى حتى التــألم لا يعودُ بِمَشْــهَدِي!

رَبّــاه إنى قــدْ سِــئمت تــردُّدِي فــالآنِ ،فَلْتَقْدُمْ بهولــكِ ياغَدِي

* * *

[1] – صفصفاً: المستوي من الأرض لا نبات فيه. الفَدفدُ: الارض الواسعة المستوية لا شيء فيها

غريب..! *

غريـــبٌ . أجـــلْ أنـــا في غُرْبـــةٍ وإن حَـــفَّ بي الصَّحْبُ والأقرُبونْ
غريـــبٌ بنفسِـــي ومـــا تنطوي عليـــه حَنايـــا فـــؤادِي الحنُـــونْ
غريـــبٌ وإنْ كَانَ لَمّـــا يـــزلْ ببعـــضِ القلـــوبِ لِقلـــبي حنينْ
ولكنّهـــا داخلتْهـــا الظنـــونُ وجَـــاورَ فيهـــا الشُّـــكُوكَ اليقينْ
غريـــبٌ فَوَاحاجـــتي للمُعـــين وواهـــفَ نفســـي للمُخلصـــيْنْ

* * *

أكادُ أُشـــارفُ قفـــرَ الحيـــاةِ فأُشْـــفِقُ مـــن هولـــهِ المرعـــبِ
هنالـــك حيـــثُ رُكامُ الفَنـــاءِ يَلُـــوحُ كمقـــبرة الغيهـــب(١)
هنالـــك حيـــثُ يمـــوتُ الرّجاءُ وتثـــوي الأمـــاني كالمُتْعَـــبِ
فأرْجـــعُ كالجـــازعِ المُســـتطار أُرجّـــي أمـــانيَّ في المَهْـــرَبِ(٢)
ولكنـــه مُقْفِـــرٌ أو يـــكادُ فيـــا للغريـــبِ، ولم يَغْـــرُبِ!

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤
١- الغَيهَبُ: الظُلمة.
٢- المستطار: الفزِع المذعور

مر يوم *

مَرَّ يومٌ منذُ ما استيقظتُ أمسِ مَرّ يومْ!
نَبأٌ يَأباه وِجْداني وحِسّي فهو وَهْمْ

* * *

مَرّ يومٌ؟ قالتْ الساعةُ مَرَّ، قولُ واثقْ!
أسألُ الشمسَ: أحقًّا؟ والقمرَ فيوافقْ!

* * *

أهو يومٌ في الرُّؤى لا في الزّمان والحقيقةْ؟
أمْ تُرى يومٌ طَواه العَقْرَبانِ في دقيقةْ؟ [1]

* * *

كيف مَرّ اليومُ! ما هذا العجبُ كيف مَرْ
تَكذبُ الأفلاكُ أمْ حِسّي كَذَبَ؟ أمْ سَحِرْ؟

* * *

لم تكنْ فيه حياةٌ أو أملُ أو تَمَتُّعْ
وهو مَحْسُوبٌ علينا في الأجلِ فهو أضْيَعْ!

* * *

تَحْسُبُ الأقدارُ بالْكمِ فلا هي تُفَرّقْ [2]
بينَ يومٍ مَرَّ أو يومٍ حَلا أو تُحققْ! [3]

* * *

ونُؤديها كما تَبْغي الحسابَ وَهْوَ عُمرْ!
فيه من خِصبٍ وفيه من يَبابٍ وهْي تَذْرُو [4]

* نشرت عام ١٩٣٤

١- عقرب الساعة: المؤشر وفيه كناية عن سرعة انقضاء اليوم

٢- بالكم: أي الكمية لا بالقيمة.

٣- مَرّ: من المرارة ضد حلا من الحلاوة.

٤- يباب: خراب

إلى الثلاثين *

إلى الثَّلاثِـين نَصِّـي! الـرِّكابَ حَثِيثـةً ياليَـالِ[1]
مَضـي مـن العُمـرِ أغْلـى اللُّبَـابِ فلسـتُ آسٍ لِغَـالِ
مَضـى مـن العُمـرِ مـا يُسـتَطابُ مِـنَ بَهجـةٍ أو جَمـالِ
مَضـى كمـا جَـاء عَهـدُ الشَّبابِ عهـدُ المُنَـى والخيـالِ
وضَـاعَ في غَمـرةٍ واضْطـرابِ ومَـرَّ دُونَ احتفـالِ
فأسـرعي ياليَـالِ
عَـلامَ مِـنْ بَعْـدِه تُمْهِلـينْ؟ وأيّ غيـبٍ تَهـابْ؟
ومـا احتفـالٌ بِمـرِّ السّـنين؟ من بعـدِ مَرِّ الشَّـبابْ؟
ومـا الـذي ياليـالِ يكـونُ بعـد اكْتِهَـالِ الرّغابْ
يكـونُ – وَاحَسْـرتَاه – السـكونُ عَلى ضفـافِ اليَبابْ؟[2]
يكـونُ – كالقيـد – عَقـلُ رزيـنٌ! يعطُو لشـطِّ الصّوابْ![3]
فيَ السُـوءِ المـآبْ[4]

---

* نشرت في آذار(مارس) عام ١٩٣٤.

١- نَصي : اظهري من نَص ينصّ: رفع وأظهر، عّن وحدد.

٢- الرّكاب: ما توضع فيه الرّجل ، والمراد: الاستعداد والتهيئة.

الحثيثة: السريعة الجادة.

٣- يَعطو: يطلّع.

٤- المآب: المصير

فذلــك العقــلُ رمــزُ القيــودِ ونحــنُ شَــرُّ العُنَــاه[1]
يَزُودُنــا عــن مراقِــي الخُلُــودِ وخَــيرِ مــا في الحَيــاهْ
والطيــشُ رمــزُ الشّــبابِ المُريــدِ يَســمُو بنــا عَــن مداهْ
فنحــنُ نَرْنُــو لهــذا الوجــودِ بفتْنَــةٍ وانْتبَــاهْ
فــلا نُبــالي بِصَــرْفِ الجُــدودِ ولا نَخــافُ الغَــداهْ[2]
فــكلُّ يــومٍ حَيــاهْ

يُضاعَــفُ اليــومَ منّــي المُصَــاب إنْ لَــم أعِــشْ بالخيــالِ
قَضَيــتُ - واحســرتاهُ - الشّــبابَ كالكهــلِ في كلِّ حَــالِ
يجيــشُ بالنفــسِ سَــيْلُ الرّغــابِ فــلا يُمَسّــي اعتــدالي
وَوُجْهَــتي في الحيــاةِ الصَّــوَابُ ونظــرتِي للمــآل![3]
عصيــتُ أمْــرَ الحيــاةِ المُجَــابُ فــكان رُشْــدي ضَلالي!
فأسْــرِعي ياليــالِ

* * *

١ - العُنّاه: مفردها عان: الخاضع الذليل.
٢- بصرف: من صرَف الدهر: نَوائبه وحدثانه. الجدود: الحظوظ والمراد : فلا يبالي بالأحداث التي يخحطها الحظ لنا.
٣- المآل : المصير والنهاية.

خطا الزمن الوثاب *

خُطَا الزَّمنِ الوثّـــابِ بعضَ التَّوثُّبِ   إلى أيــنَ؟ قد أوْغَلْت في غيرِ مَذْهبِ
تَمُرّيـــنَ كالأوهـــام لا أسْـــتَبِينُها   وتَمضِـــين عَنّي مَوْكِبـــاً إثْر مَوْكِبِ
وإني كالمخمُـــور قد غـــابَ وَعْيُه   وكالشّـــبَح الهَيْمانِ في غيرِ مَطْلَبِ[1]
تشـــابهت الأبعادُ عنـــدي فما أرى   أمامـــي فَرقاً بـــين نـــاءٍ ومُكْثَبِ[2]
ويـــا رُبّمـــا أنـــس أمُـــوراً قَريبةً   وأوغل في الماضـــي البعيد المُنَكِّبِ[3]

* * *

خُطَا الزَّمنِ الوَثّابِ. بعضَ التوثُّبِ   طَويت حَيـــاتِي بينَ صبُـــحٍ ومَغْرِبِ
فَفِي لحظةٍ؛ أنظُـــرْ إلى الأمل الذي   ضَمْمـــتِ ثَنَاياه علـــى كلِّ مُعْجِبِ
وأسْـــتَرْجِعُ المَاضِـــي رُويـــداً وَهينَةً   أُداعبُ فيه الطفلَ أو أضْحكُ الصبِّي[4]
وأسْـــمَعُ أوهـــامَ الفـــتى وخَيالَه   كما يَسْمَعُ المُشْـــتاقُ ألحانَ مُطْرِبِ
فَفِي لحظةٍ؛ أنظُـــرْ إلى الأمل الذي   أبَحْتُ له من مُهْجَتِي كلَّ مَشْـــرَبِ
وغَذّيتُه نَفْسِـــي، وقَـــدْ بِعْتُ دُونَه   خَواضِـــرَ أيامِي ومَاضِـــي المُجَرَّبِ

---

* نشرت في تشرين (اكتوبر) عام ١٩٣٧

١- الهَيمان: من هَامَ يهيمُ: خرج على وجه الأرض لا يدري أين يتوجه.

٢- ناء : بعيد. مكثب: قريب.

٣- المنكب: من نكب عنه: عَدَلَ وتنحّى.

٤- هينة: بطيئاً.

قِفي. أنتِ قد جَفَّلتِ مَاضِيّ فانزوي   ونَفَّــرتِ آمالي وعَمَّيْــتِ مَآرِبي[1]

* * *

تَمرّين يـــا أيـــام قَفْــراءَ؟ أمْ أنا   خَويتُ من الإحساس؟ قُولي وأطنبي[2]

وأحْسَـــبُ أنْ لَن تُعْــربي بِمقالةٍ   إذا كان سَمْعي لا يصيخُ لُمْعْرِبِ![3]

* * *

١- جفلت: طردت. مآربي: حاجتي الشديدة

٢- خويتُ: من خوى المكان : خلا مما كان فيه. أطنبي: أطيلي .

٤- تعربي: توضحي وتبيني

نهاية المطاف *

تَنْشُـــدُ السُّـــلْوَانَ من حُبٍّ عَقِيم وتـــرومُ الْبُـــرءَ مـــن دَاءٍ قـــديم
ها هُو السُّـــلوانُ فانْظُـــرْ: أتَرى شَارَةَ الموتِ على تلكَ الرُّسُومْ؟[1]
شَـــاه في خاطرِك الكـــونُ وماتْ وتَخَلَّتْ عنـــك أحْلَى الذِّكْرَياتْ[2]
وبَـــدَا العُمْـــرُ حَزينـــاً عَاطِـــلاً كامِدَ السَّـــحْنَةِ مَجفُوَّ السِّـــمَاتْ
قَدْ مَضَـــى الحُلْمُ، فحقِّق في العَيانْ هل تَرى إلاَّ خـــواءً في الزَّمَانْ؟[3]
وتَهاويلُ الـــرُّؤى... يـــا ويَحها! غالها الصَّحْوُ فماتـــتْ مُنْذُ كَانْ![4]
نَـــمْ قَرِيرَ العـــينِ إنْ كنـــتَ تنامْ لَفَّكَ الصمـــتُ وغَشَّـــاكَ الظَّلامْ
يَأمَـــنُ الدُّنيَـــا ويَخْلُـــو للكَرى مُعْـــدَم الكفينِ مَفْقُـــودَ الحُطَامْ![5]
قَدْ خَلا الهيكلُ مـــن وَحْي الصنَّمْ وغَدا معبـــودُكَ الأسْـــنَى حُطَمْ[6]
أتُطيـــقُ الآنَ تَحيـــا مُلْحِـــدَا أم تُـــرى تَخلُـــو لشـــيطانِ النَّدَمْ
ضِقْتَ بالخوفِ ودُنيا الاضطرابْ أتَـــرى الأمْـــنَ هُنا بـــينَ اليبَابْ؟

---

* نشرت في آب (أغسطس) عام ١٩٤٥

١- السلوان: من سلا يسلو: نسيه وطابت نفسه بعد فراقه.

٢- شاه: قبُح

٣- خواء: من خو يخوي: خلا مما كان فيه . والمراد الفراغ

٤- غالها : أهلكها

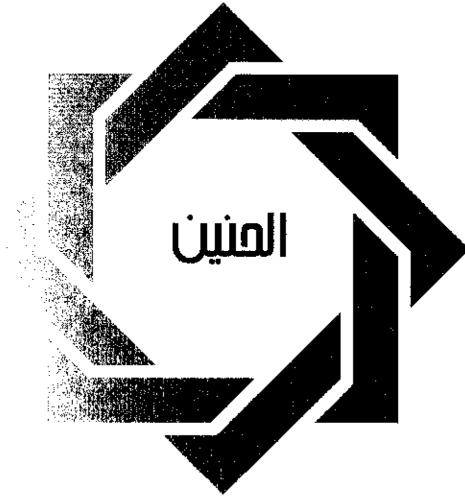
٥- الحطام: متاع الدنيا.

٦- الأسنى: الأعلى

أيهــا المنكــوبُ في أحْلــى المُنَى الحياةُ الحــبُّ والحُــبُّ العَذابْ!
ضِقْــتَ بالقيدِ! فها أنــتَ طلَيقْ! ما يُباليــكَ إذن حَــادِي الرَّقيقْ!
فَهُــو يُخلِي في الفيافِــي كلَّ مَنْ لا يُســاوي ثَمَنَ القيــدِ الوَثيقْ![1]
عُمْــرُكَ الفَــارِغُ كالثِّقْــلِ زَهيدْ ليس فيــه مِنْ طَريــفٍ أو تَليدْ[2]
وهــي الأيــامُ تَقْضِــي مِثْلَمــا تَنْقَضِــي أيــامُ مَأجُــورٍ شَــريدْ
أيــنَ أحْلامُكَ بالعُــشِّ الجميلْ؟ أيــنَ آمَالُــك في الظِّــلِّ الظَّليلْ؟
قَــدْ مَضَــى الحُلْمُ ووَلّــى مُوهِنَا فاركَــنْ الآنَ إلى الصَّحوِ الطَّويْل!
تَمّــضِ يا منكودُ ما كنــتَ تَرومْ ومَشَى السُّــلوانُ في الحبِّ القديمْ
نَــمْ قريــرَ العَينِ واهنَــأ بالكَرى الكَــرى المَيِّتِ في القلــبِ العَقيمْ!

* * *

١- الفيافي: الصحراوات
٢- طريف أو تليد : حديث أو قديم



كانَ ، والمؤلمُ في (كانَ) الفَناءُ !

حيثُ لا رُجعي ولا طيفُ أمَلْ

عهد الصغر *

إذا الليــل جَــنّ تجيــشُ الفِكَــر   ويُــؤرّقُ جَفْنــي مَــرُّ الذّكَرْ[1]
ويخلُــو فــؤادِي لأحلامِــه   فيجعــلُ منهــا حديثَ السَّــمَرْ
وتَخْلُــدُ رُوحــي إلى الذكرياتِ   فَتَسْــري تبَاعــاً سِــراعاً تَمُــرْ
فآنــاً تُــؤزُّ وآنــاً تَلــذُّ   وآنــاً تَسُــوءُ وآنــاً تَسُــرْ[2]
هــدوءٌ طويــلٌ وصمــتٌ رهيبٌ   وفي النَّفْسِ أشــجانُها تَشْــتَجِرْ
إذا مــا ذَكَــرْتُ زمانــاً تَقَضّــى   بديــعَ الرُّسُــومِ جميــلَ الأثــرْ
تــراءى لِنَفْســي عهــدُ الصِّغَــرِ   فتشــتاقُ نَفْســي لعهــدِ الصِّغَرْ
لعهــدِ الرِّضَــاء وعهــدِ الحُبورِ   وعهــدِ الصَّفَــاء القليــلِ الكَدَرْ
أنــامُ وأصْحــو علــى ما أشــاءُ   طــروبَ الفــؤادِ قريــرَ النَظَرْ
وتصحُــو الغزالــةُ مِــن خِدْرِها   فتزهُو الــورودُ ويحيــا الزَّهَرْ[3]
وتبــدو الرِيــاضُ ريــاضُ القُرى   بوشــيٍّ جميــلٍ ووجــهٍ نَضِــرْ
ويَسْــجَعُ فيهــا الحمــامُ طروباً   وتشــدُو البلابلُ فوقَ الشــجرْ

---

* نشرت في كانون الثاني (يناير) ١٩٢٨

١- تجيش الفكر: تتدافع وتتدفق الأفكار.

٢- تؤز: تزلزل بشدة.

٣- الغزالة: يقصد بها الشمس

رعـــى الله عهـــداً جميـــلاً تَولّــى وخَلّفَنِـــي للأســـى ثُـــمَّ مَـــرْ
وأسْـــلَمني لِصعـــاب الأمـــور وكيـــدِ الصُّروفِ وطولِ السَّـــهرْ

* * *

ألا يَـــا رَعـــى الله عهـــدَ الصِّغَـــرِ ألا يـــا لحـــا الله عهـــدَ الكِبَرْ[1]
فذلـــك عهـــدٌ صبَـــوحٌ أغَـــرْ وهـــذا عبـــوسٌ ظَلـــومٌ قَتِـــر

* * *

١ – لحا فلاناً: قبّح فلاناً.

جولة في أعماق الماضي*

حَدِّثـــانِي بمـــا مَضَـــى حَدِّثَانِـــي وأعيـــدَا إليَّ عَهْـــدَ الأمانـــي

واذكـــرُا لي زمانَ عشـــتُ طَروباً لا أُبـــالي بحادثـــاتِ الزمـــانِ

وصِفَـــا لي لياليـــاً قَـــد تَقَضّـــتْ كنتُ فيهـــا كالحالِم الوَسْـــنَانِ

صَوِّرَا لي الريـــاضَ والزهرَ والوردَ ولحنَ الطيـــورِ عَـــذْبَ الأغاني

وأعيـــدَا لمَسْـــمَعِي ذكريـــاتٍ لا تَصَـــدَّى لهـــا يـــدُ النّســـيانِ

واسمَحَـــا لي بزفـــرةٍ وحَنـــينٍ ليس لي سَلوة سِـــوى التحنان[1]

واغفـــرا لي دُمـــوعَ عيـــني فـــإني لأرى الدمـــعَ فـــوقَ كل بيـــانِ

إنّـــه النَّفْـــسُ رُقّقَـــتْ ثم سَـــالتْ أو هـــو القلبُ ذَائبـــاً من حنانِ

وأقـــلُّ الوفـــاءِ للعهـــدِ ذكْـــرى هي خيرٌ مـــن حاضـــرِ الأزمانِ

وقليـــلُ عنـــد التذكُّـــر شـــوقٌ ودُمـــوعٌ تُكِـــنُّ أسْـــمى المعاني

إنّ ذِكْـــرى القديمِ للنَّفْسِ تُؤسِـــي وتُهيِّـــجُ الشُّـــجونَ للوجـــدانِ

وهُـــو واللهِ بعـــضُ أجزاءِ نَفْسِـــي باعـــدتْ بينهـــا يَـــدُ الحَدَثَانِ[2]

فاذكُـــرَا لِـــي القديمَ همســـاً ورفقاً ودَعَـــانِي أجيـــشُ لا تَعـــذِلانِ

---

* نشرت في شباط (فبراير) ١٩٢٨، ثم نشرت في آذار (مارس) بعنوان (سبحة في أغوار الماضي)

١- التحنان: الحنين الشديد، أو الرحمة

٢- الحدثان: الليل والنهار

يــا ديــاراً نَشــأتُ فيهــا صبيًّا وصَحِبتُ الشــبابَ في العُنفُوَانِ
لــكِ مــني تحيــةٌ وســلامٌ أنــتِ دارُ النعيــمِ والرِّضْــوانِ
فيــكِ يــا دارُ من صِباي رســومٌ زاهيــاتُ النقــوشِ والألــوانِ
هــي عندي أعــزُّ من كلّ شــيءٍ وهــي تبقــى وكلُّ ما عَــزّ فَانِ
فيــكِ يــا دارُ من هَواي رَســيسٌ وألــذُّ الهوى هــوى الشُّــبانِ[1]
* * *
فهو رَوضُ الحيــاةِ في ذلكِ الحينِ وفيــه القُطــوفُ شــتى دَوانِ
وهو وحي من جانــب الله يُوحي وهــو ســرُّ الإلــه في الإنســانِ
مــا أرى العيشَ غــيرَ حبٍّ بريءٍ مــن ذميــمِ الأهــواءِ والأدْرَانِ
رُبَّ يــومٍ قضيتُــه في حُبــورٍ بــين جمــعٍ من صفــوةِ الخِــلاّنِ
دونَــه الدهــرُ والحيــاةُ جميعــاً في رِضــاءٍ ومتعــةٍ وامتنــانِ
* * *
إن تلــك الحيــاةَ شــيءٌ عجيبٌ وهــي النّفْــسُ كلَّ يومٍ بِشَــانِ
كيــف كان الربيــعُ ثوبــاً بهيجاً وهــو اليــومَ نَاصِلُ الألــوانِ؟[2]
ها هــو الروضُ والــوردُ والزهرُ وهــذا الحَمَــامُ مــن فــوق بانِ
لا أرى الــوردَ غير جذرٍ وســاقٍ أو أُحِــسُّ الغنــاء عذباً شَــجاني

١- رسيس من رسّ يُرسُّ رسيساً: دخلِ وثبت المراد: أثر باق ثابت.
٢- ناصل الألوان: زالت ألوانه من نَصل اللون : زال اللون

إنّمـا النَّفْـسُ حين تَصفُـو تَراها خلعـتْ صَفْوها علـى الأكوانِ
وهـي النّفْسُ حـين تَغْبَـرُّ يَبْدُو كلُّ نـورٍ أمامهـا كالدُّخَـانِ
لو تسـاوى الإحساس في كلّ آنٍ تتسـاوى الأشـياء في كلّ آنِ
عَمَّـرك الله مـا المحاسِـنُ إلا صـورةُ النَّفْـسِ في بديـع افتنانِ
وكـذا القُبْحُ صورةٌ قـد تَراءتْ في خيـالٍ فحُققـت للعيـانِ
فرعـى الله عهـدَ أُنـس أراني صـورةَ الكَونِ في جمالِ الحسـانِ
وَرَعـى الله خـيرةً ورفاقـاً ورَعَـى الله أربعـاً ومَغـانيَ(١)

* * *

١– أربعاً: مفردة ربع، والرَّبع محلة القوم ومنزلهم وقد يطلق على القوم مجازاً. المغاني: المنازل

الماضي*

شَبَحُ الماضي وما الماضي سوى بعض نَفْسي قد تولاّه العَدَمْ
يَتراءى كُلّما شَطّ النّوى فإذا الذكرى شُجُونٌ وألمْ
وإذَا الكَامنُ في نفسيَ ثَارَ
جَائشاً مُضْطرماً
كالجحيمْ
كُلّما أقْبلَ يومٌ ومَضَى أوْغَلَ الماضي بمجهول سَحيقْ
ذاهباً عني كبرق أوْمضَا ثم دَوّى بعدَه الصمتُ العميقْ
وهو صمتٌ تحتَه صَخَبٌ مُثَارُ
وحنينٌ أُضْرِمَا
ووجُومْ
آه لو ملكتُ تصريفَ الزّمْن كيفمَا أهوى وأنّي أرْغَبُ
لرجعتُ الدّهْرَ للماضي إذَنْ فإذا بي حيثُ كُنّا نَلْعَبُ
ورفاقٌ ليّنو العودِ صغارٌ
ليسِ تدري الألَمَا
والهُمُومْ
زَهَرَاتٌ نَضِرَاتٌ باسماتٌ تلمح الغبطة فيها والرضاء
مَرِحَاتٌ مَشْرقاتٌ لاهياتٌ لا تَرى في الكونِ إلا ما تَشَاءْ
فَهْوَ روضٌ زَاهرٌ دَاني الثّمارِ
وَهْيَ نورٌ قد نَمَا
في الكرومْ

تَتَســاقى الــودّ مِنْ غــيرِ انْتباه فــإذا العيشُ ســرورٌ وفَــرَح[1]
وإذا الكَــونُ ومــا فيــه حَيَــاه تتبــدّى في نشــاطٍ ومَــرَحْ
تلك أيامٌ طويلاتٌ قِصَارٌ
في زمانٍ بَسَمَا
ونَعِيمْ
أينَ مِنّــي ذلك العهدُ الوَسِــيمُ أيــنَ مِنّــي بعــضُ أيــام الصِّغَرْ
إنَّها مَــرَّتْ كما يهفُو النســيمُ فَيُحَيِــي ويُحيِيــه الزّهَــرْ
ذهَبَ الماضي وأعيا الانتظارُ
وهو يعدُو قُدُما
كالظّلِيمْ[2]
أيُّها الماضــي رُويــداً في خُطَاكَ فعــلامَ اليــومَ تَمْضي مُسْــرِعاً
إيــه مَهْلاً حَسْــبُنَا طــولُ نَواكَ وبِحَسْــبِي مِنْكَ أن لن تَرْجِعَا(١)
لَجَّتْ الذكرى ولم يبقَ اصطبارُ
وستغدُو عَدَماً
لا يدُومْ

* * *

١- تتساقى: تتبادل الشراب
٢- كالظليم: ذكر النعام.
٣- نواك: فراقك.

رثاء عهد *

أأنــا أرثيــك يــا عَهْــدَ المُنَى؟ أأنــا أرْثيــكَ يــا عهــدَ الوَفَاءِ؟
أنْــتَ يَــا عَهْــدُ أأرْثيــكَ أنَا؟ لا. فَلَــنْ أقْوى على هــذَا الرّثَاء!

* * *

لا. ولَنْ يَجــرى على الطّرْس قلمٌ لا. ولَــنْ تُعْلِــنَ هَــذَا كَلِمَاتْ[1]
أرِثَــاء؟ أغَــدَا الماضِــي عَــدَمٌ؟ أو هــل يَغْــدُو رَهينــاً بِفَواتْ؟

* * *

رَبّ . حقّ ذاكَ أمْ هاجِسُ سـوُء يَنْفُــثُ الهــمَّ بِنفســى والقَلَقْ؟
أمضَى عهــدٌ هو العمــرُ الهنيءُ؟ أو حــقٌ ذاك يــاربُّ أحَــقْ؟

* * *

أَوَ عهــدٌ هــو رَيَّــا مُهْجَتَــين وهُو سَــارٍ في الحَنَايَا والشّعَاب[2]
يَنْطَــوِى كا لــبرقِ في غَمْضَة عينٍ ثم يبــدُو لا ئحاً مِثْل السَّــرَابْ؟

* * *

أَوَ يغــدو ذلــك العهــدُ الوســيمُ حُطَماً تَلْهُو به أيــدى الفَنَاءْ؟
زَهْــرةٌ في الكُــمِ تَلْقَاهَــا هَشــيِمْ ونعيماً وَادِعاً يَضْحَى شِــقاء[3]

---

* نشرت في أيلول (سبتمر) ١٩٢٩.
١- الطرس: الورق الذي يكتب عليه
٢- ريّا مهجتين: ما يروى قلبين.
٣- الكم: البرعم. الهشيم: عشب جاف.

أهُنَــا مَثْــواكَ يــا عهــدُ. هُنا؟ أهُنا يــا عهد أقْصَــى خُطَواتكْ؟
وإذَا أدْعُــوك يــا عهــدَ المُنَــى لَم تُجِبْ دَاعيكَ من بعدِ وَفَاتِكْ؟

* * *

وإذَا قَلّبْــتُ يــا عهــد يــديَّ حســرةً قاتلــةً أو لَهْفَــا
أتُــرى تَرنُــو بإشــفاق إليَّ أم تَــرُدّ الطَّرْفَ عَنّــى صَدْفَا؟[1]

* * *

ولو أني اســطعتُ يا(عهــدُ) الرّثَاءْ بعدَ إذ يَمْضِى من العمرِ ســنينْ
فبــأي القــولِ أســطيعُ الوَفَــاءْ وبــأيّ الدمــعِ تُذْرِيــه العيونْ؟

* * *

أنْتَ جــزءٌ من فؤادِى قَــدْ فقدتُه ما غَنَاءُ القــولِ في صَدْعِ فُؤادْ؟
أو غَنَــاءُ الدّمْعِ في مــاضٍ عَدِمْتُه هو أغْلَى ما أُرَجّــى مِنْ تِلادْ؟[2]

* * *

آه يــا عهــدُ ومــا آلمَ آهْ وهي ذَوْبُ النفــسِ لا رَجْعُ أنِينْ
أُغــربي عَنّــي بعيــداً يــا حَيــاهْ لا يطيــقُ العيشَ منكــوبٌ حزينْ

* * *

١- صدَفا: من صَدَف عنه يَصدِفُ: أعرض ومال، وصدف فلان عن الشيء: صرفه.
٢- تلاد: المال الأصلي القديم والمراد: الأصالة

عهد ذاهب؟!*

عُـزٌّ حـتى لَتُوقِيـه العيـونُ وتَفْديـه الأمَـانِي والقُلـوبْ
وتَسـامَى عَـنْ مَنـالاتِ الظُّنونِ وبَـدَا كالخُلْدِ مَأمـونَ المَغيبْ
لا تَراه النفسُ إلاّ بَاقِيا
أبدَ الدهر قويّاً وَاقِيَا
طاهرَ الأردَانِ عَفّا سَامِيَا[1]
كالرجاءِ العَذْبِ في الذِّهن الخصيبِ زَاخِراً مَـا إنْ يُرائِي أو يَخيبْ
هُـو عَهْـدٌ صِيغَ مِـن حُـبٍّ نَقِيّ وسُـمُو فوقَ إحْسـاسِ البَشَرْ
وَوِقـاءٌ سـابغُ الغيـضِ نَـديٌّ وحَنـانُ مِثـلَ أرْواحِ الزَّهَرْ[2]
صَوَّرتْه ساعةَ العَطْفِ السَّماءْ
ورعتْه يدُ أمْلاكٍ بَراءْ
فغذته بأفاويقِ النَّقَاءْ[3]
وتَجلّـى الغيـبُ عَنْـه فَسـفَرَ في جـلالٍ وجمـالٍ مُزْدَهِـرْ
كَانَ. والمُؤلـمُ في (كَانَ) الفَنـاءُ! حيثُ لا رُجْعَـي ولا طيفُ أمَلْ
وَرَمَـاه بَغْتَـةً سَـهْمُ القَضَـاءِ فَتَراخَـى في انحـلالٍ واضْمَحلْ

* نشرت عام ١٩٣٠.
١ - الأردان: مفردها رِدن: وهو طرف الكُمّ كناية عن الطهارة العامة.
٢ - الغيض: القليل.
٣ - أفاويق: مفردها، الفيقة: اللبن الذي يجتمع في الضرع بين الحلبتين والمراد به أطيب الطعام وأطهره.

وتَراءى بَعدَ حِينٍ خَالِيَا

من رُوَاءٍ كان فيه حَالِيَا[1]

مُوحِشَ الأرجَاء يبدُو خَاوِيَا

غـــاض مِنـــه كلُّ أُنْـــسٍ وارتَحَلْ مِثْلَما يَخْلُـــوُ من الأهلِ الطَّلَلْ[2]

أيُّهـــا العهـــدُ الـــذي مَـــرّ. ودَاعاً هـــو ذوبُ النفسِ أو فيضُ الألَمْ

ســـوفَ تَبْقَى أبـــدَ الدَّهْرِ شُـــعاعاً في ضمـــيري يَتَـــراءى في الظُّلَمْ

سوف أبْكيكِ بُكاءَ الثَّاكِلِ

وأروّيكَ بِدَمْعِي الهاطِلِ

وأُناجِيكَ بِقَلْبي الذَّابِلِ

طَالَمـــا أحْيَـــا فَأمَّـــا يَنْصَـــرِمْ ذَلِـــكَ العمـــرُ تولاّنـــا العَدَمْ

* * *

١ – حالياً: مزيناً

٢– الطلل: بقايا الدور

السعادة حديث الأشقياء *

إيــه حَــدِّثْ عــن السّــعادة إني قد مللتُ الشّــقاء كلَّ الشّــقاءِ
أطلــعِ الصبُّــحَ في حَديثــك يجلو بعضَ هذا الأســى بفيضِ الضيّاءِ
يا أخــي ضَاقَ بالحــوادثِ ذَرْعي وسَــئِمتُ الشّــكاةَ مِنْ بَأسائي
ومَللــتُ الحديــثَ فيهــا فحدِّثْ أنتَ يــا صَاحِبي حديــثَ الهَناءِ
إنَّ بعــَض الحديثِ يُدنِــي الأماني بخيوطٍ – وإنْ وَهتْ – مِنْ رَجاءِ

* * *

أبْعــثُ الطّــرْفَ في الفَضــاءِ مَليًّا فأرى الأفــقَ ضيقــاً في الفَضاءِ
والصبــاحُ الوديعُ ما عَادَ يَسْــرِي لفــؤادي كمــا سَــرَى بالرِّضَاءِ
والربيــعُ الأنيــقُ ما عَــادَ يُذكى فِــيَّ وَمْــضَ الحيــاةِ كالأحياءِ
والجمالُ الذي يَشيعُ في النفسِ رُوحاً عــادَ مَيْتــاً مُعَطّــلَ الإيحَــاءِ
هــي نفسٌ أحالــتْ الكــونَ قَفْراً فتــراءَى مُعطــلاً مِــنْ وَرَاءِ
هــي نفــسٌ تَحطّمَتْ يالنفســي هي دَائي فلســتُ أرجو شِــفَائي

* * *

يا أخي ثارتْ الشّــجُون وهاجتْ حُرقَــاتي وأيقظــتْ لأوائِــي(١)
يا أخِي هَاتِ مــن حديثك. صَوِّرْ في خَيــالي مَلامِــحَ السُّــعَدَاءِ
كيــفَ يَحيَــون غبْطَةً وابتســامَا كيــفَ يرضَون للأمانــي الوضَاءِ
أو فأمْســِكْ فــكلُّ شــيءٍ مُثيرٌ لشُــجُوني. وخلِّــنِ وشَــقَائي

* * *

* نشرت في أيلول (سبتمبر) ١٩٣٠

١– الأواء: الشدّة والألم.



ياريف تدعوني إليك ؛ إنني

للمستطار إلى لقاكَ الظامي

ليالٍ في الريف *

مِـــنْ حنينِ الفـــؤادِ؛ مـــن خَفَقَاتِه ذلك الشِّـــعرُ، من صَدى زَفَرَاتِه
وَسِـــعَتْه الألفـــاظُ وَزْنـــاً ومَعْنَـــى ثم ضاقـــتْ عن رُوحه وسِـــمَاتِه
هُـــو وحـــيٌ لذكريـــاتٍ حِسَـــانٍ أوْدَعَ الخُلْـــدُ بينهـــا ذِكْرَياتِـــه
وليـــالٍ يَـــا حُسْـــنَها مِـــنْ ليـــالٍ يَشْـــتَريها مُخلّـــدٌ بحياتِـــه
هَمسَ الصمـــتُ بينها هَمسَـــاتٍ خَفَّـــضَ الكونُ عِنْدهـــا خَفَقاتِه
وسَـــرى البدرُ مُغْمِضَ الجفنِ وَسْنَا نَ كَطَيْفٍ مُسْـــتَغرِقٍ في سُـــباتِه

* * *

يـــا جمـــالاً بريـــفِ مِصـــر قريراً هـــادىء البالِ في خُشـــوعٍ وَقُورِ
لســـتُ أنســـى فيكَ ليـــالَي مرتْ هُنـــاّ أطيـــافُ عهدنـــا المأثُـــورِ
حينَ نَسْـــرِى والبدرُ يَنْشُرُ ضوءاً فوقَ ســـهلٍ كالعَيْلمِ المَسْجُور[1]
بينمـــا الزهـــرُ حـــالمٌ في رُبْـــاه وغُصـــونٍ مُهَـــدَّلاتِ الشُّـــعُورِ
وخريـــرُ الأمـــواه سَـــاجٍ رتيبٌ مثـــلَ شَـــدْوٍ في عَالَمٍ مَسْـــحُور
ونَجـــيٌّ مـــن الرِّفـــاقِ بِهَمْـــسِ وحديثٍ مُسْـــتَعذَبٍ مِنْ سَـــميرِ
قَـــدْ وَعَـــى الدهرُ هـــذه الليلاتِ ووعينَـــا آثارَهـــا الباقيـــاتِ

* نشرت عام ١٩٣٣

١- العَيلَمُ المسجور: البحر المملوء

فهي ذِكْــرى تَوشَّــجَتْ بنفوسٍ   حانيــاتٍ لطيفِهــا رَاجِفَــاتِ[3]
ســوف تُعييه رُقْيــةٌ مــن خُلُودِ   عوّذَتْهــا الفنــاءَ والحَادثات.![4]
هذه مَسْــكَةٌ مــن الأبــد البَاقي   المعهــودِ قبــلَ خَلْــقِ الحيــاةِ
ذَخَرَتْهــا الأحقابُ حــتى اجتمعْنَا   فأبيحــتْ فمالَهــا من فَــوَاتِ

* * *

١- ساج: ساكن هادئ.
٢- نجيٌّ: من النجوى: الحديث الخافت بين الرفاق.
٣- توشجت: ارتبطت برباط قوي.
٤- عوّذها: حصنتها

العودة إلى الريف *

مَهْدَ الرَّجَـاءِ ومَهْبِـطَ الأحلامَ   وطَـنى عليـك تَحيتي وسَـلامي
يا ريف فيـك من الخلـودِ أثَارَةٌ   تنسـابُ في خَلَدي وفي أوْهامي[1]
وتردُّ إحْسَاسِـي إليك إذَا خَلَتْ   نفسـي إلى الآمـالِ والآلامِ
وكأنَّنِي المسـحورُ يَقْفُو سَـاحِراً   في بُهْـرةٍ كالطائـفِ النَّـوامِ![2]

* * *

إني فقدتُـكَ في الطفولـةِ غافلاً   عَمَّا حَوَيتَ من الوُجُودِ السَّـامِي
لكن وجدتُـك إذ كبرتُ بخَاطري   رمـزاً أُحيـطَ بغَمْـرةِ الإبهـام
وتكشَّـفتْ نَفْسِـي فلُحتُ كأنما   نَفْسِـي وأنْـتَ جُمِعْتُمـا بتُؤامِ[3]
ووجدتُ أَحْلامـي لديكَ وَضيئةً   لم تُبْـلِ جِدَّتَهـا يـدُ الأيـامِ
واليومَ عُدتُ إليكَ أَحْسَـبُ أنَني   طـيرٌ يـؤوِّبُ بعـدَ جَهـدٍ دَامِ
يا ريـفُ تَدعُوني إليـك؛ وإنني   للمسـتطارُ إلى لقـاكَ الظَّامِـي!

* * *

هـذا الهـدوءُ كأنّما هُـو عَالَمٌ   في الوهـمِ، لَـمْ يَتَبَـدَّ للأَقـوامِ
وكأنّه الحُلُـمُ الجميـلُ يَحوطُهُ   صمتٌ كصمتِ العابدِ المُتسـامِي
وتُحِس بالسـرِّ العميـقِ تَخالُهُ   يُضْفـي علـى الأيقـاظِ والنُّوامِ

* نشرت عام ١٩٣٣
١- أثارة: بقية
٢- في بهرة: في دهشة.
٣- بتؤام: التوم: الصَّدَف، التُؤامية: الدُّرَّة

ويلوحُ في وضــحِ النهارِ ويَنْطَوي   ما بينَ طيــاتِ الظَّــلامِ الطَّامي[1]
هو ذلكَ السِّــرُ الــذي مِفْتَاحُه   ضُمَّــتْ عليــه جَوانِــحُ الأهرامِ

* * *

إني أجــولُ بِخاطــرٍ مُتنقــلٍ   في حيثمــا امتــدَّ البسـيطُ أمامي
فــإذا مَواكِــبُ للجمــالِ وَديعةٌ   جمَعَــتْ طرائفَهــا يَــدُ الإلهــامِ
للطيرِ فيهــا، للأزاهــرِ، مَوْكِبٌ   للنــاسِ، للحشــراتِ، للأنْعــامِ!
متآلفين، سَــرى الرِّضَا لنفوسِهِم   فيما اغْتَذَوا من مَشْــرَبٍ وطَعامِ!
كلٌّ يرجِّــعُ للطبيعــةِ لَحْنَــه   في ذلك الوادي الخصيــبِ النَّامي
وهُنــا الطبيعــةُ كالغريــرة إنمــا   وَرِثَــتْ وقــارَ أُبــوّةٍ مُتَــرامِ![2]
تَلْهُــو، ولكــن في بــراءةِ طِفْلةٍ   مــن نَسْــلِ آلهةٍ غَبَــرْنَ كِــرَامِ!
عَبَدتْهــم الأوهــامُ في غَمَراتِهَــا   وانــدسَّ بعضُ الوهــمِ في الأفهَامِ
وتَوارثْتــه طبيعَــةٌ خَلــدَتْ بهــا   مصــرٌ علــى كَــرٌ من الأعــوامِ
يا ريفُ مِصَر، وأنت سِــرُّ بَقائِها   اســلمْ، فَدَتْكَ مَواهِبي وحُطَامي.

* * *[1]

1- الطامي: الشديد.
2- الغريرة: الساذجة من غير تجربة.

الليلات المبعوثة*

بعد عام كاملٍ من الليلات الأولى عاد الشاعرُ إلى الريف، فقضى فيه ليلات مثلهًا، في جوٍّ نفسي مُماثل، وبين رِفاق هم الرفاقَ، وكان عدد الليلاَت الأولى والثانية مُتحداً.

أَهُــو البعــثُ ياليالِــي الخُلودِ؟ أمْ تُــرى أنتِ نَفْخَــةٌ من جديدِ؟
أم تُــرى صــورةٌ منــك صِيغتْ بــين وَحــي الإِلْهــامِ والتجويدِ؟
يــا ليالّي مــا أراكِ سِــوى أنتِ كمــا كنــتِ مــرة في الوجودِ!
ها هُنــا والزمــانُ يَحْلُم وَسْــنَا نَ ســعيدٌ لهــا بِحُلْــمِ سَــعيدِ!
ورَنَــا البــدرُ في حَيــاءٍ وَديــعِ وهــو راضٍ رِضــاءَ طفــلٍ وَليدِ
ورِفَاقــي هــم الرّفاقُ، ونَفْسِــي هي نفسِــي، وعَالَمي؛ وعهودي!
مــا أرى مَعْلَمــاً تغيّر أو رَسْــماً مَحَتْه يــدُ الزمــانِ الكَنُــودِ[1]
أنــتِ ليلاتُنــا! فَقُصّــي عَلينــا كيــف أفْلَتِّ من زمــانِ القيودِ؟

* * *

قَــدْ تســللنَ خِفْيَــةً في الظلامِ بينما الدهــرُ سَــادِرُ الأوهامِ![2]
ثم وَافيْنَنَــا وهُــنّ سُــكَارَى حالمــاتٍ أَغْرِقْــنَ في الأحــلامِ
هامســاتٍ لَنا. لقد بُعِــثَ العَهْدُ فهيــا مــن كُلّ لَهفــانَ ظَــامِ[3]

* نشرت عام ١٩٣٤
١- الكنود: يذكر المصيبات وينسى النعم.
٢- سادر: لا يهتم ولا يبالي بما صنع والمراد حائر الأوهام
٣- اللهفان: المتحسر.

فأجبنَــا دُعاءَهــنَّ سِــراعاً وخلَعْنــا دُنيا الحِجــا والحُطامِ[1]
ورقينا مَــدارجَ الخُلْـــدِ والكَونُ مُسَــجًّى في غَفْلــةٍ وظَــلامِ
ها هُنا كنــتُ منذُ عــامٍ! ولكن يــا لنتفســي! فها هُنــا أيَ عامِ!
مــا أرى للزمــانِ رسمــاً! فهذا كلُّ شــيءٍ هُنــا كرمزِ الــدَّوامِ
إيــه ليلاتِنــا، أعيــدي علينــا قصة الخُلْــدِ، فالأماني ظَــوامِ[2]

* * *

خَيَّــمَ الليلُ في خُشُــوعٍ رَهيبٍ غير لمحِ الرؤى، وخَفْــقِ القُلوبِ
وسَــرينا نرتــادُ سِــرّض الليالي وهــي تُفْضــي بِســرِّها عجيب!
ومَتاعــاً مِــنَ الحيــاةِ نَفيســاً ضَمَّنَتْــه آلاف عهــدٍ خَصيــبِ
قَــد رَشــفْنَا خلاصةً منــه تُغْني عن حياةِ الورى وعيشِ الشُّــعوبِ
وسَــرى في النفوسِ معنىً جديدٌ عَبَّــرَتْ عنــه بالغِنَــاءِ الرتيــبِ
وتســامتْ أرواحُنــا في نَجــاءٍ وتَهــادتْ قُلوبُنــا في دَبيــبِ
تلــك ليلاتُنــا، وهــذا صَدَاهَا إيــهِ ليلاتِنــا؛ اخْلُــدي، لا تغيبي

* * *

١- الحجا: العقل (الإدراك والفطنة)، الحُطام: متاع الحياة.
٢- ظوامئ: مفردها ظامئ وهو العطش الشديد

ريحانتي الأولى
أو
الحرمان *

ريحانـــتي الأولى وَرَوْحح شـــبابي   أئذا دَعْوتُ سَـــمِعْتُ رَجْعَ جَوابِ
أنا في الجحيـــمِ هُنا وأنـــتِ بجنّةٍ   مِنْ رَوْحِ إعْجابِ ورَيْقِ شَـــبابِ[1]
أنا في الجحيمِ وأنـــت نَاعمةُ المُنَى   خَضْـــراءُ ذاتُ تَطلّـــعٍ وطِـــلابِ
أنا لا أُريـــدُكِ هاهنـــا في عالَمي   إنِي أُعيـــذكِ مِـــنْ لَظـــىً وَعذَابِ
لَكنّهـــا الذِّكْرَى تثـــورُ بِخاطِري   مَجْنُونَـــةً حمقـــاءَ ذاتَ غِـــلابِ

* * *

عَيْنـــي رَعَتْكِ وأنـــتِ نَابتةٌ فلم   تَغْفَـــلْ ولم تَفْتُـــرُ ولم تَتَألَـــمِ
وتَعَهّدَتْـــكِ يَـــدِي وأنـــتِ نحيلةٌ   وغذَاكِ من نَفْسِي الحَنانُ ومِنْ دَمي
فَنَمَوْتِ والآمالُ حَوْلك تَنْتَشِـــي   وتَهُـــمُّ رَاقِصَـــةً وتَهْتِـــفُ بالفَـــمِ
حتى إذا أَيْنَعْتِ وانطلقَ الشَّـــذى   ألفيـــتُ نَفْسِـــي في صميـــمِ جَهنَّمِ
مُلْقىً هُنالـــك لا أحُسُّ ولا أرى   إلاّ الشُّـــواظَ وكلَّ داجٍ مُعْتـــمِ[2]

---

* نشرت في أيلول(سبتمبر) عام ١٩٣٧

١-رَيقَ: من الرَّوق: أول الشيء، روق الشباب: أوله.

٢- داج معتم: شديد الظلمة.

بيــني وبينــكِ شُــيَّةٌ لا تَنْتَهي أبــداً أُقــارِبُ حَولَهــا وأُباعِــدُ
هي شُــقّةُ النفسِ الخَرابِ، وإنّها لمجاهــلٌ لم تُكتشــفْ وفَدافِــدُ[1]
الشــمسُ فيها لا تُطِــلُّ ومَا بِها إلا الرواكــدُ والظَّــلامُ البَــارِدُ
أنا لَسْتُ سَــالكهَا وأنت حَفيةٌ أن تَجْنُبي عَنْهــا ونَجْمُك صَاعدُ[2]
فــإذا الــذي بَيني وبينــكِ كلُّهُ ذكْــرى تُطِــلُّ برأســها وتُعــاوِدُ
* * *

وأراكِ مِــنْ خَلل الغيومِ أسِــيفةً إذْ تَذْكُريــن رِعايــتي وجُهــودِي
وتَريْــنَ حَاضِرَنــا وَغابِرنَا معاً وتُراجعِــينَ مَواثِقــي وعُهــودي
نَفْســي فداكِ فلا أراكِ شَــجيّةً تُرقــي الغُصُــونُ لوجهِــكِ المَعْبُودِ
وقفٌ عليــكِ تَطلُّعِــي وتَلهُّفي وقفٌ عليــكِ قَصائدي ونَشــيدِي
لكِــن أُعيذُكِ خَطْــرةً في عَالَمي إنّــي أُعيــذُكِ وَحْشَــتي وُكُودِي

* * *

١- فدافد: أرض واسعة لا شيء فيها.
٢- حَفية: مهتمة

عبادة جديدة؟! *

لـــكَ يـــا جمـــالُ عبَـــادتي لـــك أنْـــتَ وَحـــدَكَ يـــا جَمالْ
تعصـــى تعاليـــمُ الطُّغَـــاة، أو الهُـــدَاة علـــى ضَـــلالْ
ويُخالَـــفُ التشـــريعُ جهـــراً أو خَفَـــاءً في احتيـــالْ
وتُجَانَـــبُ الأديـــانُ أو تُنْســـى وتُهْجَـــرُ عَـــنْ مَـــلالْ
وأراكَ وَحـــدَك يـــا جمـــالُ تَلقـــى الخضـــوعَ والاحتفـــالْ
والحـــبّ والإيمـــانَ مِـــنْ كلِّ الأنـــامِ بـــكلِّ حَـــالْ!

* * *

المـــالُ مَعبـــودُ الحيـــاة المُسْـــتَذلُ قُـــوى الرجـــالْ
هـــو بعـــضَ قُربـــانِ النفـــوس إلى مَقَامـــك في ابتهـــالْ
وأرى الألوهـــة فيـــكَ تُوحـــي بالعبـــادة في جَـــلالْ
مـــا أنـــتَ إلا مظْهَـــرٌ منهـــا تُوشّـــيه الظِّـــلالْ[1]
فـــإذا عَبدتُـــكَ لم أكُـــنْ يا حُسْـــنُ مِـــنْ أهـــلِ الضَّلالْ
بـــل كنـــتُ محمـــودَ العَقيـــدةِ في الحقيقـــة والخيـــالْ
أعْنُـــو لِمـــنْ تَعنُـــو لَـــه كلُّ النفـــوسِ بـــلا مثَـــالْ[2]
مُتَفرّقـــاً في الكَـــونِ في شَـــتى المَرائـــي وَالخـــلالْ
فـــإذا تَركّـــزَ هـــا هُنـــا بَطُـــلَ التّمحُّـــلُ والجِـــدْالْ![3]

* * *

---

* نشرت في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٧

١- توشيّة: تنقشه وتُحسنه من وَشَى الشيء وشياً: نمقه ونَقشه وحَسنه.

٢- أعنو: أخضع.

٣- التمحل: الاحتيال

تسبيح...! *

لعينيك تَسبيحي وهَمْسُ سَرائري   وفي صَمْتِها المُوحِي مرَادُ خَواطِري
تُطلُّ علــى الدنيا فتوقــظُ قَلْبَها   وتمنحُ هــذا الكونَ إيمانَ شَــاعِرِ
وتَسْــكُبُ في ألحانــه عبقريــةً   من الفــنِّ لم تخطرْ بآمالِ ســاحرِ
وتجلُــو مــن الدُّنيا عميــقَ فنونها   وتكشــفُ في أطوائِها كلَّ خاطرِ
ومِــنْ عجبٍ تُوحِي بفتنةِ ســاحرٍ   وتَهْمِــسُ في صمتٍ بتقديسِ طاهرِ

* * *

لقد شَــفَّ هذا الوجهُ حتى كأنه   خواطِــرُ فنــانٍ نَــديِّ المشــاعرِ
وقد رقَّ هذا الجســمُ حتى كأنه   هَواتفُ حُلْــمٍ ناعماتِ البَشَــائرِ
وقد رقَّ هــذا الصوتُ حتى كأنه   أغاريدُ لَحْنٍ في الســماواتِ عَابرِ
وقد خفَّ هــذا الخَطو حتى كأنه   مــرورُ نســيمٍ بالأزاهــيرِ عاطرِ
وخِلْتُكِ طَيفاً هامساً في ضمائري   وإنــكِ طيــفٌ هَامــسٌ للنواظرِ!

* * *

لأَيقظتِ في نفسي ســعادةَ شاعرٍ   وراحــةَ موهــوبٍ وغِبْطَــةَ ذَاخرِ
وأشــعرْتني معنى الطلاقَة والرِّضَا   ومعــنى الغِنى عــن كلِّ آتٍ وغابرِ
مَدَى فيه من أفــقِ الخلودِ مدارجُ   رَقَيْــتُ إليها في سَــنى منكِ باهرِ
سَــبقتُ به خَطوَ الحيــاةِ لِنَهْجِها   وجُــزْتُ بــه آفاقَهــا في المَعَابــرِ
فيا لَــكِ مِن هَــادٍ سَــنِيِّ المنائرِ   ويَــا لي من سَــارٍ وَحِــيِّ البَصَائرِ

* * *

* نشرت في أيلول (سبتمبر) عام ١٩٣٨

في السماء *

أيقظـــتِ أنبلَ ما يُجِـــنُّ ضَميري   وبعثتِ جوهـــرَ عُنْصِري المَطْمُورِ[1]

فإذا أنـــا الرُّوح التي تَســـمُو بِها   دُنيـــا الحيـــاة لأوْجهـــا المنظـــورِ

وإذا أنـــا النُّـــورُ الـــذي تجلُو به   تلك الحيـــاةُ غَياهِـــبَ الدّيجور[2]

وإذا أنا الشَّـــوقُ الذي يَحدُو لها   فتَغـــذُّ بـــين مَســـالِكٍ وصخـــورِ

وإذا أنا الشّـــعر الذي تَشْـــدُو به   في نَشْـــوةٍ وتجيـــش بالتعبـــيرِ

وإذَا أنا الخـــيرُ المُمَحّضُ والهدُى   والحـــبّ والنّجوى خِـــلالَ ضَميرِ

* * *

فَبأى معجزةٍ كَشَـــفْتِ ضَمائري   وجَلَـــوْتِ كلَّ مُحَجّبٍ مَسْـــتُورِ؟

وغَـــذَوتِ فيَّ فَضَائلـــي ورَوَيْتِها   حـــتى أطلَّـــتْ بالجَـــنى المَذْخُورِ؟

وجعلتِ من زَادِ الخلودِ مَطامِحي   وجعلتِ أشـــواقِي صـــلاةَ طُهورِ؟

بالحبِّ والحُسْـــنِ الوديـــع ونظرةٍ   بيضـــاءَ صافيـــةٍ تُريحُ شُـــعوري

وتُحيلُ أشـــواقي رِضـــاءَ مُخلَّدٍ   راضٍ بِخُلْـــدٍ لم يُشَـــبْ بِقُصُـــورِ

وتُحيلُـــني رُوحاً تَرِفُّ على الوَرى   كالعطف، أو كالحـــبّ، أو كالنُّورِ

فإليكِ تَسْـــبيحي وهَمْسُ سَرائري   وإليكِ غايـــةُ غِبْطَتي وسُـــروري

---

* نشرت في تشرين (أكتوبر) ١٩٣٨

١- يُجِنُّ: يستر.

٢- الدّيجور: الظلام.

بين عهدين *

طِرْتِ عَنْ عُشّــكِ الْجَمِيلِ فَأَوبِي   شَدَّ مَا اشْــتَاقَ طَيْرُهُ أَنْ تَؤُوبِي![1]
كانَ دِفئــاً وَكانَ مَرْتَــعَ صَفْــوٍ   فكَسَــاهُ الصّقِيعُ ثَوبَ القُطُوبِ[2]
مُنْــذُ غَادَرْتِــهِ قَــدِ انْتَثَرَ الحبُّ   وطَاحَــتْ بِــه رِيَــاحُ الْهُبُــوبِ
وتَخَلّــَتْ عِنَايــةُ اللهِ عَنْــهُ   فَهُوَ في وَحْشَــةِ الغَرِيــبِ الكَئِيبِ
وَلَيَالِيــهِ شَــاجِياتٌ حَيَــارَى   يَتَرَامَيْــنَ حَوْلَــهُ مِــنْ لُغُــوبِ[3]

* * *

عُــودِي إلى الْعُــشِّ عــودِي وَرَفْرِفِــي مِــنْ جَدِيــدِ
وَرَنِّمِــي بالأَغَــانِي في جَــوِّهِ وَاسْــتَعِيدِي
وَأَدْفِئِــي بالأَمَانِــي مَــا مَسَّــهُ مِــنْ جُمُــودِ
وَتَمْتِمِــي بالتَّعَاوِيــذِ وَالرُّقَــى وَالنَّشــيدِ
وَأَطْلِقِــي فِيــهِ لَحْنــاً يَشْــدُو لِحُــبٍّ سَــعِيدِ
وَيَطْــرُدُ الْيَــأسَ عَنْــهُ بالشَّــدْوِ والتَّغْرِيــدِ

* * *

* نشرت في شباط (فبراير)١٩٤٢

١- اللغوب: التعب مع الإعياء.

طَـــالَ انْتِظَـــارُكِ وَهْنـــاً فِي ظُلْمَـــةٍ وَكُنُـــودِ[1]
وَالرِّيـــحُ تَعْبَـــثُ فيـــهِ بِـــكلِّ غـــالٍ مَجِيـــدِ
وَكلُّ خَفْـــقِ جَنَـــاحٍ أوْ رَجْفَـــةٍ مِـــنْ بَعِيـــدِ
يخَـــالُ فِيهـــا مَآبـــاً بَعْـــدَ النَّـــوَى وَالشُّـــرودِ

* * *

عُـــودِي إِلى الْعُـــشِّ عُـــودِي وَرَفْرِفِـــي مِـــن جَدِيـــدِ
أضْنَـــاكِ طُـــولُ الشُّـــرُود وَلَـــذّةُ التّصْعِيـــدِ
عُـــودِي إِلى الدِّفْءِ فِي عُشِّـــكِ الأمِـــينِ الـــوَدُودِ
الْعُمْـــرُ يَمْضـــي فَهَيّـــا نُعِيـــدُهُ لِلْوُجُـــودِ

* * *

1- وهَناً: ليلاً ، كنود: المراد في انقطاع

نداء الخريف *

تَعاليْ. أوْشَكَتْ أيامُنا تَنْفَدْ
تعالىْ. أوشكتْ أنفَاسُنا تَبْرُدْ
بلا أمَلٍ، ولا لُقْيَا، ولا مَوْعِدْ
* * *

تعالىْ. هذه الأيامُ لا تَرْجِعْ
ولا تُصْغي لنا الدُّنيا ولا تَسْمَعْ
ولا تُجْدَي شَكاةُ الدَّهْرِ أو تَنْفَعْ
* * *

كلانَا ضَائعٌ في الكون مَفْقُودُ
فَلا هَدَفٌ له في الأرضِ مَشْهُودُ
ولا أملٌ لَه في الغيبِ مَوعُودُ
* * *

ألا مَا أحْمَقَ اثنَيْنِ غَريبَيْنِ!
إذا عَاشَا – مَعَ الحبِّ– فَريدَيْنْ!
وهذا الكونُ لا يَدْري الشَّرِيدَيْنِ!
* * *

نَعَمْ قَدْ أدْمَتْ الأشواكُ قَلْبَيْنَا
وَسدَّتْ هذه الدُّنيا طَرِيقَيْنَا
ولكنْ أينَ مَاضِي حُبِّنَا أيْنَا؟
* * *

---

* نشرت في تشرين الأول(أكتوبر)١٩٤٣

تَعالَيْ نُحْيِ بالأشْواق مَاضينَا
ونَبْعَثْ في حِمَى الحُبِّ ليَالينَا
فهذا الحبُّ إذْ نُحْييه يُحْيينَا
* * *

تعالَيْ لَمْ يَعُدْ في العُمْر مُتَّسَعُ
تعالَيْ لم يَعُدْ في الكَوْنِ مُنْتَجَعُ[1]
وغُولُ الدهرِ لا يُبْقِي ولا يَدَعْ
* * *

تعالَيْ! نَحنُ بَعْثَرْنا السُّويعَاتِ
وضَحَّينَا بأيام عَزيزَاتِ
فيا أُخْتاه يَكْفِينا حَماقَاتِ
* * *

أَجَلْ يا أختُ ما قَدْ ضاع يَكْفِينا
فَعُودي. هَا هُو العُشُّ يُنَادينا
فلا نُخْرِبْه يا أختُ بأيْدينا
* * *

ربيعُ العُمْر يا أُخْتَاه قَدْ مَرّا
فَلَمْ نُطْعِمْه أو نَغْنَمْ بِه ذُخْرَا
وما عَادَ لَنا منْه سوى الذِّكْرى
* * *

١- منتجع: المراد لا يوجد مكان يصلح للإقامة.

فَلا نَخْسَر هَزيعَين مِنْ العُمْر[1]
فَدفْءُ العُشِّ قَدْ يُجْدي لَدَى القَرّ[2]
ورُوحُ الحُبِّ قَد يُحيِي لدى القَبْرِ
* * *

ويا أُخْتَاه زَادُ العُشِّ يَغذُونَا
فإنّ الزَادَ قَدْ قَلَّ بأيْدينَا
وجَدْبُ العُمْرِ يا أُخْتَاه يُؤْذينَا
* * *

تعالَى نَقْطَع البَاقي مِنَ العُمْر
رَفيقَيْنِ على الخَيْرِ عَلى الشَّرِّ
حَليفَيْنِ عَلى اليُسْرِ عَلى العُسْرِ
* * *

تَعالى أوْشَكَتْ أيامُنَا تَنْفَذْ
تَعالى أوْشَكَتْ أنْفاسُنَا تَبْرُدْ
بلا أمَلٍ ولا لُقْيَا ولا مَوْعِدْ

* * *

١- هزيعين: الهزيع :ربع الليل أو نصفه، والمراد هنا مضى أكثر العمر.
٢- القر: شدة البرد.

هتاف روح *

في ليلة دفيئة من ليالي كاليفورنيا(سان فرانسيسكو).

في الجـوِّ يـا مصـرُ دِفءٌ يُدْنـي إلَيّ خيالَـكِ
وتَسْـتَجيشُ حنيـني إلى الليـالي هُنالِـكِ
للأمسـيات السُّـكارى نَشْـوى تَـرِفُّ حِيالَـكِ
ونَسْـمَةٌ فيـك تَسْـري ريّانَـة[٢] مِـن جَمالِـكِ
نجـواكِ مِـلْءُ فُـؤادِي تُـرى خَطَـرتُ ببالِـكِ

* * *

النيـلُ والمـوجُ سَـارٍ يُقَبِّـلُ (الشُّـطْآن)
والبـدرُ والنـورُ سَـاهٍ كحـالمٍ وَسْـنَانْ
وفي الجِـواءِ حنـينٌ مُجَنَّـحٌ حَـيرانْ[١]
ومـن هُنالِـكَ لَحْـنٌ يَهْفُـو إلى الآذانْ
صَـدَاه نَـاءٍ عميـقٌ في نـاي هـذا الزَّمـانْ

* * *

---

* نشرت في نيسان (أبريل) ١٩٥٠

١- الجواء : الواسع من الأمكنة.

في النفـس يـا مِصُـر شـوقٌ لخَطْـرَةٍ في رُبَـاكِ
لِضَمَّـةٍ مِـنْ ثَـراكِ لنَفْحَـةٍ مِـنْ هَـواكِ
لِوَمْضَـةٍ مِـنْ سَـماكِ لِهَاتـفٍ مِـنْ رُؤاكِ
لليلـةٍ فيـك أُخْـرى مـع الرِّفـاقِ هُنَـاك
ظمـآنُ هَتـفُ رُوحـي مـتى تَـراني أراكِ؟

* * *

دعاء الغريب *

(سان فرانسيسكو)

يا نائياتِ الضِّفافْ هُنا فتاكَ الحبيبْ
عليه طَالَ المَطافْ متى يعودُ الغريبْ؟

* * *

متى تَمُسُّ خُطاه ذاكَ الأديمَ المغبّرْ
متى يَشُمُّ شَذاه كالأُقحوانِ المُعَطّرْ؟

* * *

متى تَرى عيناهْ تلك الربوعَ المواثلْ؟[1]
أحلامُه ومُناه تدعوه خلفَ الحوائلْ[2]

* * *

حنينُه رَفّافْ إلى الدِّيارِ البعيدهْ
مَتى مَتى يا ضِفافْ تَأوي خُطاه الشريده؟

* * *

رُؤاكِ في نَاظِرَيهْ تَرِفُّ كالأحلامْ
تُرى هَفَوْتِ إليه على مَدَى الأيامْ؟

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٥٠

١- المواثل: القائمة والمراد هنا قائمة في ذهنه وخياله.

٢- الحوائل: الموانع

ليلاتُــكِ السّــارياتْ كالنَّسْــمَةِ العبقريّــهْ
حالــتْ إلى ذكريــاتْ مُعَطّــراتٍ نَدِيّــهْ

* * *

مُجَنَّحَــاتِ العبــيرْ مُرَفْرَفَــاتِ الأمَــاني
في عَــالَمٍ مســحورْ مُوســع بالأغَانِــي

* * *

هُنالــك حيــثُ خُطــاهْ مَنشــورةٌ في الطريــقْ
مــا زَالَ فيهــا الحيــاةْ تَدْعُــو دُعــاءَ الغريــقْ!

* * *

يــا أرضُ رُدّي إليــكِ هــذا الوحيــدَ الغريــبْ
هَــواهُ وقــفٌ عليــك رُدّي فتــاكِ الحبيــبْ

ابتسامة*

أنِرْ بِفــؤادي كلَّ أسْــوانَ مُظْلِم   ببَسْــمَة رَاضٍ في الحيــاةَ مُنَعَّم[1]
وصَوِّرْ بهــا الآمالَ: إنّــي رأيتُها   تطيــفُ بريّــا ثغــرِكَ المُتَبَسِّــمْ
وطالــعْ بِها وَجْــهَ الحيــاةِ نَديَّةً   تَمسُّ حَشاشــاتِ القلوبِ ببَلْسَم
وتَسْرِي إلى الأرواحِ رُوحاً مَهُوماً   يفيضُ عليها من رِضــاءٍ وأنْعُم[2]
فَدَيْتُــكَ لا تَألُ الحياةَ ابتســامةً   أرقَّ وأحــنى مِنْ خيــالٍ مُهَوِّم[3]
مُرنّحَةَ الأعطافِ تُومِضُ خِلْسَــةً   وتخْطُــرُ في رِفْــقٍ بذيالــكَ الفَم!
فديتُكَ أرْسِلْها على الكَوْنِ غِبْطَةً   تُشَــافِهُهُ هَمْسَ الرَّجَــاءِ المُتَمْتِم
وتدركُهــا الأرْواحُ في خَطَراتِهــا   كما تدركُ الأسمــاعُ هَمْسَ التَرَنُّم
فديتُــكَ لا تــألُ الحياةَ تَبَسُّــماً   فإنــكَ لم تُخْلَــقْ لِغَــيرِ التَّبَسُّــم
وقتكَ الليالي العابســاتُ عُبوسَها   إذَنْ فَتَبَسَّــمْ كيفما شِــئْتَ وَانْعَم

* * *

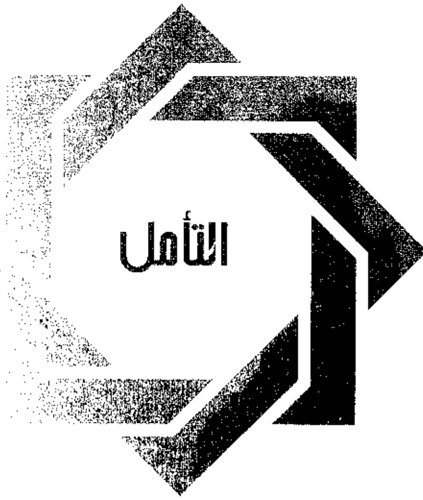
---

* نشرت عام ١٩٣٠

١- أسوان: حزين.

٢- مهوماً: في أوّل النوم.

٣- لا تبخل، لا تقصّر



إلى الشاطئ المجهولِ والعالَمِ الذي

حَننتُ لمرأة، إلى الضفة الأُخْرى؟

إلى حيثُ لا تدري إلى حيثُ لا تُرى

مَعالمُ للأزمانِ والكونِ تُسْتَقْرا

بسمة بعد العبوس
أو
حياة بعد موت*

بَسْـــمَةٌ! أَمْ تلكَ أنْفَاسُ الحياةْ؟ ولقـــاءٌ ذاكَ أَمْ رَجْــعُ العُمُـــرْ؟
نَفْحَـــةٌ تَنْفُثُها[2] تلك الشِّـــفاه تبعـــثُ المَيْـــتَ وتُحيي مـــا انْدَثَرْ

* * *

بَسْـــمَةٌ كاللحـــن مِـــنْ قيثارَةٍ رائـــقِ المعـــنى رَقيـــقِ النَغَمَـــاتْ
أو شَـــذى يَـــأْرَجُ مِنْ نَـــوَّارَةٍ في غُصـــونِ الوردِ زَاكِـــي النَّفَحاتْ

* * *

بَسْـــمَةٌ أنْدَى على القلب الكَليمِ من نسيمِ الصُّبْحِ أو طيفِ الأملْ[1]
بَسْـــمَةٌ تُشْـــرِقُ في الوجهِ الكريمِ كاتبسامِ الزَّهْرِ في الروضِ الخَضِلْ[2]

* * *

نَظَـــرَ الدهـــرُ إليهـــا فابتَسَـــمْ وســـرتْ في القَفْرِ فاخضَّل الجَديبْ
سَـــريان البُـــرْءِ هَوْناً في السَّـــقمِ ودبيبُ الرُّوحِ في المَيْتِ السَّـــليبْ

* * *

ذلـــك القلـــبُ وقد جـــفَّ نَدَاه وغـــدَا أجـــوفَ كالنبتِ الهَشِـــيمْ
وخَبَـــا في أفقِـــه ضـــوءُ الحَيـــاةِ وبَـــدَا كالمعبـــدِ البَالِـــي القـــديمْ

* * *

---

* نشرت في شباط (فبراير) ١٩٢٩

١- الكليم : المجروح

٢- الخضل: من خَضِل يخضَلُ: نَدِى وابتلَ.

ذلك القلبُ قد اخْضَلَّ وَحَنّ   وأحسّ الرُّوحَ في رِفْقٍ تَسيلْ
إذ تَراءى الأملُ الحُلْوُ الأغنّ   في ثَنايا ذلك الثغرِ الجميلْ

* * *

هَتفتْ رُوحي وحَيّاه فُؤادِي   في هدوءٍ شاملٍ ضافٍ حَنُونْ
وتزودتُ من الحبّ بزادٍ   ومنَ الإخلاصِ تُبديه العيونْ

* * *

إنّ عَينيه إذا تَرنُو إلَيَّ   تسكب الرَّوْحَ بقلبِي والرَّجَاءْ
وهو إذ يحْنو بِعِطْفَيه عَليّ   يَغْمُرُ النفس بِفيضٍ من رِضَاءْ

* * *

إنّ في عينيه مَعنى للسُّمُو   فوقَ ما يُدْرِكُ هذا البَشَرْ
وبها آياتُ عَطْفٍ وحُنُوّ   لستُ أدْريها ولكنْ أشْعُرْ

* * *

أتُرى أنْعَمُ مِنْ بعدِ الشَّقاء؟   أترى في الشَّوْك قد تَحيا الوُرودْ؟
بِحَياتي وأمَانِيّ الوِضَاء   عَهْدُنا الغَابِرُ لو كانَ يَعُودْ

هدأت يا قلب؟!*

هَدأتَ يـــا قلبُ فاهدَأ هكذَا أبداً وعِشْ هنيئاً إذا أحْسَسْــتَ سُلْوانا
فجمةُ الحــبّ قد تخْبُــو ويَعقُبُها بَردُ السُّــلُو وتَنْسَــى كلّ ما كانا
فــلا جَفاءٌ ولا شَــكْوى تُردّدُها ولا دَلالَ وَلا وَجْــداً وَتَحْنانَــا
تُمْسي وتُصْبحُ حُرّاً غيرَ مضطربٍ ثَبْتَ الجَنــانِ مُريحَ البــالِ طَمْآنا
نَعَــمْ سَــتعْدمُ حسّــاً رقّ جَانبُه ودَقّ في عــالَمِ الإحســاسِ ميزَانَا
ومَــا يُضيرُكَ مــن فُقْــدانِ رقّتِه إِذَا فَقَــدْتَ بها بُؤســاً وأشْــجَانا
وما الحياةُ إذا رَقّ الشــعورُ سوى بــؤسٍ يَجْرَعُــهُ الإنســانُ غصّانا

* * *

ستُبصرُ الوردَ ورداً والسماءَ كما تَلُوحُ للناسِ والأكــوانِ أكْوانَا !
وتُبْصِرُ الحبَّ شــيئاً أنْــتَ تَعْرِفُه وليس سِرًّا . ويَبْدُو الإلفُ إنسانا !
خلعــتَ ثوبــاً عليه أنــتَ وَاهِبُه لولاه مَــالاَحَ في الأنْظــارِ فَتّانا !

* * *

فخَلِّ يــا قلبُ آمــالاً تجيشُ بها فقــد تغْــررك الآمــالُ أحيانَــا
هــذا الهــدوءُ تُنَمّيــه وتَأَلَفُــه فيســتحيلُ مــع الأيــامِ نِســيْانًا

* * *

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٢٩

الدنيا

إيــه يــا دُنيا ومــا أَنْتِ سِــوى عبــثِ الأطفــالِ فيمَــا يلعبُون
ضَجّــةٌ صاخِبــةٌ لا تحتــوِي غــيرَ أَصْــدَاءٍ قَويــاتِ الرَّنــينْ
فــإذا فَتّشْــتَ عــن مَبعثِهــا لم تجدْ شــيئاً تُخْبِيــه الوُكُون![1]

* * *

عودة الحياة*

عَجَــبٌ خَفْقُــكَ يــا قلــبي في هــذه الأضلعِ من بعــدِ الخُفُوتْ!
أَوَمــا زلــتَ إِذنْ لم تَشْــتَفِ مِنْ حنــينٍ فيك حَــيٌّ لا يموتْ؟

* * *

أوَ مَــازالَ إذنْ نبــعُ الحيــاة لم يَغِــض فيك ولم ينضــب مَعينُهْ
رُبّمــا فَــاضَ على تلــك الفلاةِ في فؤادٍ مُقْفِــرٍ جَفّــتْ غُصُونُهْ!

* * *

طــالَ عَهِــدى أيُّها القلــبُ به ذلــك الخفــقُ الــذي ذَكّرتَنِيــه
ذلــك الخَفْــقُ الــذي لا ينتَهى حيث يَســرِى الشّــعْرُ كالتيارِ فيه

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٠

١- الوكون: مفرده وكنٌ والوكن: عش الطائر حيث كان.

كـــم ربيـــعٍ مَـــرَّ يتلُـــوه ربيعٌ وفـــؤادي في خريـــفٍ راكـــدِ
هَامدَ الإحساسِ جَاثٍ بالضلوعِ في حيـــاةٍ ذاتِ نَمَـــطٍ واحـــدِ
* * *

وحُرِمْـــتُ الحِسَّ ، حـــتى بالألَمْ والنَّـــدى حتى بتســـكابِ الدُّموعِ
إيه . مـــا أقفرَ إحســـاسَ العَدَمْ والأمانـــي راكـــداتٌ في القَنُـــوعِ
* * *

هاتِ ياقلبُ من النبـــضِ القَويِّ وتَفَتـــحْ كلَّ يـــومٍ عَـــن جديـــدِ
لَم يَـــزَلْ في جَعْبَةِ الكَـــوْنِ الغَنيّ مَـــا يُغَذّيـــكَ بأحـــلامِ الوُجُـــودِ
* * *

وإذا لَم تســـتطعْ فاخلـــقْ حَيَاه! من شُخوصِ الوهمِ أو طيفِ الأمانِي
ومن الحبّ، وما صاغـــتْ يَدَاه مـــن جحيـــمٍ يتلظّـــى أو جِنَـــانِ
* * *

البعث *

قد بُعثتُ اليومَ أحْيا مِنْ جَديدٍ   فهو بَعْثٌ من حياةٍ خَامدةْ
مَرَّ نِصفُ العُمرِ أو كادَ يزيدُ   لهفَ نفسي – في حياةٍ رَاكدةْ
في حياةٍ لم أجِدْ فيها حَياه!
بَلَغَ العُقْمُ بها أقْصَى مَدَاه
وتبدَّتْ بَلقعاً مثلَ الفَلاه[1]
ثم لاحتْ تتَراءى مِنْ بَعيدٍ   شُعلةٌ مِن نارِ حُبٍّ وَاقدةْ
تُلهبُ الحسَّ وتَسْتوحي القصيدْ   والأناشيدَ العذابَ الخالدةْ
شاعرٌ قد صِيغَ من فيضِ الشعورِ   مُلْهَمَ الفِطْرةِ منْهُومَ النّظَرْ[2]
نابضٌ بالعطفِ حَساسُ الضميرِ   يُدركُ الهَمْسَةَ تَسْري في حَذَرْ
كيفَ يَحيا – وهو هَذا – في عَمَاءْ
مُغْلَقَ الإحْساسِ مَطْمُوسَ الرّجَاءْ
مُقْفِراً كالكهفِ مَحْجُوبَ الضيّاءْ؟
هكذَا عِشْتُ كسكانِ القُبورِ   في ربيعِ العُمْرِ في العهدِ النّضِرْ
آه لو أسْطيعُ للماضِي الحسيرِ   رَجْعَةً من بعدِ ماجَاء وَمَرْ!

* * *

* نشرت عام ١٩٣٢
١- بلقعاً: خالياً من كل شيء، يقال: مكان بلقع
٢- منهُومُ: الجائع، شديد الرّغبة بالشيء.

كنتُ أُحييه كما يَحيا الشبابُ!   نابضــاً بالحــبّ جَيّــاشَ الأمانــي
مُمْسكاً أهدابَه خوفَ الذَّهابِ   مُســتعزّاً فيه حــتى بالثوانــي![1]
ظَافــراً أمــرحُ فيــه كالطيــورْ
حينمــا تشــدُو بألحــانِ البكورْ
بعدمــا تَنْفحُهــا ريــحُ الزهورْ
نصفُ عُمْري قَدْ تَولّى في اكْتئابِ   فلأقض النصفَ نشــوان الأغانِي!
هائماً ألْهــو بمعســولِ الرّغَابِ   أو أُغنّــى بالأمــانِيّ الحِســانْ!

* * *

١- أهداب: مفردها هُدبة: طرف الثوب الذي لم يُنسج.

الشعاع الخابي*

لاحَ لي من جانبِ الأفُق شُـعاعٌ   بينمـا أخبِطُ في داجـي الظّلامِ
في صحارى اليأسِ أسْرِي في ارتياع   حيثُ تبدو مُوحشاتٍ كالرِّجامِ[1]
حيثُ يَسْرِي الهولُ فيها واجما
ويطوفُ الرُّعب فيها حَائمَا
والفناءُ المحضُ يبدُو جاثما
وترى الأشـباحَ في رأسِ التّلاع   كالسّعَالي، أو كأشـباحِ الحِمامِ[2]
فاغـراتٍ تَتَشـهى الابتـلاعَ   تنهشُ اللّحَم؛ وتَفْـري في العِظَامِ

* * *

فَتلفـتُّ علـى الضـوءِ يَلُوحُ   مِثْلَمـا تَلْمَـحُ عـيْنُ السَّـاهِرِ
أو كما تَهْمِسُ في الأجداثِ رُوحٌ   أو كمعـنى شَـاردٍ في الخاطـرِ
قد تلفتُّ بقلبٍ مُستَطارْ
شَفَّه الذُّعْرُ وأضناه العثَارْ[3]
طَالما رجّضى تَباشير النهارْ

* نشرت عام ١٩٣٢
١-الرّجام: من رجم القبر: وضع عليه الرّجام.
٢- السعالى : مفردها السّعلى: الغول.
٣- شفه: من شَفّ أي نحل ودقّ من همٍّ أو مرض ويقال : شَفّه الحبُّ أو الهمُّ.

ثُم أزمعــتُ إلى الأفُــقِ الصَّبُوحِ   أرتجـــي فيـــه أمـــانَ الحائـــرِ
أصعَدُ الرابِيَ وأهوَى في السُّفوحِ   وكأني طيـــفُ جِـــن نَافِـــر
ثُمَ مـــاذا؟ ثم قَـــدْ سَـــاد الحَلَكْ   فَجْـــأةً والقَبَـــسُ الهـــادي خَبَـــا
ثم أحسســـتُ بدقـــاتِ الفَلَـــكْ   لاَهثـــاتٍ، تَتراخَـــى تَعبَـــا
رجفةُ الخائف أَضْنَاهُ العَياءْ
وهو يعدُو لاَهثاً عَدوَ الطّلاءْ[1]
قبلما يَلْحقُها غُولُ الفَنَاءْ
وإذا قلـــبي خَفُـــوقٌ مُنْتَهَـــكْ   ليـــس يَـــدري لخـــلاصٍ سَـــبَبَا
حولَـــه الظُّلْمـــةُ في أيِّ سَـــلَكَ   حيـــثُ ينســـى الهاربُـــون الهَرَبَا!

***

قلتُ ماذا؟ قال لَي: رَجْعُ الصَّدى   إيه مـــاذا؟ قلـــتُ للوهـــم عَلامَا؟!
قال لي اخشعْ أنْت في وادِي الرَّدى   حيث يَطْوِي الضَّوءَ طُرًّا[2] والظَلامَا!
ها هنـــا تُثوي الأمـــانيِ؛ هَا هُنا
فَي مَهاوِي اليأسِ في كَهْفِ الفَنَا
كل شـــيءٍ هالِـــكٌ، حـــتى أَنَا!
ثم ضَـــاعَ الصوتُ يَفْنَـــى بَدَدَا   وتَلاشَـــى تـــاركاً منـــه النَمامَـــا[3]
وإذا بِـــي عُدْتُ أَسْـــرى مُفْرداً   لا أرى شـــيئاً، ولا أدْرِي إلامَـــا!

١- الطّلاء: مفردها الطّلا، والطلا: ولد الظبية
٢- طُرًّا: جميعاً
٣- النماما: الآثار الباقية

في الصحراء*

في ليلة من ليالي الخريف المقمرة، الراكدة الهواء؛ المحتبسة الأنفاس، وفي صحراء جبل المقطم الموحشة، وبين هذا القفر الصامت الأبيد[1] - كانت تتراءى نخلات ساكنات في وجوم كئيب ومن بينها نخلتان: إحداهما طويلة سامقة، والأخرى قصيرة قميئة.

بين هاتين النخلتين دار حديث. وكانت بينهما همسات ومناجاة!

* * *

الصغيرة:

ما لنــا في ذلــك القفــرِ هُنا مَا بَرحنــا منذ حين شَــاخصَاتْ؟

كلُّ شــيءٍ صامتٌ مِــن حَوْلنا وأرانــا نحــن أيضــاً صَامتــاتْ!؟

تطلُعُ الشــمسُ علينا وتغيبْ

ويطلُّ الليلُ كالشــيخِ الكئيبْ

والنجومُ الزُّهْــرُ تغدُوَ وتَئُوبْ

وهجيرٌ وأصيلٌ... وطلوعٌ وأفولٌ... ثم نَبقَى في ذهولٍ ساهماتْ!

* * *

أفلا تدرينَ يــا أُخْتي الكبيرةُ مــا الــذي أطْلَعَنــا بــينَ اليبــابْ؟

أيَمــا إِثْــمٍ جنينْــا أو جريرةٍ سَــلَكَتْنا في تجاويــفِ العــذابْ؟

١- الأبيد: الموحش

قد سئمت اللّبْثَ في هذا المكانْ
لَبثَةَ المَصْلُوبِ في صُلْبِ الزمانْ
أفما آن لتبديل... أوان؟
حدثيني لِم نَشْقَى؟ حدثيني كم سَنَلْقَى؟ حدثيني كَم سَنَبْقَى واقفات؟

* * *

الكبيرة:
أنا يـــا أُختــاه: لا أدري الجوابَ وَدَفِـينُ السِّــرِ لم يُكْشَــفْ لَنا
منذ مـــا أطلعتُ في هـــذا الخرابِ وأنــا أســألُ: مـــا شَــأنِي هُنا؟
فيجيبُ الصمتُ حَولي بالسُّكُونْ!
وأنا أخبط في وادي الظنونْ
لستُ أدري حِكْمَةَ الدَّهرِ الضنينْ[١]
غير أنا حائراتٌ... والليالي العابثاتُ... تتجنّى ساخراتٍ لاهيات!

* * *

رُبّمـــا كُنّـــا أســيراتِ القَـــدَرِ تَســخَرُ الأيـــامُ مِنّـــا واللّيالِـــي!
تَضـــرِبُ الأمثـــالُ فينَـــا والعِبَرَ وإذا نشـــكُو أذَاهـــا لا تُبَالِـــي!
رُبما كُنا مَساحيرَ الزَمنْ!
قد مُسخْنَا هكذا بين القُنَنْ[٢]
في ارتقابِ الساحرِ المُحْيي الفَطِنْ!
فإذا كان يعود... فكّ هاتيك القيود... فرجعنا للوجودِ ظافرات!

١- الضنين: البخيل: الشحيح
٢- القنن: مفردها قنّة: وهي قمة الجبل

أو ترانـا نَسْـلَ أربـابٍ قُدَامى   قـد جَفَاهـا وتَولّـى العابدُون!
جَفَّتْ الـكأسُ لديهـا، والنّدامى   غـادروا ندوتَها تَنْعِـي القرُون
أو ترانا مَسْخَ شيطانٍ رجيمْ!
صَاغَنا في ذلك القفرِ الغَشُومْ!
وتولّى هارباً خوفَ الرُّجُومْ!
فبقينا في العَراءِ.. يجتوينا كلُّ راءٍ..   وسَنَبْقَى في جَفاءٍ شاردات[1]

* * *

لسـتُ أدرِي، كلُّ شيءٍ قد يكونُ   فَتَلقّـي كلَّ شـيءٍ في سُـكُونْ
وإذا مـا غَالنـا غُـولُ المَنـونِ   فهنـا يَغْمُرُنـا فيـضُ اليقـينْ!

* * *

ثم سَـادَ الصمـتُ كالطيـفِ الحزيـنْ
وتَسَـمّعْتُ لأقـدامِ السـنينْ
وهـي تَخْطُـو خَطْـوةَ الشيـخِ الرزينْ
هامساتٍ في الرمالِ   مُنشِداتٍ في جلالِ   كلُّ شيءٍ للزوالِ والشتات

* * *

١- يجتوينا: يكرهنا من اجتوى: كره

بين الظلال *

يـــا ذِكْرَيـــاتي البعيـــدةَ
يـــا أُمنياتِـــي الشَّـــريدةَ
إليّ قبـــلَ الصبـــاحِ
إليّ مِـــنْ كلِّ صـــوبِ
فَهينمِـــي حـــولَ قلـــبي
فانـــت وَحْيِـــي وزَادِي
غَفلْـــتِ يـــا ذِكْريـــاتِي
بـــين اصطخـــابِ الحيـــاةِ
وكلِّ جَـــأرٍ قـــويٍّ![٢]
ســـهوتِ يـــا أُمنياتِـــي
إلى مَراقِـــي الحيـــاةِ
بحاضـــرٍ مَأتِـــيَّ

---

* نشرت عام ١٩٣٤.
١- الهينمة: الصوت الخافت.
٢- الجأر: الضخم (من الرجال)

يا ذكرياتِيَ البعيدةَ في عالمِ الأشباحِ
يا أُمنياتي الشريدةَ في عالمِ الأرواحِ
إلىّ قَبلَ الصَّباحِ

الليلُ أرْخى سُتُورَه في هُدْأة كالخُلودِ
والبدرُ أرْسَلَ نورَه كبَسْمَةٍ من وَليدِ
راضِي المُحيَّا سعيدِ

وخَفَقَ الكونُ خفقاً قد ضَرَّمتْهُ الليالي
وعادَ يَهْمِسُ رِفْقاً بذكرياتِي الخَوالي
وأمنياتِي الغَوالي

وجدتُ نَفْسي وكانتْ ضَاعَتْ ضَياعَ الإياسِ
ورُضْتُ نَفْسي فَلانتْ من بَعْدِ طولِ الشّماسِ
وبعدِ صعبِ المِراسِ

ورفرفتْ ذكرياتٌ أثرنَ قَلْبي حنينَا
ونضَّرَتْ أمنياتٌ ذَبُلْنَ كالزهرِ حِينا
فيالصنعِ السنينَا

يا ذكرياتِيَ البعيدةَ في عالمِ الأشباحِ
يا أمنياتِيَ الشريدةَ في عالمِ الأرواحِ
إلىّ قبلَ الصباحِ

فالفجُر في الكونِ لاحَ
والصبحُ يُذْكِي الصياحَ
فأقبلِي في انفرادِي ورفرفِي في فؤادِي

* * *

الإنسان الأخير*

صَحَا ذاتَ يومٍ حينَ تَصْحُو البَواكِرُ   وتستيقظُ الدُّنيا وتَجلُو الدَّياجِرُ[1]
ويُشْرِقُ وجهُ الصبْحِ في غمرةِ الدُّجَى   كما تشــرقُ الآمالُ واليأسُ غَامِرُ
وتضطربُ الأنفاسُ خَفّضَها الكَرى   وتخفــقُ أرواحٌ وتَذْكُو مَشَــاعِرُ
وحينَ يعِجُّ الكونُ بالصوتِ والصَّدى   وبالكدحِ تُزجيــه المُنى والمخاطرُ
وبالصرخةِ الهوجاءِ والضحكةِ التي   يَضجُّ بها الأحياءُ، والدّهرُ سَــاخِرُ

* * *

ولكنّــه لم يُلْــفِ بالكــونِ نَأمَــةً   تَنِمُّ على حــيٍّ، ولم يَهْفُ خَاطِرُ
ففي نفســه ما يُشــبه الموتَ سَكْرَةً   ومن حولِــه موتٌ نَمتْــه المقابرُ
جَــلالٌ كأنَّ اللهَ أطلَــعَ وَجهــه   عليه؛ فقرّتْ في النفوسِ الضمائرُ
وصَمْتٌ فما في الكونِ صوتٌ ولا صَدَى   ولاَ خَفْقَةٌ يُحْيي بها الكَوْنَ شاعرُ
فــأدركَ في أعماقِــه عَــن بَديهــةٍ   نهايةَ ما صَــارتْ إليــه المصائرُ

* * *

وما هَمَّ بالتنقيــبِ عن أيِّ صاحبٍ   ففي نفسِه يأسٌ من النفسِ صادرُ
ولكنــه أَلْقَــى بهــا عَبْــرَ نظــرةٍ   على الكــونِ والأيامِ وهي دوائرُ

* نشرت عام ١٩٣٤

١- الدّيجور: ذ الظلام والجمع : دياجر

٢- عَجَّ يعجُّ: رفع صوته وصاح.

٣- نأمة: الصوت الضعيف الخفي أيّاً كان

رُكامٌ وأشـــلاءٌ وأطـــلالُ نعمـــةٍ وبؤسٌ، وشَـــتى ما حوتَه الأداهرُ
وفي نفسِـــه مـــن مثِلهـــا كلُّ ذَرَّةٍ فهاتيك أشـــلاءٌ وهَذي خواطرُ
تجَمَّـــعَ فيها مـــا تَفَـــرَّقَ في الوَرَى وما ضَمنَتْ تلك السُّنونُ الغوابرُ
خلاصـــةُ أعمارٍ وشـــتى تجـــاربٍ ومجمعُ أشـــواقٍ بها الكونُ حَائرُ

* * *

وأوغَل في إطْراقةٍ مِلْؤُها الأســـى فمرّت عليـــه الذكريـــاتُ العَوابرُ
تَحثُّ خُطَاهـــا مَوْكِباً إثرَ مَوْكِبٍ وقد جاورتْ فيها المآســـى البَشَائرُ
وأقبلـــتْ الآمالُ واليـــأسُ حَولها تُمزّقُهـــا أنيابُـــه والأظَافـــرُ
وجّمع فيهـــا الخيرَ والشـــرّ رابطٌ من النفسِ مشـــدودٌ إليها مُخَامِرُ[٢]
وشَـــتى عبـــاداتٍ وشـــتى عقائدٍ يُؤلّفُهـــا الإيمـــانُ وهـــي نَوافِـــرُ
وفيهـــا من المجهولِ ســـرٌّ وروعةٌ ورغبـــةُ محـــرومٍ وخوفٌ مُســـاوِرٌ
وقد كانَ في المجهولِ مَطْمَحَ كاشفٍ تُحَجّبُـــه عـــن طالبيـــه السّـــتائرُ
فياليتَه يَـــدْرِى بما خَلْف سِـــتْرِه فيختم سِفْرَ الناسِ في الأرض ظَافِرُا![١]

* * *

١- مخامر: خَامَرَ الشيء: مراسه وخالطه وخامر المكان: لزمه وأقام به.
٢- مساور: واثب ثائر، يقال: ساورته الهموم والهواجس والأفكار : صارعته.
٣- سِفرَ الناس: كتاب الناس

وعادتْ له الآمــالُ إذ جدّ مَطْمَحٌ يُرْجَــى، وأَذْكاه الخيــالُ المغامرُ
لعــلَ وراءَ الكــونِ مِفْتَــاحُ لُغْزِه وطلْســم ما ضُمَّتْ عليه السَّرَائرُ
وما هي إلا وَمْضَةٌ تَكْشِــفُ الدُّجَى ويخلعُ هذا الجســم والجسمُ جَائرُ
ولــولا مواثيــقُ الحيــاةِ تُشــدُّه إليهــا لأمضى عَزْمَــهُ وهو صَابِر.
وخلّف هذا الجسمَ للموتِ والبِلى وأشرقَ رُوحا حَيثُ تَصفُو البصائرُ
وعَــاودَه حــبُّ الحيــاةِ لِذاتِهــا وقد أَجْفَلتْ تلك النَوازِى الكوافرُ
وهاجتْ به الأطماعُ حُبّ امتلاكها لــه وحدَه والنــاسُ مَيْــتٌ وداثر
فعــادَ إلى الدُّنيا العريضــةِ مالكاً ولا مَنْ يُلاحيه ولا مَن يُشــاطرُ!
ولكنّــه لم يســتطبْ مُلْكَــه الذي تمحّــض لا يســعى بــه أو يغامرُ
وما فيه مــن كدٍّ ولا من تســابق ولا ســابقٌ في الكادحــين وقاصرُ
وكيــفَ يطيبُ العيــشُ إلا تزاحماً فيرْبَــحَ مجدودٌ ؛ ويَخسَــر عَاثِرُ؟!

***

هنالك دوّتْ في السماكين صيحةٌ دعاءٌ لعزرائيــلَ والكونُ سَــادِرٌ
((بَرِمْتُ بهذا الكونِ هَمدانَ مُوحِشاً بَرِمْــتُ بِمُلكِ رَبُّه فيه خاســـر))
((فهيا إِذنْ للمــوتِ أَرْوحُ رِحلةٍ لِتُكْشَــفَ أَسْــتَارٌ ويَهــدَأَ ثَائرُ))

***

وفيما يُعانِي سَكْرَةَ الموتِ هَينَمَتْ[٢٧] إلى مَسْــمَعيه هاتفــاتٌ ســواحِرُ
((هو السّرُ أن تهفو إلى السّرِ لهفةٌ وأن تَشْتَرُوا الآتِي بِما هُو حَاضِرُ))!

إلى الشاطئ المجهول *

تَطِيفُ بنفسي وهي وَسنانة سَكْرَى هواتفُ في الأعماقِ سَاريةٌ تَتْرى[1]
هواتفُ قد حُجِّبْنَ؛ يَسرين خِفْيةً هوامسُ لَم يكشِفنَ في لحظةٍ سِتْرا
ويَعْمُرنَ من نفسي المجاهلَ والدُّجَى ويُجَنِّبْنَ من نفسي المعالمَ والجَهْراَ
وفيهن مَنْ يُوحين للنفسِ بالرّضا وفيهن مَن يُلْهِمْنَها السُّخْطَ والنكْرَا
ومن بينِ هَاتيك الهواتفِ مَا اسْمُه حنينٌ، ومنهُنَّ التشوقُ والذّكْرى!
أَهَبْنَ بنفسي في خُفوتٍ ورَوعَةٍ وسِرنَ بهمسٍ، وهي مَأخُوذةٌ سَكْرَى
سَواحِرُ تَقْفُوهُن نفسي ولا ترى من الأمرِ إلا ما أردنَ لها أمراَ!
إلى الشاطئِ المجهولِ، والعَالَمِ الذي حَنِنتُ لمرآه؛ إلى الضّفةِ الأخرى
إلى حيثُ لا تدري إلى حيثُ لا ترى معالمَ للأزمانِ والكَوْن تُسْتَقْراَ.
إلى حيثُ ((لا حيثُ)) تُميزُ حدودَه! إلى حيثُ تنسى الناسَ والكونَ والدّهرا
وتشعر أن (الجزءَ) و(الكلّ) واحدٌ وتَمْتزِجُ في الحسّ البداهةَ والفِكْرَا
فليس هُنا (أمسُ) وليس هنا (غَدُ) ولا (اليومُ) فالأزمانُ كالحَلْقَةِ الكُبْرى
فليس هُنا(غيرُ) وليس هنا (أنا) هُنا الوَحْدَةُ الكُبْرى التي احْتجبتْ سِراً

***

* نشرت عام ١٩٣٤

١- وسنانة: أخذت في النعاس، وهو مبدأ النوم، تترى:: متتابعة.

خَلَعتُ قيودي، وانطلقتُ مُحلّقاً   وبي نشوة الجبارِ يَستلهِمُ الظَّفرَا
أُهوّم في هذا الخلودِ و أرتقي   وأَسْلُك في مَسْراهُ كالطيفِ إذ أَسْرَى
وأكشفُ فيه عَالماً بعدَ عالمٍ   عجائبَ مازالتْ ممنّعةً بِكْرَا
لقد حَجَبَ العقلُ الذي نَستشيرُه   حقائقَ جلّتْ عن حقائقنا الصُّغْرى
هُنا عَالَمُ الأرْوَاحِ فَلْنَخْلَعْ الحِجَا!   فَنَغْنَمَ فيه الخُلْدَ والحبَّ والسّحْرَا

***

السر
أو
الشاعر في وادي الموتى *

اعتاد الشاعر أن يتردد كثيراً على وادي الموتى في أوقات مختلفة، أكثر ما تكونُ عند مغرب الشمس، وقبلَ طلوعها !

وهو يجد في هذه الزيارات، لذةً غريبةً ، كما يجد مجالاً لتأملاتٍ غيرِ محدودة ؛ ولكنها تُثيرُ فيه الشوقَ لمعاودها كَرةً أخرى.

وفي مرة منذ ستة أعوام ؛ أرِقَ في الهَزيع الثاني، فجال بخاطره، أن يلجأ إلى حِمى المَوتى، مدفوعاً بشعورٍ غَامض، لا يبالي وحشةَ مثل هذه الأماكن ، في جُنْحِ الليل المُدْلَهِم!

وسار خطواتٍ، ولكنه أحس بالرهبة؛ وساوره الوجل، وشعر كأن أصواتا من وراء الحفائر تتناجى، ثم تُوجّه إليه الخطاب.

ليس للشعر يد في هذا التصوير؛ فهو الحقيقة التي أحسها ، كما يسمعُ الصوتَ ، وكما ينظر المرئياتِ .

وقد عاد صامتًا واجماً؛ وبعد أن ذهب عنه الرّوع، حاول أن يفسر عن طريق (الوعي والتأمل) ما دفعه لهذه الرحلة، وما شعر به في أعماق نفسه.

ولقد ظل يعجز عن ذلك، كلما حاوله؛ مدى ستة أعوام، حتى استطاع في هذا العام، أن يترجم هذا الشعور شعرا؛ بعد أن فقد كثيرا من روعته، ووصل إلى الدرجة التي يستطاع عنها التعبير.

***

---

* نشرت في ١٩٣٤.

مَنِ الطارقُ السَّارِي خلالَ المقابرِ كخَفْقَةِ رُوحٍ في الدُّجْنَاتِ عَابُرِ[1]؟

من الوجِلُ المذعورُ في وحشةِ الدُّجَى تقلِّبُــه الأوهــامُ في كلِّ خَاطــرِ؟

ينقّــلُ في تلك الدياجــيرِ خَطْوه ويخطــرُ في هَمْسٍ كَهَمْسِ المُحاذرِ؟

وقد سَــكَنَتْ مِنْ حَولِهِ كلُّ نَأمَةٍ سِــوى قلبه الخفاقِ بينَ الدَّياجرِ؟

وغَشّاه رَوعُ الموتِ، والموتُ رَوعةٌ تَغْشَــى، فيعنُو كَلُّ نِكْسٍ وَقَادرِ؟

* * *

«هو الشاعرُ الملهوفُ للحقِّ والهُدى وللســرِّ لم يَكْشِــفْه ضَوءٌ لناظرِ!

تحيَّر في ســرِّ الحياةِ ومــا اهتدى إليه، ولَــم يَقْنَعْ بتلــكَ الظَّواهرِ

وسَاءلَ عنه الكونَ والكونُ حائرٌ يســيرُ كَمغْصُوبٍ بأيدِي المقادرِ!

وسَاءَل عنه الموتَ، والموتُ سَادرٌ وسَاءَل عنه الشِّعَر في حَنَقٍ ثَائرِ![2]

وسَاءَل عنه كلَّ شــيءٍ، فلم يَفُزْ بشــيءٍ ولم يرجعْ بِصَفَقَــةِ ظَافرِ

* * *

أفي هذه الأجداثِ طِْلَسْــمُ سِرّه لعلَّ! فمــن يَدْرِي بســرِّ المقابرِ؟

ألم يخلــعْ الموتــى الأحابيل كلَّها؟ أحابيــلَ أوهامِ الحيــاةِ الجَوائرِ![3]

ألم يتركُــوا الدُّنيــا الغَــرورَ لأهلِها؟ ويستوثقُوا مما وراءَ المصائرِ؟

١- الدُّجنات: الدُّجنة: السواد أو الظلمة

٢- سادر : غير مبال بشيء.

٣- الأحابيل:مفردها الأحبيول، والأحبولة: المصيدة، والمراد هنا المظاهر الخادعة.

ألا تهمسُ الأرواحُ بالسرِّ إنْ سَرى   إليهـــا؟، ألا تُهدِي اليقـــينَ لحائرِ؟
أجلْ! رُبّما تُعْطِي الجوابَ لســـائلٍ   ورُبّمـــا تجلُـــو المصـــيرَ لشـــاعرِ!

* * *

وفيما يُناجي في حِمى الصمتِ نَفْسه   تَســـمَّع هَمْســـاً من خلالِ الحَفائرِ
«مَنِ الطارقُ السّاري خلالَ المقابرِ   فَأقلـــقَ مِنّا كلَّ غَافٍ وسَـــاهرِ»؟
«أما يَقْنَـــعُ الأحياءُ بالرّحْبِ كلِّه؟   أيَا ويحَ للأحيـــاءِ صَرْعَى المَظَاهرِ»
«تَرَكْنا لهـــم دُنْياهُمـــو ودِيارَهم   ولم يَدَعُونـــا في حِمى غـــيرِ عَامرِ»

* * *

وقالَ فتى منهـــم حديثٌ قُدومُه   بنَغْمَـــةِ إشْـــفاقٍ، ونَبْرةِ سَـــاخرِ!
«لعلّ الذي قَدْ دَبَّ في ذَلك الحِمى   وأيقـــظَ في أحْشَـــائه كلَّ سَـــادِرِ»
أخُو صَبْوةٍ، يهفُـــو إلى قبرِ مَيّتٍ   لَـــهُ عنده وَجْـــدٌ وتَحنـــانُ ذَاكرِ»
«يقرِّبُـــه منها التَّذَكُّـــرُ والهوى   وتُبْعِـــدُه عنهـــا غِلاظُ السّـــتائرِ»
«ومَا أخْدعَ الحبَّ الذي في ديارِهم!   يُغَشّـــى عَلى أبصارِهـــم والبَصائرِ»
وقالتْ لَهم أُمٌّ وفي صوتِها أســـىً   وَنَبْـــرةُ تَحنـــانٍ، وكِتْمـــانُ صَابرِ
«ألا رُبّما كانـــتْ ثَكُولاً حَزِينةً   على فَلْـــذةٍ مِـــنْ قَلبِهـــا المُتَناثرِ»
«ورُبّما كانتْ عَجُـــوراً تَأيّمَتْ   وضَاقتْ بِدَهْرٍ نَاضبِ العَونِ غَادرِ»

* * *

وقَدْ ذَهبُوا في حَدْسِهم كلَّ مَذْهبٍ وفيما حَوَتْه نَفْسُـــه مِنْ مَشــاعرِ!
وجَلْجَلَ صوتُ الشيخِ يدْوِي كأنّما هو الدهرُ في صوتٍ من الرّوعِ ظَاهرِ
«مَنِ الطارقُ السَّارِي خلالَ المقابرِ فأقلق منَّــا كلَّ غَافٍ وسَــاهرِ!»

* * *

فقال أخو الأحياء، والقلبُ خافقٌ منَ الوَجَلِ الأخَّاذِ، في صَوْتٍ حاسرِ
«أنــا الحيُّ لمَّا يدرِ أســبابَ خَلْقه أنا المُدْلجُ الحيرانُ بــينَ الخواطرِ»
دلفــتُ إلى وادي المَنَايَــا لَعلَّني أفــوزُ بســرٍّ في حَنَايــاه غائــرِ؟
أمــا تَعلَمُون السّــر في خَلق عَالمٍ يموتُ ويَحيَــا بينَ حــينٍ وآخرِ؟
وَتكْنُفُــهُ الأحداثُ من كلِّ جَانبٍ ويركبُ للغاياتِ شَــتى المَخَاطرِ؟
وليــس لَــه من غايــةٍ غــيرَ أنَّهُ مَسُــوقٌ إلى تحقيــقِ رَغْبــةِ قَاهرِ!
ضنينٌ بمــا يَبغيــه ليــس يُبيحُه لســائله عَمَّــا وراءَ الظَّواهــرِ
ومــاذا لقِيتم بعد ما قَــدْ خَلَعْتُمو قيــودَ الليالي الخادعــاتِ المَواكرِ؟
وماذا وراءَ الغيبِ، والغيبُ مُطْبقٌ؟ وهَــلْ يتجلَّــى مــرةً للنواظــرِ؟
سؤالُ أخي شوقٍ، وقد طالَ شَوقُه وحيرتُــه، بينَ الشــكوكِ الكَوافرِ

* * *

أرَيْتَ لو أنَّ الهــولَ صوّرَ منظراً تُجلِّلُــه الأخطــارُ جَــدَّ غَوامرِ؟
كذلك سَــادَ الصمتُ بين الحفائرِ ورَانَ علــى أرواحِهــم والضَّمائرِ
وأذْهَــلَ هَاتيك النفوسَ فخفَّضَتْ من البَهْــرِ[٩٢] والإعياءِ دقَّاتِ طافرِ!

وجَلْجَلَ صوتُ الشيخِ يَدْوِي كأنّه يُحَــدِّثُ مِنْ كَوْنٍ قَصِــيٍّ المَعَابِرِ!
أيــا وَيْلهــا تلك الحيــاةَ وأهلهَا تُكَشِّــفُ عن بلوائِها كلَّ سَــاترِ!
وتطلبُ أســبابَ الشَّقاء لنفسِها! فتضرِبُ في تيهٍ من الشكِّ حَاضرِ!
لقد أغمضَ الموتُ الرحيمُ جفونَنَا وهَــدَأ في أفكارِنــا كلُّ نَافــرِ
نســينا ســؤالاً؛ لم يزلْ كلُّ كائنٍ يــردّدُهُ حــيرانَ في حَــزَرٍ حَازِرِ
نســيناه فارتحْنا مــن الحَيْرةِ التي خَســرْنا بها الأعمارَ جَــدَّ نواضرِ
وها أنــت ذا تُذْكيه. يا لك جائراً ويــا لكَ مخدوعــاً بســرِّ المَقَابرِ!
وهــا نَحن وَدَّعنا هــدوءاً وهينةً شــريناهما بالعُمرِ، يا للخســائرِ!
أريْتَ لو أنَّ الهــولَ صَوَّرَ مَنظراً تجلُّلُــه الأخطــارُ جَــدَّ غَوامرِ؟
كذلك سَــادَ الصمتُ بينَ الحفائرِ ورانَ علــى أرواحِهــم والضمائرِ
وأذهَلَ هَاتَيك النفوسَ فخفضتْ من البهــرِ والإعياء دَقــاتِ طَافرِ

* * *

وعَاد أخو الأحياء يعطو بحســرةٍ ولهفــةِ محــرومٍ، وإعيــاءِ خَائــرِ
لقد كانَ في المَوتى وفي الموتِ مَأمَلٌ يُعلله بالكشــفِ عــن كلِّ ضَامرِ
فألفى سَــراباً ثمَّ لا يَنْقَعُ الصَّدَى فــوا ندمــاً عــن بحثِــه المُتَواترِ!
فقد كان خيراً أن يعيشَ على المُنَى ويأملَ بعدَ الموتِ كَشْــفَ السَّتائرِ
ويا ليتَ هذا الموتَ يُسْرِعُ خَطوهُ فيَطْــوِي حَيا عُمرِهِ رِبْحَ خَاســرِ!

التجارب *

كثيراً ما يَبْرَمُ الإنسانُ بماضيه أو حاضره، ويسخطُ على تجاربه ومصائبه!

وقد تصوَّر الشاعر شقياً أعفته الأقدارُ من ماضية وتجاربه، وأطلقته كأنما وُلد في لحظته، ولكنه لم يستطبْ حاله، لأنه لم يجدْ رَكيزةً يَرْكنُ إليها، ووَدَّ لو أنَ الأقدار وهبته ماضياً سعيدا؛ فاستجابت له. ولكنه عاد يشعرُ بغربته عن ذلك الماضي، ولم تعدْ هناك قيمة لآماله، التي خلقها ماضيه هو، وارتبطت به، وعندئذ عاد لماضيه في لهفة واشتياق إليه.

* * *

شَكَا بُؤسَ ماضيه الحفيلِ الجوانب بكل مصابٍ فادحِ العبْء صَائبِ![1]

وضَاق به صدراً على طُولِ صُحْبةٍ تُمِلُّ، ويَا بئْسَ الأسى من مُصَاحِبِ!

ودّ لـو أنَّ الدهرَ يُعْفِيـه بُرهةً من الغابـرِ المملولِ جَـمِّ النَّوائبِ

فأصْغَتْ لـه الأقـدارُ في أُمْنياتِه علـى أنها لم تُصْغِ يومـاً لِطالبِ

وأعْفَتْـه مـن ماضِيه حـتى كأنّه وليدٌ خَلِيُّ القلـبِ من كلِّ نَائبِ!

* * *

نَضَا عَنْه أعْبَاءَ السِّـنينَ الغَوارِبِ ونَحَّى عن الآمالِ قيدَ التجاربِ[2]

وعَـادَ طليقـاً لا يُعـوِّقُ خَطْوَه مَرَّاسٌ؛ ولا يَثْنِيـه خَوفُ العَواقبِ

---

* نشرت: ١٩٣٤

١- نضا الشيء: نزعه وألقاه.

٢- المرّاس: ذو الشدة العظيمة.

وخُفِّضَ صوتُ الذكرياتِ أو امَّحى وجَلْجَلَ كالنَّاقُوسِ صَوتُ الرَّغَائبِ
وآضَ وليدُ اليومِ في مَيْعةِ الصِّبا جديداً بدنياه، جديدَ المطالبِ[1]
بعيداً عن الماضِي الذي آدَهُ الأسى وحَفَّتْ به الأحداثُ من كلِّ جَانبِ[2]

* * *

ولكنّه ألْفَاه أسْوَانَ مُوحشاً كما أُفْرِدَ الإنْسِيُّ من كلِّ صَاحبِ
وألفَاه في هذِي الحياةِ كأنَّه غريبُ عَرا، في عَالمٍ منْ غرائبِ[3]
وألفاه مقصوصَ الجَناحِ إذا هَفَا إلى الأوجِ لم يُسْعِفْه عزمُ المُغالبِ
وإنْ هَمَّ لم يُبْصِرْ لَه من ركيزةٍ تَضاعَفَ عندَ الوَثْبِ جَهدَ المُواثبِ
وقَدْ أبْصَرَ الآمالَ عَرْجَاء لم تجِدْ لها سَنَداً من ذِكْرَياتٍ ذَواهبِ
فعادَ إلى الأقدارِ يشكُو صَنيعَها ويُوسِعُها في شَكْوه عَتْبَ عَاتبِ!
أما يستطيعُ الدَّهرُ – لو شَاء نَصفَةً له – عوضاً من غابرٍ منه خَائبِ
بماضٍ سعيدٍ لم يَشُبْ صَفوَه الأسَى! فيحيا على رُكْنَيْن: آتٍ وذَاهبِ!

* * *

فَأصْغَتْ لَه الأقْدارُ في أُمنياته على أنها لم تُصْغِ يوماً لِطالبِ!
وأعطتْه أنْقى صفحةٍ في كِتَابِها لأسْعدِ مَخْلوقٍ وأهنَأ رَاغبِ!

* * *

١– آض الشيء كذا: تحوّل إليه، ميعة: ميعة الشيء: أوله
٢– آداه: قوّاه وأعانه
٣– عَرا: من العُرى، والمراد: إنه وجد نفسه غريباً أو عارياً من كل فضيلة.

ولكنــــه ألفــــاه لم يغــــدُ مالــــكاً لمــــا مَنَحَتْــــه مِنْ عَزيــــزِ المَواهبِ

وألفاه لم يكْشِــفْ خَبيئةَ نفســــه لذياك الماضِي الــــذي لَمْ يُصَاحِبِ!

وأَبْصَــــرَ بالآمــــالِ حَــــيرى كأنما تَســــاءَلُ عن دَاعٍ لها جَــــدٍّ دَائبِ

دَعَاهَــــا فلمّا أقْبلَتَ من سَــــمائِها رأتْ غيرَه في غَفْلــــةٍ غيرَ رَاقبِ[1]

ومــــا الأملُ «البسّــــامُ» إلاّ رغيبةٌ لنفسٍ تَرى مِنْ دَهْرِها وَجْهَ «غَاضبِ»

* * *

فَعَــــادَ إلى الأقْدَارِ يَطْلُــــبُ عَوْنَها عَلى رَجْعِ مَاضيه بِحَسْــــرَةِ تَائبِ!

أجَلْ عادَ مَلْهُوفــــاً لِمُرّ التجاربِ وأيامه الأولى الظِّماءِ السَّواغِبِ[2]

أجَلْ ذلك الماضي الذي هُو بِضْعَةٌ من النفسِ دُسَّتْ في الحَشا والترائبِ[3]

* * *

فأصغتْ لــــه الأقــــدارُ في أمنياته علــــى أنّها لَم تُصْــــغِ يوماً لِطالبِ!

وعَــــادَ إلى دُنْيــــاه مِنْ بَعْــــدِ غُربةٍ وألقتْ عَصَاها واســــتقَرّتْ بآيبِ

* * *

١- دعاها الماضي الشقي وأقبلت فوجدت الماضي السعيد غير ملتفت لها.

٢- السواغب :مفردها ساغبة: جائعة متعبة.

٣- الترائب: عظام الصدر موضع القلادة، والمراد دُسّت في القلب والصدر.

خبيئة نفسي *

خبيئةَ نفسي؛ قد غَفَا الكونُ فاسفِري   وكوني سَميري، بعد أنْ نامَ سُمَّري
سَهَا الدهرُ والأقدارُ رنَّقَها الكَرَى   وهوَّم في جوفِ الدُّجى رُوحُ خيِّرِ [1]
يُطيفُ على العَانين بالعطفِ والرِّضا   ويغمــرُ بالإغفــاءِ رأسَ المفكــرِ
وينتظــمُ الدنيــا هــدوءاً كأنهــا   عــوالمُ في وادِي المُــنى لم تُصــوَّرِ
فلا صوْتَ إلا خَفْقــةٌ من جوانحٍ   كما خفقتْ للضــوءِ عينُ المُصوِّرِ
ولَــمْ يَبْقَ من تلك الحيــاة وأهلِها   سوى طيفِها السّاري بوادِي التَّذَكُّرِ

* * *

خبيئةَ نفســي مِن عهودٍ ســحيقةٍ   ومن جَوفِ آبادٍ مضتْ قبلَ مَولدِي!
أُحسُّــكِ في أغوارِ نفسي ولا أرَى   مُحيَّــاكِ إلا كالخيــالِ المُشَــرَّدِ
علمتُكِ حــتى أنتِ منِّــي بُضْعةٌ   جهلتكِ حتى أنتِ في غيرِ مَشْــهدِ
ويــا طَالما أخلفــتِ لي كلَّ مَوْعدٍ   ويــا طالما ألقــاكِ في غــيرِ مَوْعِدِ!
عجبتُ فكــمْ مِنْ نفــرةٍ تَنْفُرينها   على فَرْطِ مــا تُبْدينه مــن تَوَدُّدِ!
حديثُكِ من نفســي قريبٌ؛ وإنما   إخالُــكِ في وادٍ من التِّيه سَــرْمَدِ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤

١- رنقها: كدّرها.

خبيئةَ نفسي، ما تُرى أنتِ؟ إنني أريدُكِ في جوٍّ من الضوءِ مَعلَمِ
أعنصرُكِ الإيمانُ والطُّهرُ أصلُه وإلا إلى الكفرانِ والرّجسِ مُنْتَمِ؟
وفي أي وادٍ أنْتِ تسرين خِلْسَةً؟ ومن أي عهدٍ في الجهالاتِ مُبْهِمِ؟
وكم فيكِ من نصرٍ، وكم مِنْ هَزيمةٍ تَجاوزتَا في حَشْدِكِ المتزَحّمِ
وكم فيكِ من يأسٍ؛ وكم فيَكِ مَأملٌ وكم من تَردٍّ، أو وثوبِ تَقَحُّمِ
وكم فيكِ من حُبٍّ، وكم فيكِ بغضةٌ ومِنْ رُشْدِ إلهامٍ، إلى خَبْطِ مُظْلِمِ

* * *

خبيئةَ نفسي في ثناياكِ مَعْرِضٌ لما لَقِيَتْهُ الأرضُ في الجَوَلاَنِ
وفيكِ من الآبادِ سرٌّ وروعةٌ وفيكِ صِراعاتٌ بكلِّ زمانِ[1]
وفيكِ التقى الإنسانُ من عهدِ خَلْقِهِ وفيكِ التَقَى الرُّوحيُّ والحَيواني
وإنكِ طَلْسَمُ الحياةِ جميعها وصورتُها الصُّغرى بكلِّ مكانِ[2]
أبيني إذنْ عن ذلكَ العالمِ الذي تضمَّنتهِ من صُورةٍ ومَعَانِ
أبيني أُطَالِعْ في ثناياكِ مَا مَضَى وما هُو آتٍ مِنْ رُؤىً وأمَانِ

* * *

١- الآباد: مفردها الأبد وهو الدهر .
٢- الطّلسَمُ: السرُّ الغامض.

الخطيئة*

مِنْ خِلال الظّلماءِ في بَهْمَةِ اللّيلِ تَمَشَّتْ كالحيَّةِ الرَّقْطاءِ
تُوقظُ الجِسْمَ والغزيرةَ بالْهَمْسِ وتَطغى على الحِجَا والذكاءِ
وَهْيَ من خشيةِ الضَّميرِ توارَى في زَوايا الميولِ والأهواءِ
فإذا شَعَّ مِنْ سَنَاهُ شعاعٌ أرْجَفَتْ منه، وانزوتْ في التواءِ
وإذا خيَّم الظَّلامُ تراءَتْ في احتراسٍ من أعينِ الرُّقَباءِ!

* * *

لحظةٌ تلك ثم خَيَّم صمتٌ وظَلامٌ؛ فما تَرَى مِنْ ضِيَاءِ
فمضتْ تُضرِمُ الغريزةَ ناراً وتُثيرُ الشُّواظَ بين الدِّماءِ
البِدارِ البدارِ يا أيها الْجِسْـ ـمُ شِفاءً من الطَّوى والظُّماءِ![1]

* * *

وتوارى (الإنسان) حين تبدَّى (حيوانٌ) ذو شِرَّةٍ نَكْرَاءِ
وإذا بالخطيئَةِ السَّوْءِ نَشْوَى بانتصارٍ، نالتْهُ في الظَّلْمَاءِ!

* * *

---

* نشرت في نيسان (أبريل) عام ١٩٣٥

١- البدار: الإسراع. الطّوى والظماء: الجوع والعطَش.

القطيع *

لَظى الشمسِ ؟ أم فَوّارةٌ من جهنمِ تَســيُل شَــظَاياها، وتنضَحُ بالدّمِ
هو القيظُ قد فـازتْ ينابيعُ وَقْده وفاضتْ على الأرضين في كل مَجْثَمِ
وضَاقَ رُواقُ الظِّل عنها وأرسلتْ من الشــمس أرسالٌ إلى كلّ مُبْهَمِ
فمالَ إلى الرّاعي الشّطوطِ قطيعُه يَبــثُّ رجــاءً في ثُغَــاءٍ مُتَمْتِــمِ
ونَاجَاه، ويحَ الظّلِّ إنْ نحن لم نَمِلْ إليــه، ويا بُؤْسَــاه ســعياً لِمَغْنَمِ!
عَيينا بهذا الضّــرْب في كلّ حَرّةٍ وراءَ ذَمَاءٍ من شَــرابٍ ومَطْعَمِ[1]
وما أنتَ – لو تدرِي – برابحِ صَفْقَةٍ ولا نحــنُ؛ إنَّا كَلُّنَا ذلــك العَمِي!
نســيرُ بصحراءِ الحياة، ولا نَرى سِــوى ظِلِّنا، يَطْغَى على كلِّ مَعْلَمِ
يُسَــخِّرُنا مَــنْ لا نــراه، لغايةٍ يَراهــا، ولم نُــؤذَنْ بهــا أو نُفَهَّمِ!
فيا أيُّهــا الرّاعِي هــدوءًا وهَيْنَةً إلى الظــلِّ نَرْتَعْ لحظــةً أو نُهوّمِ[2]
فمــالَ به الرّاعي إلى ظــلِّ دَوْحةٍ ظليلٍ، وعُشْبٍ نابتٍ قُرْبَ جَدْوَلِ

* * *

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٣٥

١- الحرة: أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت ، ذماء: البقية.

٢- النهومُ: النوم الخفيف.

تَناهَى إليها الطيرُ من وَقْدة اللَّظى   وثــابَ إليها الظّــلُّ في غير مَعْجَلَ
وألْقَــى عصاه، ثُمَّ ألْقَى بجســمِه   وقد ضَافَه بالأيْنِ طــولُ التنقلِ[1]
وراغَ إلى المــاء القطيــعُ كأنما   تَدَهْدَهَ جَرفٌ مــن بَطيحٍ مُزَلْزَلِ
يَعُبُّ وَيستســقي بشــوقٍ ولهفةٍ   ويُفْعَــمُ ريًّــا مــن مُعــلٍّ ومَنْهلِ
فلما ارْتَوى آوى إلى الظلّ مُجهداً   وقد حَلَّ في أعضائــه كلُّ مَفْصلِ
فنامَ على الأعشابِ، مَا إنْ تُرى له   رؤوسٌ، فقد دُسَّتْ بأحناءِ مَدْخَلِ
توحَّدَ جسمُ الشَّاءِ كالزَّرَدِ التقتْ   مَدَاخلُه، وانْسَابَ جَمّ التَسَلْسُلِ[2]
كأنَّ شــاءَ ذياك القطيــعِ تَوَحُّداً   فأغفــلَ ذاك الرأسَ رمــزَ التعقلِ
ويا طالما قد فَرّق الناسَ رَأْسُــهم   وما يَقتضيــه من طِمــاحٍ ومَأْمَلِ

* * *

وطافتْ على الراعي رُؤىً عَسْجَديةٌ   وجالــتْ به الأحــلامُ كلَّ مَجالِ
لقــد هبطَ الــوادى فَألْفَــاه جنةً   بمــا فيه مــن خَفْضٍ وهَــدْأةِ بَالِ
ومــاءٍ غزيرِ النبعِ سَلْسَــالِ مَنْهلٍ   يَحُفُّ به عُشْــبٌ وفيــضُ ظِلالِ
ألاَ إنــه هــذا النعيــمُ ، وإنهــا   هي الجنــةُ الفَيْحاء خلــقُ خَيالِ!
وقد غادرَ الوادى إلى الغابِ، ياله   من الخوِف في هَــوْلٍ به وصِيالِ[3]

١- الأين: الإعياء والتعب.
٢- الزُّرد: حلقُ الدّرع، المراد أن الشاء في تجمعها أو تكورها كأنها مغطاة درع من حلق.
٣- الصيال: غالبه ونافسه.

يُزمجر فيه الوحـــُش من كل فاتكٍ   قــد اختلطـــتْ أصواتُــه كعَوالِ
وتَعْصِفُ فيه الريحُ، ياهَولَ عَصْفِها   زئيرُ أُســـودٍ، أو فحيـــحُ صِلالِ[1]
فهَـــبَّ مَفيقـــاً، يســـتبين حياتَه   ليوقـــن أن لم تَصطـــدم بوبـــال
فألفى قطيعَ الشـــاءِ يدعوُ فصيلَه   إلى الثّدىْ ، في صوتٍ يجلجل عالِ
وأطرقَ يستوحى الرُّؤىَ ويحها الرؤى   إلى أين قد طافَتْ بـــه غيرَ عَالِم؟
وأين مـــن الوادى خُطَـــاه؟ وإنها   لآ مآل رَاجٍ أو خيـــالاتُ حَالِم !
وأين هـــو الغابُ الرَّعيـــب؟ وإنّه   ليهفُـــو إلى مـــاضٍ ســـحيقِ المعالِمِ
لأعيـــاه تَاؤيُل الـــرُّؤى ، غير أنّه   يحسُّ هدوءاً في ضَلالِ الطلاســـمِ
فمـــال على (أرغوله) يَستَجيشُـــه   خواطـــرَه بالذكريـــاتِ الهوائـــمِ
فرجّـــعَ أنغاماً من الغـــابِ وِزْنُها   وألحانُهـــا نســـمُ الريـــاضِ الحَوالِمِ
فأوزانُهـــا ذكـــرى، وألحانُها مُنىً   كذلك يشدو في الورى كلُّ نَاعمِ
وقد رقّتْ الآصالُ وانْسلّتِ الصّبا   وصاتَ مع الأرغولِ صوتُ السَّوائمِ
فـــكان مِزَاجاً من جمالٍ وَوَحْشَـــةٍ   ولـــذّاتِ مَوهـــوبٍ وآلامِ غَارِمِ
وغَشّـــى على الدُّنيا ظلاَمٌ فهوّ متْ   ونامـــتْ كطفل في الغِـــرارةِ هَائِم

* * *

١- الصّلّ: الحية من أخبث الحيات، والجمع: الصّلال.

على القمة*

نظــرتُ إليها وهي شَــمَّاءُ تذهبُ كما لاَحَ في أفْق السموات كوكبُ
فأعجبــني منها السُّــموقُ وهَالَنى تَطاولُها والرّيح تَطغى وتَصخبُ[1]
وطـــارَ خيـــالي فوقَهـــا ووراءَها يصـــوّر مـــن أطيافِهـــا مـــا تَغيّبُ
عجائـــبُ لَم تخْطُر على البالِ مِثْلُها ودُنيا من الأحــلام تَزْهُو وتعجبُ
وقلت: ســعيدٌ من تطــاولَ كَفُّهُ ذُرَاها وتــدرى عينُه مــا تَحجبُ
دَلَفْتُ إليها، والخُطَا تَسْــبِق الخُطَا وفي النفس شَوقٌ يَسْتَحِثُّ ويُلْهِبُ
هو الشوقُ للمجهولِ يَهْمِسُ طيفُه وتَهفُــو رُؤاه مغْريــاتٌ وتَغْــرُبُ
هو الشــوقُ للرُّقيا وفي الحيِّ حافزٌ إليهــا فيرقــى في الحيــاةِ ويَغلبُ
دَلفْــتُ فلم أنْظُــرْ إلى الخلفِ مرةً وهل ينظرُ العَجْلانُ مــاذا يُعَقّبُ؟
وما عاقني جُهدٌ ولا وَقْعُ عُثْــرَةٍ وأنْسَــتْنِي الأشــواقُ أنّــي مُتْعَبُ
هنا القِمّةُ الشَّــمَّاءُ يَا حُسْنَه هنا! ويا حُسْنَ ما يدنُو إلى النفسِ مَأرَبُ
تأمّلْتُهــا فرحــانَ أخفقُ نَشْــوةً وأوْشَــكُ أُغْذِي سَــنَاهَا وأشْرَبُ
وقلتُ: هنا يا نفسُ أشْــرَفُ بُقْعةٍ وأرْحَب أفقٍ في الســماوات يَرقُبُ
وإنّــك مِن فــوقِ التــلالِ طَلِيقةٌ ولم يَبْــقَ مَســتورٌ عليــك مُغيَّبُ

١- نشرت في تشرين الثاني(نوفمبر) ١٩٣٧

٢- السموق: الارتفاع والعلو

فَقَرّى هنـــا يا نفسُ جَدٌّ ســـعيدةٍ فليس وراءَ الأفقِ يا نفسُ مَطْلَبُ»
وأغمضتُ عيني سَابحاً في خواطِري وبي نَشْـــوةٌ تَطفُو بنفسٍ وتَرْسُـــبُ
فمـــا رَاعَـــني إلاّ الزمـــانُ يَلُفُّني إلى الضّفّة الأخرى كما لَفَّ كوكبُ
إلى أيـــنَ ؟ لاتَعجلْ رُويـــدكَ هَيْنَةً فما هكذا تُطـــوى الأمَاني وتَذْهبُ
وما هكذا يُجْـــزَى الذي جَدَّ جَدُّه إلى القمةِ الشـــمّاء، والقلبُ مُلْهَبُ
وخلّـــفَ في ناءٍ من السّـــفْحِ زَادَه وما عَـــزّه في ذلك الوعـــرِ مَرْكبُ
رويـــدكَ يا هـــذا الزمـــانُ فإنني من الهوّةِ الجَرداءِ أخْشَـــى وأَرْهَبُ
وإن لا يكنْ بُدٌّ من الســـير فانطلقْ إلى الخلـــفِ إنّي عَاذِرٌ لـــك مُعْتِبُ
تَألّفْتُـــه يومـــاً فإنْ عُـــدتُ لم أَعُدْ إلى غربـــةٍ تجفُـــو علـــيّ وتَنْكُبُ
ولكنّـــه لم يُصْـــغِ لي في ضَرَاعتي ومـــازال يَهْـــوي بي ولا يَنْكُـــبُ
إلى الهوةِ الجـــرداءِ فالعُمرُ مُجْدِبُ إلى الهـــوةِ الجرداءِ فالدّهْـــرِ يَلْعبُ

* * *

١- تَنكب: تميل عني. والمراد تبتعد

مصرع قصيدة*

أحسسْتُ مَصْرَعَها بِنَفْسي بينَ التأوُّهِ والتأسّي
وسمعت حشرجة الجريح تئنُّ في أطواء حسّي
هي من بنات الشّعر لم تُولَدْ، ولم تُوأَدْ لوكْسِ[1]
جاشت لفاتنةٍ على الشُّطآنِ ذاتِ رضًا وأُنْسِ
نضِجَت محاسُنها كما نضجت قطوفُ جنًى بغَرْسِ
وحسبتها صينت على ال أنظار من قطفٍ ومسّ
فهممتُ أدعوها دعا ءَ الفَنّ في خطراتِ همسِ
شعراً يسّجلُ حسْنَها للكون في أحناءِ طِرْسِ
وإذا الأيادي القاطفات تجول في عَبَثٍ وبخس!
يا ويل قُطّاف الجمال بغير ما وَرَعٍ ونَطْسِ[2]
بَيْنَا نَحُومُ عليه في تَقْوى كما نَرْنُو لِقُدْسِ!

* * *

وِإذا التي جَاشَتْ بِنَفْسي تُشَوّى مُضَرَّجَةً بِحِسّي!

* * *

* نشرت في كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٣٨

١- الوكس: العيب والنقص.

٢- النطس: من نطِسَ أي دقق النظر في الأمور واستقصاها.

وجوه طريفة*

طَالعِيني في كلّ يومٍ بِوَجْهٍ فلديكِ الوجوُهُ شتّى طريفَهْ
وَافْجَئيني لديك بالخَطْرِ المَحبوبِ يُجَدّدْ حياتَنا المَألُوفَهْ
بتُّ أَشْتاقُهُ وأرقُبُ ماذا يَحْمِلُ اليومُ من أمانٍ مَخُوفَهْ!
كلّ سَمْتٍ أراكِ فيهِ جميلٌ كلُّ ظلٍّ أراكِ فيه شَفيفه
أنتِ ما أنتِ؟ عَالَمٌ مُترامٍ أبْدَعَ الفنُّ والمُنَى تأليفَهْ
أنت كُثْرٌ ففيكِ تَحْيَا طُيُوفٌ كلُّ طَيفٍ له رُؤاهُ المُطيفَهْ
تارَةً أنتِ حَرَّةٌ أصْطَليهَا وإذَا أنتِ كالرِّياضِ الوَريفَهْ
وَتلوحينَ قِطْعَةً من حَنانٍ وَتَلُوحينَ بَعْدَ حينٍ مُخيفَهْ!
وأرى فيكِ طِفْلةً لم تبارحْ مَلْعَبَ الطِّفْلة. اللّعوبِ الخَفيفَهْ
وإذَا أنتِ قَهْرَمَانَةُ دَهْرٍ مُوْغِلٍ في المَسَارِبِ المَلْفُوفَهْ[1]
وإذا ما انْطويتِ أمسيتِ سِرًّا صَانَهُ الدَّهْرُ مُحْكِماً تَغْليفَه
وإذَا ما انطلَقْتِ مثلَ شُعَاعٍ كنتِ رَقْرَاقَةً وكنتِ لَطيفَهْ
لكِ طَعْمٌ أذُوقُهُ بل طُعُومٌ كُلُّهَا نَاضِجٌ هَويتُ قُطُوفَهْ
هُوَ طَعْمُ الحياةِ في فَوْرَةِ النُّضْجِ شَهِيُّ الْجَنَى خَبِرْتُ صُنُوفَهْ

* * *

---

* نشرت في آذار (مارس) عام ١٩٤٢

١ – قهرمانة: مدبرة البيت ومتولية شؤونه ويقال: المرأة ريحانة وليست بقهرمانة.

إلى الظلام*

إلى الظَّلام الأمين تَحدَّري يَا سَفِيني
وَجَانبي كلَّ نورٍ النُّورُ يُؤذِي جُفُوني
لَقدْ حَطَمْتُ شِرَاعِي ومِجْدَفي ويَميني
وهدّ عَزْمِيَ مَوجٌ يَثُورُ كالمَجْنُونِ
أخْشَاه أخْشَاه جُهدِي فَحَاذِري يا سَفِيني!

* * *

طَالَ الصِّرَاعُ ونَاءتْ نَفْسي بِعبْءِ السِّنين
أُريدُ وَقْفَةَ أمْنٍ في مَجْهَلٍ مَأمُونِ
أُزيحُ فيهِ قَليلاً عَن عَاتِقي المَوْهُونِ
وأستريحُ رُويداً من الصِّراع الحَرُونِ[1]
وقد أُعاوِدُ سَيْري في اللُّج أزجي سفيني

* * *

إلى الظلام الأمينِ إلى مَلاذِ السُّكون
طَالَ التَيقُّظُ حتّى أعْشَى السُّهادُ عُيوني[2]
إلى المَسَارِبِ فَامْضِي لأنْزَوِي عن شُجُوني
وعَنْ رَجائي ويَأسِي وكلّ ما يَعْنِيني
الانْزِوَاءُ مُريحٌ فأوْغِلي يَا سَفِيني

* * *

---

* نشرت في ١٩٣٤.

١- الحرون: المتمرد والمراد : الصراع المرير.

٢- أعشاها: أضعفها.

قافلة الرقيق *

قِــفْ بنا يا حَــادِي العمــرِ هُنا لَحْظَــةً تَنْظُــرُ مــاذَا حوْلَنــا
في طَرِيــقٍ قَــدْ نَثَرْنَــا عُمْرَنــا فيــه أشــلاءَ حيــاةٍ ومُنَــى

* * *

قــد نَثَرْناها على طَــولِ الطريقْ ومَضينَا ضِمْــنَ قُطْعــانِ الرَّقيقْ!
مَوكِبٌ يَعطُو إلى الشَّطِّ السَّحيقْ مُغْمَــضَ العينين يَسْــرِى مَوْهِنا[1]

* * *

من ظَــلامِ الغَيبِ تَخطُــو قَدمَاه لظَــلامِ الغيــبِ تَنْسَــاقُ خُطَــاه
في طريــقٍ غامــضٍ يُدْعَى الحياه يَهْتِــفُ الحــادِي فيمضِــي مُذْعِنَا

* * *

لَهَفَــةً لو عُدتُ أرْعَــى خُطَواتِي في طَرِيــقٍ دَرَجْــتُ فيــه حَياتِي
فَتَطلَّعــتُ إلى هــذا الشَّــتاتِ وأنــا في الكَــرَّةِ الأخْــرى أنَــا!

* * *

لتَمَلَّيــتُ شِــيَاتِي وسِــماتِي وأمَانِــيَّ ويأسِــي ورَجَاتِــي[2]
وحَمَاقَاتِــي ورُشْــدِي وهَنَاتِــي والهَــوى الحَانِــي الــذي ظَلَّلنــا

---

* نشرت في عام ١٩٤٦.
١- المَوهِنُ: نحوٌ من نصف الليل أو بعد ساعة منه. والمراد ليلاً.
٢- شِياتي: مفردها الشِية. العلامة.

* * *

كلُّها عَاهَـــدتُ أن أقْضِي عُمرِي وأنـــا أُخْلِصُهـــا سِـــرّى وجَهْرِي

وإذَا السّـــوْطُ هَوى يُلْهِبُ ظَهَري حيثُ لا أسْـــتطِيعُ رَيْثـــاً أو وَنى[1]

* * *

وإذا الآمَـــالُ والآلامُ خَلْفِـــي سَـــاخِرَاتٌ مِنْ مواعِيـــدي وخُلْفِي

مُلْقَيـــاتٌ بـــينَ إهمـــالٍ مُسِـــفّ لم أوَدِّعْهـــا. فيـــا وَاحَزَنـــا![2]

* * *

أيُّهـــا الحَـــادِي ألَا فامـــضِ بنَا قـــد أثـــارتْ ذِكْرَياتِي الشّـــجَنا

لم نعُـــدْ نَجـــزعُ لو تَحْـــدُو لَنَا: «نحـــن لا نَرْجَـــع يوماً هـــا هُنا»

* * *

١- الريث: التمهُّل ، الونى: الضعف. ٢- المُسِفّ: من أسَفّ إذا دنا إلى الطريق.

في مفرق الطريق *

بين نفسين من النفوس الكثيرة التي تعيش في الإنسان الواحد متفرقة في بعض الأحيان. دار هذا الحوار...، فأما إحداهما فتتعلق بماض عزيز لا رجعة له ولا أمل فيه، وأما الأخرى فتترع إلى العزاء بالتطلّع إلى جديد:

أنْـــتَ أوْغلتَ في الظــلامِ طويلاَ فمتى يــا رفيــقُ تبغـــى القُفولا؟
شـــدَّ ما آدَنَا التخبُّـــطُ في الليلِ وخِفْنــا ظلامَـــه المدخـــولا![1]
ورأينَـــا الأوهامَ تبدو شـــخوصاً ورأينا الشـــخوصَ تبدو هَيُولَى[2]
وَخَبَرْنــا فلــم يُفِدْنـا اختبــارٌ وسَـــخِرْنَا ممَّــا خَبَرْنَـا طَويــلاَ
يــا رفيقــي. إذا قَـــدَرْتَ فأوِّبْ إن هـــذا الظـــلامَ يُضْنِـــي العُقُولاَ

* * *

أنا أخشـــى الضيـــاءَ أُبْصِر فيها ذكريـــاتي تبدلـــتْ تبديــلاَ
أنا أخْشـــى النَّهار يكشـــفُ عني كلَّ وَهْـــمٍ أرُودُه تعليـــلا
أنـــا يا صاحـــبي أُشـــيحُ بوجهي أنـــا أرى عهْدنـــا تَـــرَدَّى قتيلا
أنا يَـــا صَاحِـــبي أُدافِـــع عَقْلِي أنْ يَـــرُودَ الْيَقـــين جَهمـــاً ثَقيلاً
الظَّـــلامُ الظّـــلام أرْوَحُ للقلبِ ولـــو كان لا يُريـــح العقـــولا!

* * *

* نشرت في آب(أغسطس) عام ١٩٤١

١- آدنا: أتعبنا وأهرقنا.

١- الهيُلى: مادة ليس لها شكل ولا صورة معينة، قابلة للتشكيل والتصوير في شتى الصور.

يَا رَفيــقُ. الحَيَاةُ أسْــمى وَأغْلى   أن تُقَضّـــى كـــذاك وهمـــاً ضئيلاً
يــا رفيــقُ. الحياةُ أقصــرُ عهداً   أن تُضحّــى ســاعتها تَخْييــلا
أبْ مــن الظُّلمــةِ الحبيبة واهجُرْ   كلَّ مــا كان في الحيــاةِ الأولى
وتطلَّــعْ إلى جَمــالٍ جَديــدٍ   أفلــم تَلْــقَ في الحيــاةِ جميــلاَ؟
عِــشْ بما قــد وُهِبْتَهُ مــن حياةٍ   مُسْــتثارَ الإحســاسِ نَهِماً عجُولا
* * *
آه يــا صاحــبي أتجهــلُ أنّــى   أفقــدُ الــدّارَ إنْ فقــدتُ الطُّلولاَ
ذاك عهــدٌ أنفقتُ فيــه رَصيدي   كلَّــهُ لم أُبْــقِ منــه قليــلاَ
أتُراني أُجــدّدُ الذُّخــر والعُمــ   رمُــوَلِ والجَهْــدُ أمســى هَزيلاَ؟
أنــا باقٍ هُنــا فإن شــئتَ دَعْني   ورُدِ الْكــونَ حافــلاً مَأهُــولا
أنــا بــاقٍ هُنــا أرُودُ طُلُــولي   لَم أعُدْ بَعــدُ أســتطيبُ القُفُولا!
* * *

أقدام في الرمال*

نحنُ؟ أم تلك على الأرضِ ظلالْ؟ وخيـالٌ سَـارِبٌ إثْـر خيـالْ
في متاهـاتِ وجـودِ لـزوالْ كبقايـا الخطـو في وجـه الرّمالْ

زُمَـرٌ تَدْلـفُ في إثْـرِ زمَـرْ وَيْحَ نفسـي ! إنه ركبُ البشـر
مغمـضُ العَيْنَيْن في كَـفِّ القَدَرْ كلّمـا أوْغَـلَ في التِّيـهِ انْدَثَـرْ

* * *

أينَ رَأْسُ الركْبِ أم أيّانَ سَـارَا؟ مـا أرى في إثْـرِه حتّـى غُبَـارَا
مـا أرى قبراً ومـا أُبْصِـرُ دَارَا ضَلّـةً لي! ذاكَ ظِـلٌّ وتَـوَارَى(١)

* * *

مِنْ ظَـلامِ الغيبِ في التيـهِ البعيدْ لظـلامِ الغيـبِ في التيـهِ المديدْ
وَمْضَـةٌ كالـبرِق تجتـازُ الوجودْ ويُسَـمِّيها بنُـو الأرضِ الخُلُودْ!

* * *

خُدْعَـةٌ رَاقـتْ لأبنـاءِ الفَنَـاءْ حينمـا أعْيا علـى الأرضِ البَقَاءْ
المسـاكينُ هَبَـاءٌ في فَضَـاءْ رَحْمَـةً للذرِّ في مَسْـرَى الهواءْ!

* * *

* نشرت عام ١٩٤٦

١- الضَلّة: الحيرة

ما أرى الأرضَ تَحِـــسُّ الوافدين   أو أرى الأرضَ تَحـــسُّ الرَّاحلينْ
كلُّ مَـــا كَانَ وما ســـوف يَكُونْ   نَأمَةٌ تَهْجِسُ في جَوْفِ السُّـــكُونْ

* * *

خَطَـــواتٌ ذاهبـــاتٌ في الرِّمَالْ   وخيـــالاتٌ تَـــرَاءَتْ لخيـــالْ
وشُـــخَوصٌ تتـــوارى كظـــلالْ   للزوالِ... كلُّ شـــيءٍ للـــزوالْ!

* * *

خدعة الخلود*

لا أنتِ سَـــالَمكِ الزمانُ ولا أنَا   لا أنْـــتِ داعيةٌ ولا أنا مُسْـــتَجيبْ
هـــذي مَياسِـــمُه على قَسَـــمَاتنا   قَـــرَّتْ أمانينا على الأُفُـــقِ القَريبْ
ودَبِيبُـــه ينســـابُ في خَطَرَاتنـــا   ويَكْشِفُ الوهمَ المُغَلْغلَ في الغيوبْ
ويَدَاه تَنْســـلُ من خيـــوطِ حَياتنا   وبدوتِ عاريةً مـــن الألَقِ العجيبْ
ويَـــدُ البِلى تَطوِي الرغائبَ والمُنى   وبدوتُ عَاديَّ المحاسنِ والعُيوبْ!

* * *

ما الفجرُ؟ ما الأحلام؟ ما الشوقُ الدفينُ   ألقـــاكَ كالذكرى تَمـــرُّ بخَاطرِ
مَا نَشْوةُ الذِّكرات؟ ما حَرْقُ الحنينِ؟   كالخَطْرَةِ الوَسْنَى بفكرةِ شَاعرِ[1]
مَا وَهْلَةُ الغيبِ المُوشَّـــحِ بالفتونِ؟   كالرســـمِ يَبْهتُ لا يَبِـــينُ لناظرِ
ما اللهفـــةُ الكبرى تُراودُ في جنونٍ؟   كبصيـــصِ نارٍ في الرمـــادِ الفَاترِ
مـــرّتْ عليها كُلِّها كَفُّ الســـنينَ!   وَيْحي وويُحكِ نحنُ ذِكْرى عَابرِ!

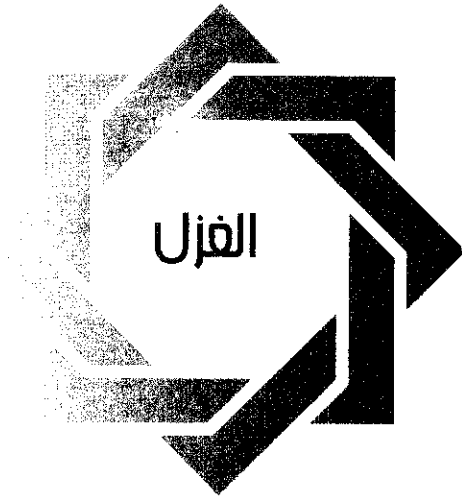
* * *

خَطَوتُكِ النَّشْوى التي كادتْ تَطيرُ   ويَحْي وويُحكِ ما الحياةُ وما الخُلُودْ؟
وتوَفُّـــزُ النَظَـــراتِ في ألَـــقٍ مُثيرٍ   خُـــدَعٌ تُهَدْهِدُنا بهـــا الأُمُّ الولودْ
وتَوثُّـــبُ اللفتـــاتِ في لَهَفٍ حَرورِ   ويدُ البلى تَطْوِى القديمَ على الجديدْ
وتُقَلُّـــبُ الرَّغَباتِ في قَلَـــقٍ غَريرٍ   والدَّهرُ ماضٍ لا يكلُّ ولا يَحيدْ[2]
ويَحْيِ وويُحكِ قَـــدْ تَعاروَها الفُتُورُ   والنـــاسُ والأيـــامُ والدُّنيـــا عَبيدْ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٤٨.
١- الوسنى: الناعسة.
٢- الغرير: الساذج، عديم الخبرة.



هي أَنتِ التي خُلِقَتْ لِنَحْيا

في ظلالٍ من الوفاءِ الرَّشيدِ

كحياةِ الأَروَاحِ تُضْفِي حناناً

وهي تهْفُو في ظِلِّها المَمْدُودِ

ليلة؟! *

يا ليلةَ الأمسِ والليــلاتُ ذَاهبةٌ كغَمْضَة العــينِ في أضْغاث أَحْلاَم
يَرْعَاك مَنْ وَهبَ الإنسانَ عاطفةً تجيشُ بالحــبّ عَن وَحْــيٍ وإلهام
يَرْعَاك مَنْ خَلقَ الأرواحَ شَاعرةً دقيقــةَ الحــسّ في رِفْــقٍ وإحكام
لأنتِ أقصــرُ ليلاتِــي وأخْلَدُها وأنــتِ أَزْهَــرُ سَــاعَاتِي وأيامي
فيــكِ التقينا فــلا إثمٌ ولا حَرَجٌ في ظلّ طيفٍ من الإخلاصِ بَسَّــام
ورُوحٌ من الحبّ خَفّاقٌ يَحفُّ بنا حفَّ النسيم بِغُصنِ الدَّوْحَة النّامي
ويُنْشِــدُ الحــبُّ أنغامــاً يُلحّنُها لحنَ الطبيعة ذَات المنطقِ السَّــامي
بالليــلِ يَتلُو على الأكــوانِ آيتَه ما أبدعَ الليــلَ في شَــدْوٍ وأنْغام

* * *

يــا ليلةَ الأمس هَــلا أنت عائدةٌ إلى الزمــانِ فَأنْسَــى كل آلاَمِــي
إنّــي لألْمَحُ طيفاً منْك يُؤْنسُــني في وَحْشَــتِي بــينَ أيقــاظٍ ونُوَّام
ذكــراكِ باقيةٌ مهمــا يَطُلْ زَمني فأنــت زهــرةُ أيامــي وأعْوَامِي
فيــكِ أوّلُ آمَــالي وآخِرهــا وأنــتِ مَنْبَــعُ إمــدَادي وإلهامِي

* * *

---

* نشرت في أيلول (سبتمبر) ١٩٢٩.

نظرة موحشة *

أهو حظي منك تلك النظرات كلما جادت بمرآك الصُّدَفُ؟
وخيالاتٌ تراءى في سُباتٍ مُذْ كيات ما بنفسي من شَغَفِ؟
أكذا تمضي بقيّاتُ الحياة ليتَ شعري وكذا يُقضي العُمُرْ؟
آهٍ . ما أشجى وما آلم . آهٍ إن يكن هذا فما أقسى القَدْر!
أين ساعاتٌ مضت قبل الفِراق ملؤها العطف وريّاها الوفاْء؟[1]
هكذا الدنيا اجتماع وافتراق وهي آهات وذكرى وشقاءْ!
شد ما ألقاه في هذا النّوى من عذاب ينكأُ القلب أليم[2]
شَدَّ ما تَسْتشعرُ النفسُ الجوى فَتلظّى في شُعورٍ كَالجحيمْ
ليتني أدْرِي – وإن لم يُشْفِني – كيفَ أُبْدِي مَا بِنَفْسِي مِنْ ألَمْ!
ربَّ إحساسٍ أليمٍ شَفّني لم أصورْهُ بلفظٍ فاضطرم[3]
آلم الإحساسَ إحساسٌ دفينٌ وشعورٌ في فؤادٍ يَشْتَجِرْ
لم يَجِدْ لفظاً فأدّاه الأنينُ ودموعٌ سَاكِباتٌ تَنْهَمِرْ
أتَرى آلمُ للقلبِ الكَليمِ مِنْ رَجاءٍ كان يَزْهُو فَخَبَا؟
وانطوى يَغْمرُه يأسٌ عَقيمٌ يتركُ القلبَ قِفَاراً مُجْدِبا؟
أتُرى أوْحَشَ مِنْ ديرٍ كئيبٍ في فَلاةٍ لا يُدانِيها البَشَرْ

* نشرت في نيسان (إبريل) عام ١٩٢٩.
١- ريّاها الوفاء: ملؤها الوفاء.
٢- ينكأ: يفتح الجرح من جديد.
٣- شَفّني: أنحلني، أذهب عقلي.

وتكادُ الرِّيــحُ تَحميــه الهبوبَ دَقّ نَاقــوسٌ بــه عندَ السَّــحَرْ؟
ذَاك قَلْــبي بعــدَ فُقْــدانِ الأملِ مُوحِــشٌ يَطْرقُــه صوتٌ سَــحِيقْ
تبعــثُ الذكرى صَــدَاه إذْ تُطِلُّ مُشْــجِياً يُوغِلُ في الصَّمْتِ العميقْ
ما الــذي كانَ وماذا سَــيكُونْ؟ لســتُ أدْري مَا جَوابي، لا جَوابْ!
لَيتــني أدرِي خَبيئــاتِ الســنينْ إن فِراقــاً أو يَكُــن بعــدُ اقترابْ
إيــه يــا مِــلءَ فُــرادِي ومُنَاهْ إيــه يــا رمــزَ الأمَــاني والأمــلْ
يا نســيماً ضَــمَّ أنفَــاسَ الحياةْ نَفْحَــةٌ تُهْــدِي إلى مَيْــتٍ أجَــلْ
أنــا إذ ألْقَــاك عَفْــواً لا أُحِسُّ فيــك جســمْاً كبقيات الجسُــومْ
إنمــا ألقــاكَ طَيفــاً لا يُحَــسُّ طائفــاً يَهفُو كمــا يَهفُو النَّســيمْ
في خَيــالي أنــتَ أنْقَــي وأرقُّ أنــتَ رُوحُ فيــه أو طيــفُ مَلَكْ
بجناحَيــه تَــراءى فخفــقَ بســناءٍ هــادئٍ يُغْــرِي الحَلَــكْ
أفَــلا لُقْيــا بثغــرٍ بَاســمٍ؟ أفــلا قلــبٌ أُناجِيــه سَــميعْ؟
أفــلا شَــكْوى فــؤادٍ هائــمٍ؟ أفلا نَجْــوى بِصَمْتٍ وخُشُــوعْ؟
«بِحَياتِــي أفْتَدِي هــذا اللقاءَ» وأمانِــيَّ ومــا ضَمَّــتْ يَــدَاي
وبِنَفْسِــي لو دَنا عهــدُ الرِّضَاء فَمَحــا بُؤْســى وأوْدَى بجَــواي
وأوَى قلبــين في بُــرْدِ الوَفــاءِ مثــلَ مــا كانَــا شَــقِيقَيْ مَوْلِدِ
ليتَ. لكن «ليتَ» لا تُدني رَجاءَ فَلأمُــتْ أو أبــقَ حِلْــفَ الكَمَدِ

* * *

طيف!!*

هو هــذا أنتَ يا طيــفُ؟ فَأهلاً مرحباً يا طيفَ مَنْ أهوى وسَــهْلاَ

* * *

هَــوَّمَ النَّــومُ وأرْخَــى رِيشَــه واحتــواني بِجَنــاحٍ قَــد تَدلَّــى
وانــزوى العَــالَمُ عنّــي وخَبَتْ ضَجّــةُ الكــونِ وما فيــه وَوَلَّى
ها هُنــا في النــومِ ألْقَــى عَالَماً هَادئــاً رَحْبــاً ويَسّــاماً مُظِــلاَّ
وتَراءى الطيفُ سَــمْحاً رَاضِياً بَاسمــاً كالأمــلِ الحُلــو وأحْلَــى
هُو هــذا أنتَ يا طيــفُ؟ فأهلاً مرحباً يا طيفَ مَنْ أهوى وسَــهْلاً

* * *

أدْنُ مِنّي فاســتمعْ لَحْنَ فُؤادي إنَّــه لَحْــنٌ يُغَنّيــه بَديــعْ

* * *

إنَّــه عنــوانُ حُــبٍّ وَوِدَادٍ وهَيــامٍ بين أحْنــاء الضُّلُــوعْ[١]
إنَّــه أُنْشُــودَتِي أخْلُــو إليهــا بــينَ صَمْــتٍ وهَيــامٍ وخُشُــوعْ
إنــه لَحْــنٌ أُغَنِّيــهِ وَقلْبِــي خَافقٌ والعــينُ تَهْمــي بالدّمُوعْ[٢]
أدْنُ مِني فاســتمع لَحْــنَ فُؤادي إنَّــه لَحــنٌ يُغَنِّيــه بَديــعْ

* * *

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٢٩.
١- أحناء: الأضلاع

هـــاك قَلْبِـــي فتســـمَّعْ خَفقاتِـــه   فهـــو قَلْـــبٌ مُسْـــتثارُ الخَفقَـــاتِ

* * *

بَلِّـــلِ الْوَجْـــدَ وهَـــدِّيء زَفَرَاتِه   فهـــو قَلْـــبٌ ضَيـــقٌ بالزَّفـــراتِ

أنتَ يا طيفُ الذي يرجُو فُؤادي   بعد ما قَـــدْ ضَاقَ ذَرْعاً بالشـــكاةِ

هـــاكَ قَلْبِـــي فتســـمَّعْ خَفقَاتِه   فهـــو قَلْـــبٌ مُسْـــتَثارُ الخَفَقَـــاتِ

* * *

أنْـــتَ يا طيـــفُ ويا رَيَّـــا حبيبي   أنـــتَ رُوحُ أو رَمْـــزُ السَّـــلامِ

* * *

لـــك مِنّـــي كُلُّ مَعْـــنى قُدْسِـــيّ   يَهْمِـــسُ الحـــبُّ بِـــه بـــينَ الأنامِ

أنـــتَ يا طيـــفُ ويا رَيَّـــا حبيبي   أنـــتَ رُوحُ الحبِّ أو رَمْزُ السَّـــلامِ

* * *

صوت!؟*

تُذَكِّــرُنِي الماضِي فآســى لِذِكْرِهِ ... وتُوقظُ أشْـجَانِي وقد كنتُ نَاسيَا
وتُلْهِبُ إحسَاسِـي بأنغامكَ التي ... تحــدِّثُ عــن قلـبي إذَا أنَّ باكيا
حنانَك هذا القلبُ قد آدَه الأسى ... فخلَّفَــه نِضْــواً من الهــمِّ واهيًا[1]
تُهيــجُ بِــه الأنغــامُ آلامَه التي ... تحمّلَهــا بالرغــم أسْــوانَ رَاضيًا!
تحمَّلها لم يَشْـكُ للنــاسِ ثِقْلَها ... وقد كان معذوراً لو آلتاعَ شــاكيًا

* * *

تُذَكِّــرُنِي حُبَّــا قديمــاً دفنتُــه ... ونفضتُ كَفِّي يائســاً منه آســيَا
ورحــتُ أواري كلَّ آثــارِه التي ... تَراءى فَتُذْكي الشَّجْوَ لَوْ بَاتَ خَابيًا
بعثــتُ به حيّــاً يُطِــلُّ ويَنْزَوي ... ويفتــحُ أجْفَانــاً مِراضاً سَــواهيًا
يُجَرْجِرُ أكفاناً من القلبِ صُغْتُها ... تُمَــزِّقُ أشــتاتاً وتبــدُو بَواليَــا
هو اليَــومَ ذِكْرى لا تُرْجَى حياتُه ... فلا هــو مَعْدومــاً ولا هُــو باقيًا
هو اليــومَ آلامٌ وقــد كان مُتْعةً ... ورُوحــاً ورَيْحاناً وطيْفــاً مُناغيًا

* * *

ترددَ هذا اللحنُ في النفسِ قَبْلَما ... بعثتُ بــه صوتاً من الثغرِ شَــاجيًا
وجَاشَ به صدرُ الحيــاة فرجَّعَتْ ... أغاريدَه كالنُّــوحِ أسْــوَانَ دَاويًا
وحدَّثْتَنَــا عَما أكَنَّتْ نُفُوسُــنا ... فأيقظت فيها كلَّ ما كانَ سَــاهيًا[2]
تَحدَّثْ إذنْ ننصتْ وإن ثَارَ شَجْونَا ... ونُمْسِــكُ أكبــاداً تَنَــزّى دَواميًا

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٠، والمراد بالصوت : محمد بخيت.

١- آده: أتعبه وأرهقه، النضو: الهزيل.

٢-أكنّت: أخفت.

هي أنتِ *

هــي أنتِ الــتي خُلِقَــتْ لنحيَا   في ظــلالٍ مِــنَ الوفاءِ الرشــيدِ؟
كحيــاةِ الأرواحِ تُضْفِــي حناناً   وهــي تهْفُــو في ظلّها المـمــدودِ؟
حيثُمــا الحــبُّ طائــفٌ يَتَراءى   كالمــلاكِ المهــوّمِ المَكْــدُودِ
حَانِــي العِطْفِ إِذ يَضــمُّ علينا   ضمــةَ الأمِّ رَحْمَــةً بالوليــدِ
فــإذا الكــونُ والحيــاةُ جمــالٌ   وإذَا العيــشُ فُسْــحَةٌ في الخُلُودِ؟

* * *

هي أنْــتِ التي أطافتْ بنفسِــي   وتــراءتْ في خَاطِري مــن بعيدِ؟
حينمــا كنــتُ هائمــاً أتلقــى   أغنيــاتِ الآمالِ شَــتّى النشــيدِ؟
في ظِــلالٍ مــن الأمانِــي تَتْرى   بــين وادي التعلَّــةِ المعهــودِ![1]
إذْ تَراءَيْــتِ هَالــةً مِــنْ رجاءٍ   هَــادئ لَيِّــنٍ رفيــقٍ وَئيــدِ[2]
ثم دَانَيْــتِ في دَلالٍ وديــعٍ   ثم باعــدتِ في دلالٍ شَــرودٍ؟

* * *

هي أنــتِ التي تلاقيــتِ رُوحاً   مع روحِــي فَهَامتَــا في الوجودِ؟
هــي أنتِ الــتي تُحَــدِّثُ عنها   خَطَــراتي، في يقظَــتي وهَجُودي؟

---

* نشرت عام ١٩٣٠
١- التعلة: ما يُتعلل به.
٢- وئيد: متمهل.

إن تَكُــوني! إذْنْ فهــاك فؤادي كلّــه خالصــاً نقــيَّ العهــودِ

وتعالَــيْ نَبْــغِ الحيــاةَ جِهــاداً عبقــريَّ التصويــبِ والتَّصعْيــدِ!

شَــجّعيني علــى الجهــادِ طويلاً فجهــادُ الحيــاة جِــدٌّ شَــديد

أشْــعريني بــأن قلبــاً نقيًّــا يَرتَجي سَــاعِدي ويهوى وُجُودِي

ثم سِــيري معــي نَخُــطُّ طريقاً كمهــادٍ في الصَّخــرةِ الجُلْمُــودِ

نظــرةٌ منــكِ وابتســامةُ حُبٍّ تتــركُ الصَّعْــبَ لَيِّنــاً كالُمهــودِ

لك منِــي عَواطِفــي وعُهودِي لــك مــني رعايــتي وجُهــودي

* * *

أحبك *

أُحبـــكِ كالآمالِ إذْ أنــتِ مثْلُها   تُذَكِّين في نفســي أعــزَّ مَواهبي[1]
ومـــا هــي إلا نظــرةٌ شــاعريَّةٌ   تعبِّــرُ عمــا شــئتُه مِــنْ رَغَائبِ
فَتَسْرِي إلى نَفْســي مَضاءً وجَرْأَةً   ووثبةَ حسَّــاسٍ. وَعزْمَــةَ راغبِ
ورُوحاً ذَكِيِّ النفحِ يَسْــرِي كأنَّه   نشــيدُ مَــلاكٍ هَائــمٍ مُتَقَــارِبِ
يعيــدُ إلى المكدودِ راحة نفســه   ويبعثُــه خَلْقــاً جديــدَ المطالبِ

* * *

أُحبُّكِ من قلبي الــذي أنْتِ ملْؤُه   ومِنْ كلِّ إحســاسٍ بِنَفْســي ذَائبِ
فُؤادي الذي فتَّحْتِ فيه مشــاعراً   من الحبِّ والإحساسِ شَتَّى المَذَاهبِ
سموتُ به حــتى تكشّــف دونَهُ   عــوالم أقــرى تائهــاتِ الجوانبِ
عــوالمُ لاتعــد ولقلــبٍ مَنصَّبٍ   بلا ذلك القلــب الرفيق المصاحب
هــا كلُّ لــذاتِ الحيــاةِ ودونها   لِذائــذُ أُخْرى كاذبــاتِ العَواقبِ

* * *

أُحِبُّــك إذ تَرجــين مــنِّ رعايةً   وتَهْوينَ ســاعاتِ الحيــاةِ بِجَانبي
هنالك نَسْــمُو بالحيــاةِ فَنرْتقي   إلى كَنَــفٍ بينَ الســمواتِ ضَاربِ
هنالــك نَحيــا والأمــانيُّ حَوْلَنا   تُغَــرِّدُ ألحــانَ المُــنى والرغَائــبِ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٠.
١- تذكين: من ذكت النار: اشتدد لهيبها

توارد خواطر!*

خَطَرَ ببالِ الشاعر اسمٌ مُعين، ثم نَظَر فجأةً ؛ فإذا بصاحبةِ هذا الاسم تنظرُ إليهِ وتحييه...!

أفأنتِ ذي ؟ أم ذاكَ طيفُ منام؟ إني أراكِ كطائــفِ الأحـــلامِ !
لما خَطَرْتِ وقد سَمَوْتُ بخاطري ألفيتُ شَـــخْصَك كالمــلاكِ أمَامِي
فَدُهِشْتُ أو فارتعْتُ أو فتضَرَّمَتْ خَفَقــاتُ قلبي الْمُتَشِـــي البَسّــامِ
عجباً! أكنتِ هُنا فأوْمَضَ خاطري بكِ؟ أم سريت على جناحِ غرامي
إنَــي لأ ومِـــنُ بالغـــرام وإنّـــه يَقْـــوي علـــى مُتَعَـــذّرِ الأوهام!

* * *

ماذا صنعتِ بعالَمِـــي وخَواطِرِي لَمّـــا لَقِيتُك كالخيالِ السّـــامي ؟
أفَأنْتِ سَـــاحِرةٌ تَصُوغُ من الدُّجَى نوراً، وتبعـــثُ في الحياة حُطامِي ؟
وتُحيلُ صُـــمَّ القافـــراتِ نَوابضاً بالزهـــرِ ، والآمـــالِ والإلهَامِ ؟![1]
وتُجَمّـــلُ الدُّنيـــا وتَخْلُـــقُ عَالَماً للخُلْـــدِ فيه مَـــدارِجٌ ومَسَـــامِ ؟
اللهُ ! . أو فالحـــبُّ . فهـــو ظِلالُهُ في عـــالمِ الأوهـــامِ و الأفْهـــامِ !

* * *

* نشرت عام ١٩٣٣

١- صم القافرات: الأرض الصّماء المجدبة.

ياللقاءِ ! فكيفَ قد حَجّبتهُ عن نفسِ منهومِ العواطفِ ظَامِ؟
هو هذه الدُّنيا وعَالمُ سِحرِها ؟ هو ذلك النبعُ الجميلُ الطَّامي؟[1]
حَجّبته عنّي، فأسفَر بغتةً بيدٍ تجيء بِمُعْجِزِ الأيامِ !
الحبُّ ؛ ياللحبِّ ! يَرْتَجِلُ المُنى من غيرِ تدبيرٍ وغيرِ نِظَامِ!
إنِي وَثِقْتُ به وما هُو باخلٌ بكِ يا سعادُ بيقظتي وَمَنامي

* * *

١ – الطامي: من طما الماء: ارتفع وملأ النهر.

عينان*

هما عينان لم يدر الشاعر مدى نظرهما، وتصوّر أنهما تستطيع اختراق الحجب والأستار، وعجب أي مدى يستنفذ طاقة هذه النظرة حتى ما وراء الكون، وهذه الطاقة في تصوره لا يستنفذُها بعدٌ من الأبعاد فتساءل:

إلى أيِّ سِـــرٍّ بَـــلْ إلى أيِّ طَلْسَـــمِ   تَوَجَّه مِنْ عينك شُـــعَاعُ مُلْهِمِ ؟
إلى مَخْبأ الأسْـــرارِ في نفـــس كَاهِنٍ   تُحجِّبُها أســـتارُ دُجْوان مُظْلِم[1]
إلى الغابرِ الماضِي الذي ضَاعَ رَسْـــمُه   وغيّبَه النِّســـيانُ في تِيه عَيْلَم[2]
إلى القابـــلِ الآتِي الـــذي نَـــدَّ طيفهُ   عن الوهمِ بل ضَلَّتْه رُؤيا المُنَجِّم
إلى حَيثُمـــا الأقدارُ تُمضـــي أمورَها   على خِفْيـــةٍ من وهمِـــه المُتوهِّم
إلى مـــاوراءَ الكـــونِ والعـــالمِ الذي   تُحيـــطُ به رُؤيا السَّـــحَيْرِ المُنوِّم

* * *

لأَحْسَسْـــتُ فيها رِعدةً[3] إذْ تَوجَّهَتْ   وَدَبَّ لهـــا قَلْـــبي وأَنكَرَها دَمِي
وأَحْسَـــبُها قد جـــاوزتْ في عُبورِها   عَوالِـــمَ لم تُخْلَـــقْ ولم تُتَوهَّـــم

* * *

---

* نشرت في أيار(مايو) ١٩٣٤.
١ – دجوان مظلم: المراد تامة الظلمة من دَجَا يدجو: تمّ وكمُل.
٢ – عيلم: بحر.

حدثيني *

رأى الشاعر سحابة من الأسى على جبينها لا يعلم لها سبباً:

حدثيني بِمستتَار شُجُونِكْ واكْشِفي لي عما اخْتَفَى مِنْ شُؤونِكْ
حَدِّثيني بما تُكنّينَ إني أنا أولى بعبئه منْ دُونِكْ
أنا أقْوى على الحياةِ إذا عشْتُ حَياتي مُزَوَّداً مِنْ يقينِكْ
ولقد عِشْتُ للمآسي إلى أنْ قَدْ عَرَفْتُ السُّرورَ مِنْ تَلْقينِكْ
ولقد عِشْتُ للبكاءِ إلى أنْ قد سَمِعْتُ الغِنَاء في تَلْحِينِكْ
ولَقَدْ عِشْتُ للظلامِ إلى أنْ قَدْ لَمحْتُ الضِّياءَ بينَ عُيونِكْ

* * *

حَدِّثيني عَنْ سِرِّهَا نَظَرَاتٌ أو دُموعٌ تَجُولُ بينَ جُفُونِكْ
حَدِّثيني عن الأسى يَتَرَاءى كأسيف الرَّجَاءِ فوقَ جَبينكِ[1]
أو تَعالَيْ لذلك الكَنَف الحا ني عليك واركَني لِسُكُونِكِ
هُو أَحْنَى عليكِ مِنْ قَلْبِها الأمِّ وَأَدْرَى مِن قَلْبِها بحَنِينِكْ
فَاغْمُري في عُبَابِه المُترامي مَا مَضَى عَنْك أو أَتَى مِنْ شُجُونِكْ
وَابْعثيها ابتسامةً وحياةً مِلْؤُها السِّحْرُ والهوى مِنْ فُتُونِكْ

* * *

* نشرت في آب (أغسطس) ١٩٣٤.

١ – كأسيف: رقيق القلب.

خصام *

تَخَاصَمْنـــا. تخاصمْنـــا ! كذلـــك يعبـــثُ الحـــبُّ !

أليـــسَ الطّفـــلُ إِذْ تَنْـــزُو قُـــواه يَهُـــمُّ أو يَكْبُـــرُ؟[1]

ألَيْـــسَ يُحطّـــمُ اللُّعَـــبَ الـــــــتي كانَ لَهَـــا يَصْبُـــو؟

أليـــسَ يَهـــزُّه الصَّخَـــبُ ويَحْلُـــو عِنْـــدَه الوثْـــبُ؟

كذلـــكَ حُبُّنَـــا يَحيَـــا وَليـــداً جَـــدُّه لعِـــبُ!

* * *

تَخاصمَنْـــا. تخاصمْنـــا وإِنْ لَـــم يَسْـــمَعْ القلـــبُ!

أليســـتْ لا تُحَيّينـــي ولا يســـلينيَ القُـــرْبُ؟

ألسَـــنَا إِنَ تَلاقَيْنَـــا نَغُـــضُّ وتُسْـــدَلُ الحُجْـــبُ؟

وَمـــا قُبلاتُنـــا تَتَـــرى ولا الرُّسُـــلُ ولا الكُتُـــبُ

كـــذاكَ نَعِيـــشُ في صَمْـــتٍ فـــلا غَـــزَلٌ و لا عَتْـــبُ

* * *

تخاصمْنـــا. خُصُومَتُنـــا ســـلامٌ ثَوبُـــه حَـــرْبُ!

ســـلامٌ بـــينَ قَلْبَيْنـــا فـــكلٌ هَائِـــمٌ صَـــبُّ

---

* نشرت في تشرين (أكتوبر) ١٩٣٤.

١- تنزو: يثب بنشاط.

وَنَخْسِـــرُ في مَظاهِرِنـــا ومِـــلْءُ وِطَابِنـــا كَسْـــبُ !
ونَظْمَـــأُ إِن تَنَاءيْنَـــا فَيحلُـــو الْـــوِردُ والشُّـــرْبُ
وتَذْكُـــو للهَـــوى شُـــعَلٌ فـــلا تخنـــو ولا تخبـــو
كذلـــك حُبُّنَـــا يَحيَـــا كذلـــك يَعْبَـــثُ الحُـــبُّ

* * *

بيانو وقلب *

هُــو قلــبٌ لَمَسْــتِه، أَمْ(بِيَانُهُ)؟   فَتَنَــادتْ مِــنْ جَوْفِــه ألحَانُــهُ
هو قلــبي أجَــلْ فَهــذي الأغاني   هُــو يَشْــدُو بِهــا، وذا تَحْنَانَه
أم تُــراه – كمــا أرْجــو– فؤادٌ   بــينَ جنبيــكِ مُلْهَــمٌ خَفَقَانُــه
فتلاقــى القلبانِ في ذلــك اللحن   وحَاكــتْ خفقاتهمــا أوزانُــه
وتَــراءى في اللحن طيــفُ الأمَاني   مُطْبَقَــاتٌ على الــرؤى أَجْفَانُه

* * *

لَحْــني أنتِ خَفَــقَ قَلْبي نشــيداً   أنْتِ أدْرَى بِـما حَــوى وِجْدَانُه
والْمَســي بالحنــانِ قَلْبي فَيشــدُو   مِثْلَمَــا تَلْمَــسُ البنــانُ البَيَانُــه
بَــلْ فَــؤادي مُلَحّــنٌ عَبْقَــرِيٌّ !   لَحْنُــهُ مِنْــه قِطْعَــةُ وَبَنَانُــه
أَلْهِميــه النشــيدَ وهــو يُغَنّــي   لــكِ وادي الخلودِ سَــامٍ حَنَانُهُ
أَلْهِميــه النشــيدَ وهــو يُجَلّــي   لــك وادي الخلودِ زُهْــرٌ جنَانُهُ
أطلقيــه مِــن القيــودِ بِلَحْــنٍ   قَدْ تَسَــامى على القيــودِ افْتِنَانُهُ
ودّعِيــه يَطِــرْ دونَ جَنَــاحٍ   غــيرَ حــبٌ يَزِيــدُه طَيَرَانُــه

* * *

---

* نشرت في تشرين الأول(اكتوبر) ١٩٣٤

١- البنانُ: أطراف الأصابع.

الظامئة *

بعَيْنَيْـك أُبْصِـرُ رُوحَ الظِّمـاءِ وبالنفسِ أَلْمَحُ طَيْفَ القَلَقِ
ففـي الخَطَـرَاتِ، وفي النَظَـرَاتِ وفي اللّفَتَـاتِ، وبـينَ الحَـدَقِ
يُطِـلُّ التلهـفُ في وَثْبَـةٍ وتَعْصِـفُ ريحُ اللّظَـى المُحْترِقِ
لأيٍّ مـن الأمـرِ هـذا التَطلُّـعُ هـذا التوثُّـبُ، هـذا الحَـرَقِ
شُـوَاظٌ من الشَّـوْقِ ؟ أَمْ جَمْرَةٌ؟ من الحـبّ محمـرةٌ كالشَّـفَقِ؟

* * *

أُحـسُّ بأنّـك مَلْهُوفَـةٌ لأن تَنْهلـي كلَّ مَعْنَـى الغَـرَامِ
وأن تَنْهبِـي النـورَ مـن فجـرِه وأن تَسْـلُبي زَفَـرَاتِ الظَّـلامِ!
وأن تَقْطِفـي كلَّ زَهـرِ الحيـاةِ من الشَّـجْوِ والوَجْدِ أو الابتسامِ
تَفَتَّـحَ فيـكِ شُـعورُ الحيـاةِ فَشَـفَّكِ منهَا الهـوى والأُوَامِ(١)

* * *

إليَّ إليَّ؛ ولا تَجْفَلـي فـإني ظمئـتُ لمـا تَظْمَئـينْ
و أحسـبُني كنـتُ أهْفُـو إليك كما كنـتِ لي في المُـنى ترقُبينْ
وشَـطَّتْ بنـا بـدواتُ اللّقـاءِ وضَلَّتْ بنَـا خُطَواتُ السّـنينْ
إلى أَنْ لَقيتُـكِ فَتانـةً فحرّكْـتِ مني اشـتياقي الدَّفينْ
تَعالَـيْ نـروّ ظَمَـاء السـنينِ تعالَـي نَعِـشْ للمُـنى والفتُونْ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١-الأوام: حرارة العطش.

لماذا أحبك!؟*

أُحبُّـك حُـبَّ الهـوى والجُنونِ أحبُّـك حـبَّ الرَّشَـادِ الرَّزينْ
أحبـك بالقلـبِ في وَقْـدَةٍ أحبـكِ بالعقـلِ جَمِّ السُّـكُونْ
وتَبديـنَ في قلبـي المسـتطارِ كما تُسْـفرينَ بفكري الرَّصِينْ[1]
ففيـك تَلاقَـى الهـوَى والهُـدى وشَـابَه فيـك الرشـادُ الجنونْ
فأمـا ازْدَهانِـي بحِبـي الفتـون رَكَنْـتُ بِـه للحِجَـا واليقِـينْ

* * *

لمـاذا أحبـكِ؟ هـل تَفكريـنَ؟ وما السـرُّ في الأمرِ؟ هل تَعلمينْ؟
أللحُسْـنِ؟ كَم قد لَقِيتُ الحِسَـانَ فَمـا هجْنَ بِي وَمْضَـةً من حنينْ
أللعطـفِ؟ إني القَـويُّ العطوفُ فمـا أرْتَجـي رحمـةَ العاطفينْ
أللنظـرات وللِفتـاتِ وللسّـحرِ في مُهْجَتي تَسْـكُبينْ
وشـتى الخلالِ وشـتى السِّماتِ؟ لقـد طالَما اجتمعـتْ للمئينْ[2]
إذَنْ فـلأيِّ المزايـا يكـونُ هَواي وحُبِّـي؟ هَـلْ تُدْرِكينْ؟

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤

١– المستطار: المفزوع . تسفرين: تشرقين وتضيئين .

٢– للمئين: للمئات.

ألا فاعلمي الآنَ عِلْمَ اليقين سأكْشفُ عن سِرِّ حُبّي الدّفينْ
لقد لَجَّ بي قبل هذا، السكونِ وقد آدني الصمتُ، صمتُ الحَزينْ[1]
وقد عِشْتُ للجِدّ، جِدّ الرصينِ أهُمُّ وأكْبُو بعبءِ السّنين
إلى أنْ لَقِيتُكِ خَفّاقَةً تَوَقّدَ فيكِ الهَوى والفُتُونْ
فأنتِ هُنا جمرةٌ كاللّظى وأنتِ هُنا شُعْلَةٌ تُومِضينْ
فأكمَلَ هذا المراحُ الطروبُ هدوءَ الحزينِ وجِدَّ الرّصينْ
وأعجبني حُسْنُ هذا الكمالِ وإني عليه الحفيظُ الأمينْ

* * *

هذا أُحِبُّكِ: هل تَفْكِرينَ؟ وهذا هو السرُّ. هل تَعْلَمينْ؟

* * *

١- آدني: أجهدني

رسول الحياة*

أفي كلِّ لُقْيَا شُعورٌ جَديدٌ؟ وفي كلِّ قُرْبٍ ظمَاءٌ يَزيدْ؟
وفي كلِّ يومٍ أرى عَالَماً مِنَ الحبِّ يَنْسُبُنا للخُلودْ؟
وألقاكِ والكونُ قفرٌ جديبٌ فتنبضُ فيه المُنى والورُودْ
ويَخْفُقُ بالحبِّ قلبُ الحَياة وتَشْدُو هَواتفُها بالنَّشيدْ
كَأنَّ الحياةَ وآمالَها إذَا مَالقيتُكِ خَلْقٌ جديدْ
هو الحبُّ لا القَدَرُ المستطيلُ يُقَسِّمُ في الكونِ شَتى الجُدودْ[1]
فيمنعُ فالكونُ شاكٍ شَقيٌّ ويمنحُ فالكونُ راضٍ سَعيدْ!
ويَنْبضُ فالكونُ في نَشْوةٍ ويَجْمُدُ فالكونُ جاثٍ بَليدْ

* * *

لَقيتكِ خَفّاقَةً كالرجاءِ فذكَّرْتِني أنني بَعْدُ حَيْ
وجَاشَ بنَفْسي شعورُ الحياةِ وفتَّحتُ في رَجْفَةٍ مُقْلَتَيْ
أقلِّبُ عيني بهذا الوجودِ وترتادُ رُوحي منه الخَفيْ
فيا للجمالِ، ويا للغناءِ ويا للخواطرِ تهفُو إليّ!
ويالي مِنْ ظَامئٍ لاهفٍ! ويالي مِنْ عَاشقٍ عَبْقَريْ!
يحيلُ الحياةَ إلى فتنةٍ وأصداءَها لنشيدٍ شَجي
ويُطْربُ بالشعرِ قَلْبَ الحياةِ وَيَنْفَحُها بالرِّضا القُدْسَيْ
وما أنتِ إلا رسولُ الحياةِ وحبُّكِ مُعْجِزةٌ مِنْ نَبيْ

* * *

---

* نشرت في ١٩٣٤.

١- المستطيل: المُترفع أو المُتفضل، الجدود : الحظوظ.

سر انتصار الحياة *

أَطِلّي بِطَلْعَتِك السَّاحرهْ وحَيِّي بنظرتِك الشَّاعرهْ
أَفيضِي على الكونِ فيضَ المِراحِ وغَذّيه بالقوةِ الطّافِرةِ[1]
ومالك أنتِ؛ وما للسُّكُون؟ وما أنتِ إلا القُوى الثائرهْ
قُوى الحبِّ تَنْبِضُ بينَ القِفَارِ فتغدُو القِفَارُ بها ناضرهْ
وتنفخُ في ساكناتِ القُلوب فتغدُو سَواكنُها نَافِرهْ
وتهتفُ للصُّمِّ بالأغنياتِ فَيْصغُون للنَغْمَةِ السَّاحِرهْ

* * *

ألستِ التي نَبَضَتْ (بالوجودِ) فشقَّ قُوى العَدَمِ السَّاخرهْ
بلى ! أنتِ سرُّ انتصارِ الحياةِ على الموتِ في الوقعةِ الظافرهْ
هُنالك من قبلِ ميلادِها وكانتْ مغيبةً حائرهْ
وكنتِ نواةً بها ضَامِرةً فعدتِ حياةً بِها سَافرهْ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.
١- الطافرة: الواثبة.

المعجزة
أو
السهم الأخير *

مَنَحتِني اليومَ ما الأقدارُ قد عجزتْ   عـن منحِه، وَتَنَاهـي دونَه أملِي
منحتِني الحـبّ للدُّنيا التي جَهِدَتْ   في أن تُميـلَ لها قلبي فلـمْ يَملِ
وكلمـا قرَّبْتِني، قلـتُ: خادعةٌ!   وكلّما طمأنْتِني؛ قلت واوَجَلِي[1]
ويغمرُ الشّكُّ نَفْسِي كلما كشَفَتْ   عن فاتنٍ من حُلاهَـا غيرِ مبتذَلِ
حتى خَسِـرْتُ من الأيّامِ ما غبَرتْ   به السُّـنون، وحتَّى عقّني أجَلِي

* * *

واسـتَلْهَمَتْ هذه الدنيـا طبيعَتها   في مُعْجِـزٍ مِنْ قُواهـا قاهرٍ حانِ
فأبدعتْـكِ جَمـالاً كلُّـه ثقـةٌ   يؤلّـفُ الحبَّ من وَحـيٍ وإيمانِ
وأودعتْـكِ رَحيقاً مـن خُلاصتِها   ومنبعُ السّـحرِ فيها جَـدّ فتّانِ
وأرسـلتْكِ يقينـاً في طَلائعهـا   منيرةً في دُجى عَقْلِـي ووجْدَانِي
فكنـتِ آخـرَ سـهمٍ في كِنَانتِهَا   وكنتِ معجزةً مـن خَلْقِ فنانِ[2]

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- واوجلي: وأخوفي أو افزعي.

٢- الكنانة: الجعبة، تحفظ فيها السّهام.

والآن أُخْلِـصُ للدنيـا وأمنَحُهـا حبّي، وأُدْرِكُ ما فيهـا من الفِتَنِ
والآن أنظـر للدُّنيـا وأنـتِ بهـا كعاشـقٍ بهواهـا جِـدّ مُفْتَتِـنِ
والآنَ أعْمَـلُ للدُّنيـا علـى ثقةٍ بأنـي قَلْبُها الخفّـاق في الزمنِ!
والآن أنصـتْ للدُّنيـا فيُطْرِبُـني من صوتِها العذب لَحْنٌ ساحِرُ اللّحَنِ
لـكِ الحيـاةَ إذنْ ما دمـتِ مانحةً لِـيَ الحياةَ بـلا أجـرٍ ولا ثمنِ!

* * *

اللحن الحزين*

أســـى الألحـــان أمْ هـــذا؟ أســـاكَ يســـيلُ في اللَّحْـــنِ؟
وإلا هـــذه نَفْســـي تَهيـــمُ بعَالَـــم الحُـــزنِ
فتُوحي النفسُ للأذنِ؟

وأيـــن نشـــيدُك الراضـــي؟ وأيـــنَ نشـــيدُك العَـــذْبُ؟
وأيـــن الفَرْحَـــةُ النَّشْـــوى؟ وأيـــن القفـــزُ والوثْـــبُ
فيُذْكي وَقْدَةَ الحبِّ؟

سَـــمِعْتُكِ أمـــسِ لم أسْـــمَعْ ســـوى نـــبراتِ أسْـــفَانِ
وغنـــوةِ عاشـــقٍ يَئِســـتْ مُنَـــاه مـــن الهـــوى الفَانـــي
فأنَّ فؤادُه الحاني

هـــي الأوتـــارُ عَالمـــةٌ بمـــا في قلبـــك المُفْعَـــمِ؟
وإلاَّ أنـــت مُوحيـــة لهـــا تَرنيمـــةَ المـــؤلم
تَمَسُّ القلبَ كالبَلْسَم

بربـــكِ عَلِّمـــي اللحْنَـــا يُرجِّـــعُ غنْـــوةَ الأمـــلِ
ويُبْهِـــجُ هـــذه الدُّنيـــا ويبعـــثُ نشـــوةَ الجَـــذلِ
فَيَدْعُو الكونَ للعملِ

أجـــلْ يـــا خطـــرةَ الفَـــنّ بـــرأسٍ مُفَكّـــرٍ سَـــامِ
وغايـــةَ كلِّ فَنَّـــان يُنَاجـــي حُسْـــنَ أوهـــامِ
أجَلْ ياسرَّ إلْهامي

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.

الغيرة*

إذا كان الشاعر صادقاً في شعوره. صادقا في التعبير عنه؛ كان في الشعر مجال للدراسة السيكلوجية؛ فوق الدراسة الفنية.

وفيما يلي مقطوعتان من الشعر في موضوع واحد يفرق إحداهما عن الأخرى يوم واحد ولكن الفرق بين روحيهما بعيد!

ولا يهمني أن أدرسهما من الناحية الفنية. فذلك شأن القراء. إنما يهمني أن أدرسهما من الوجهة النفسية، ذلك أن مبعثهما هو(الغيرة) وهي عامل نفساني بحت.

* * *

فَهمتْ هي! أن الشاعر يتوجه إلى شقيقتها بقلبه. في حين لم تكن إلا مجاملةَ. فآلمها ذلك ، ولكن لم تُرِدْ أن تبين سبب الألم؛ لِدقة الموقف؛ وإن أشارت إليه من بعيد.

وبدت كاسفةَ البال واجمةً، يتراءى في عينيها الرجاء الأسيف؛ والأمل المكلوم؛ والريبة التي تَهرَب منها فتلاحقها.

ورأى هو هذا الشعور فأخرج المقطوعة الأولى تحس فيها عطفه على ارتيابها؛ واطمئنانه لهذا الارتياب لأنه وثيقة على حبها له أو لأنه كما يقول:

فلولا اعتزازُكِ بالحبِّ لم تَثُرْ في فؤادكِ تلكَ الرِّيَبُ

ولكن هذه الريبة تَجَسَّمَتْ في نفسها؛ ومضى يوم كامل لم تعد فيه إلى يقينها. فكانت المقطوعة الثانية، وكان ما يشبه التَبَرُّمَ بهذا الشك منها حيث لا مبرر للشك!.

* * *

الغيرة تَلَذُّ الرجل أول مرة لأنها وثيقة الحب، ولكن حين تَلِجُّ فيها المرأة قد يتبرم بها، لأنها تكون طعنة للحب!

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١

غَضبْـــت فيالَـــك مِـــن غَاضِبْـــةِ! وأرْسَـــلتِها نَظْـــرةً عاتبـــةْ
يُتَمْتِـــمُ فيهـــا الرجـــاءُ الأسِـــيفُ وتجـــأرُ فيها المُـــنى الوَاثِبَـــهْ![1]
وفيهـــا هُـــدوءُ الرِّضـــا المُطْمَئنّ تُمازجُـــه الغَيْـــرةُ الصَّاخبـــهْ!
تُطـــلُّ بِهـــا الذكريـــاتُ العذابُ وتَرْجِـــعُ مُجْهَـــدةً لاَغبَـــهْ
وفيهـــا فُتُـــورٌ ولكنّـــه فُتـــورٌ بـــه قـــوةٌ غَالبـــهْ

* * *

ولكـــن بِهـــا بعـــدَ هـــذا وذاكَ فنـــونُ الهوى والجمـــالِ العفيفْ
وفيهـــا مـــن السِّـــحْرِ أطيافُـــه بعينيـــك ألْمَحُهَـــا إذا تطيـــفْ
لأهمتـــني الســـرّ لمـــا نظـــرْتِ إليّ بهـــذا الفُتـــورِ الشُّـــفُوفْ[2]
وحدثْتـــني في خُفـــوتٍ عجيـــبٍ بمـــا أضمرتْـــه لُغـــاتُ الطيوفْ
ولـــولا شـــعورِي بحُبِّـــي العطوف لأحببتُ فيكِ الشـــعورَ الأسِيفْ!

* * *

قـــد انتصـــرَ الحبُّ. يـــا للانتصار بهـــذا العتـــاب وهـــذا الغضبْ
وَثِقْـــتُ مـــن اليـــومِ في حُبِّنَـــا وأنـــك تَرْعينَهـــه في حَـــدَبْ
فلـــولا اعتـــزازُك بالحـــبِّ لم تُثـــرْ في فـــؤادك تلـــك الرِّيَبْ
إذَنْ فاطمئنّـــي فهـــذا الفـــؤادُ يحبُّـــكِ في وَقْـــدةٍ كاللهـــبْ
يحبُّـــكِ إي وجمـــال الغضـــبِ يحبُّـــكِ إي والهـــوى المُلْتَهِـــبْ

١– تجأر: تتضرّع
٢– الشفوف:من شَفَّ يَشِفُّ شُفوفاً: رقَّ حتى يُرى ما خلفه.

٢

حَدِّثيني أما تَزالين غَضْبي؟ أوَ مَا زَالَ مِلءُ نَفْسِك رَيْبَا
ولماذ الوقارُ والصمتُ يُضْفي بعدمَا كنتِ لِي مَراحاً وَوَثْبَا
كانَ بالأمسِ كالعِتَابِ جميلاً ما له اليومَ لَمْ يَعُدْ مِنْكِ عِتْبَا
صَمَتَ الكونُ مُذْ صَمَتِّ ونَامَتْ صادِحاتٌ تُردِّد اللحنَ عَذْبا
أنا أخْشَى ولا أُصرِّحُ مَاذا أنا أخْشَى؛ فما أزال مُحِبّا
اِبْسُمِي تَبْسُمُ الحياةُ وتَرْضَى وامْنَحيني اليقينَ. أمْنَحْكِ حُبّا

* * *

مصرع حب!*

خامر الشاعر الشك فيها بسبب أخبار تناهت إليه عن الماضي فقال:(ب) وبات هذه الليلة في الجحيم حتى لقد فضل اليقين، ولو جاءه بالفقدان على هذه الحيرة الطاغية.

أنــا أشْــرِى اليقــينَ بالفُقْــدَانِ مُؤثــراً فيــه وَاضــحَ الآلامِ

ولكنه صمد له لأن الرجل قد يفضل اليقين الأليم على الحيرة الطائرة.

وإذا هو بعد ذلك يشعر بالفقدان فيكتب (الجنة الضائعة) فيها ألم؛ ولكن بها عفة عن جنة (تَجُوسُ فيها الذئاب) وإن كان يتمنى لو فقد جنته هذه وهي (مؤمنة عَامرة) حتى لا يفقد ذاكراها كذلك. فيتضاعف الفقدان، وهنا يبدو إحساسٌ نادرٌ؛ فقد يود بعض الناس إذا فقدوا شيئاً أن يفقدوه محطماً لا قيمة له، على عكس ما يريد الشاعر.

* * *

المرأة سريعة التشكك؛ ثائرة الغَيْرة؛ ولكنها سريعة التصديق لا تَجْنح لليقين إذا كان هذا اليقين يفجعها في الحب، بل ربما هربت من اليقين، وتعلقت بالأوهام.

والرجل بطيء التشكُّك؛ هادىء الغَيْرة، ولكن الشك الذي يداخل نفسه، بطيُء الزوال، وقد يفضل اليقين المؤلم، على التعلل بالخيال.

---

* نشرت عام ١٩٣٤

ليلة الشك

ليلــةُ الشــكّ والأسَــى والظّلامِ وجحيــمَ الإقــدامِ والإحجــامِ
والعــذابِ المُمِــضّ لم يُتَصــوَّرْ في وعيــدٍ أو خَطْــرَةِ الأوهامِ[1]
قد تركتُ الماضي حَصِيداً هَشِــيمَا ونَضــيرَ الآمــالِ مثــلَ الحُطَامِ
عــنِ عذابِ الآمــالِ قَــدْ أتَعزّى وما عَزَائِي عَمَّا مَضَى مِنْ غرامِي؟
ليتــنِي أســتطيعُ أنْ أُرجِــعَ المــا ضي فأُحيي ما ضَــاعَ مِنْ أيامِي
ليلــةَ الشّــكّ هل مضيــتِ؟ فإني لم أزلْ بَعــدُ غارقــاً في الظّــلامِ
والهــوى المُشْــرِقُ المنــيرُ تَهاوَى في خِضَــمّ الدُّجَى العميق الطّامِي
والحيــاةُ الــتي تفيــضُ مِرَاحــاً قــد تبــدَّتْ في ذلّــةِ الأيتــامِ
وَمَشــى الحــبُّ مُطْرِقــاً يَتَوارَى كَحَيــيٍّ يَنُــوءُ تحــتَ اتّهامي[2]
ليلــةَ الشّــكّ قَدْ طَمَسْــتِ حياةً مِــنْ رَجاءٍ صِيغَــتْ ومِنْ إلهامي
لَهفَــتِي لليقــينِ يَغْمُــرُ نَفْســي لَهفتِي للهــدوءِ بعــدَ اضطرامِ
أنــا أشْــرِي اليقــينَ بالفُقْــدانِ مُوثِــراً فيــه واضــحَ الآلامِ

* * *

١- الممض: المؤلم.
٢- المطرق: من أطرق : سكت لحيرة أو خوف أو نحوهما. ينوء: يعجز.

اليقين

اليقــينَ اليقــينَ بعــدَ ارتيــابِ   الهــدوءَ الهدوءَ بعــدَ اصطخابِ
اليقــينَ اليقــينَ أطلــبُ فيــه   راحةَ اليأسِ من جحيمِ اضطرابِ
أيهــذا اليقــينُ إنّــك قــاسٍ   ما تَطلبــتُ كلَّ هَــذا المُصابِ!
أيهــا الشــكُّ رُبّما كنــتَ خيراً   من يقــينٍ كالجَدْبِ بــين اليبابِ
حَيْرَةَ الشــك، هَــدْأةَ اليأسِ، هَلا   لحظــةً تتــركانِ نَفْســي لِما بِي
لحظــةً تُخْلِيــانَ فيهــا فــؤاداً   مَــلَّ وقــعَ اليقــينِ أو الارتيابِ
ثم مــاذا؟ ومــا الهــروبُ؟ وهذا   واقعُ الأمــرِ، ما لهــذا التَّغابِي؟
يــا يقيــني إلَيّ. إن حَفِــيٌّ   بيقــينٍ شَــرَيْتُه بِلُبَابِــي[1]
بدمائــي الــتي بُذِلَــتْ، بِدَمْعِــي   برجائــي المُنَــوّرِ الوَثَّــابِ
أنــتَ أغلى عَلــيّ مِــنْ كلِّ هذا   يَــا يَقِيني، ومُرْشِــدِي للصوابِ

١- الحفيُّ: المهتم.

الجنة الضائعة

فَقَدْتُـــكِ يـــا جَنَّـــتي السّـــاحرةْ   وغـــادرتُ أفيـــاءَكِ العاطـــره
وهِمْـــتُ تُشَـــرِّدُنِي المُقْفِـــراتُ   وتَلْفَحـــني كاللظَّى الهاجِـــرةْ[1]
وتَعْصِـــفُ في نَفْسِـــي العاصفاتُ   وتَنْهَشُـــها الوَحْشَـــةُ الظَّافِـــرَهْ
وقَدْ طَمَـــسَ اليأسُ نَهْـــجَ الرَّجَاءِ   وغَـــشّ البصـــيرةَ والبَاصِـــرهْ
فـــلا الظَّنُّ يَلْمَـــعُ مِثْلَ السَّـــرابِ   ولاَ العِلْـــمُ يُرْضِي المُنَـــى الحَائرهْ
هـــو اليـــأسُ أو اليقـــينُ الأليـــمُ   وبعـــضُ الحقائـــقِ كالكَافِـــرهْ
فيـــا لليقـــينِ المُمِـــضِّ اللَّجـــوُجِ   ويَـــا لَحَقيقتـــه الجَائِـــرهْ
فَقَدْتُـــك ياليـــتي إذ فَقَـــد   تُـــك كنـــتِ مؤمنـــةً عَامِـــرهْ
لَعزّيْـــتُ نَفْسِـــي بالذكريـــاتِ   وأودعـــتُ فِرْدَوسِـــي الذَّاكرهْ
ولكـــن فَقَدتُـــك نَهْـــبَ الذئابِ   تجـــوسُ خِلاَلَـــك كالآسِـــرهْ
ونَهـــبَ القَشَـــاعِمِ والجارحـــاتُ   تخطِـــفُ أثمـــارك النَّاضِـــرهْ[2]
ونَهـــبَ المطامِـــعِ والمغريـــاتُ   تُدَنِّـــسُ نِيَّتَـــك الطَّاهِـــرهْ
فقدتُـــك في النفـــس أنْشُـــودةً   ومعنى مـــن الفتنـــةِ السّـــاحرهْ
فقدتُـــك ذِكْـــرى فوا حســـرتَاه   لِفَقْـــدٍ مـــنَ العـــينِ والخاطِـــرهْ

---

[1] - الهاجرة: القيلولة: شدة الحر.
[2] - القشاعم: النسور الذكور الضخمة.

الحنين والدموع

جَفَّ قَلْبـــي منَ الحنـــينِ فَغَاضَتْ   عَبَراتـــى وأقفـــرتْ مُنْـــذ حِينِ

وحســـبتُ الدموعَ ذِكْرى توارتْ   بـــينَ ماضِـــي حياتـــي المَكنُونِ!

وإذا بي أُودِّعُ اليـــومَ عَهْـــدَاً   فتفيـــضُ الدموعُ مِـــلْءَ الجفوُنِ

في انســـكابٍ يَغُضُّ مـــن كِبْرِيَائي   واضطرابٍ يرتاعُ مِنهُ سُّـــكُونِي

يـــا دمـــوعَ الوفـــاءِ أَنْتُـــنَّ أَغْلَى   أن تُرَقْرَقْـــنَ للوفـــاءِ الغَبـــينِ(١)

* * *

---

١ - الغبين : الناقص: الضعيف: الخادع وهو المراد.

اللغز*

خَفَـقَ القلبُ الذي مَسَّـتَ يَداكِ جانبيـهَ؛ في جنـونٍ واضطرابِ
أكـذا يَهْتَاجُنـي مَـسُّ هـواكِ وأنا الهادِئُ في مَورِ العُبابِ؟![1]

* * *

عجباً ! مـا السّـرُّ في خفقتِه.. ؟ إِنـني أسْـأَلُكِ السّـرَّ الدفـينْ
أنـتِ أدْرَى بالـذي أودَعتِـه فيـه من حبٍّ، ووَجْـدٍ، وحَنِينْ!

* * *

إن قلـبي لم يكـنْ يَنْـزُو ، فماذَا سَالَ في كفّكِ مِنْ سِحْرٍ عَجيبِ؟
أهـو اللُّغْـزُ الذي تَحْويـنَ هذا؟ أم هي الفتنـةُ في مِفْتَاحُ القُلُوبِ؟

* * *

إيه !. إنِي في اضطرابي قَدْ نَسـيتُ مَبْعـثَ الفتنـةِ عينيـك تْـينِ!
تُضْمِرَانِ السِّـحْرَ يُحيي ويُميتُ ؟ وهمـا سِـرُّ اتصـالِ المُهْجَتَيْـنِ

* * *

سِـحْرُكِ المجهولُ أَمْسَكْتُ عَصَاه! فـإذا شـئتُ اتقـاءً أتّقِيـه!
لكن السّـحْرَ الذي تَاهـتْ رُقَاه إنـني أهفُـو إلى الإِخـلادِ فيهِ

* * *

---

* نشرت في ١٩٣٤

١- مور العباب: تحرّك الأمواج.

قبلة*

أهــي النَّشْــوةُ أم وَقْــدةُ جَمْــرٍ إنني أحســستُها تذكُو بِصَدْرِي[1]
وبِرُوحــي لَهْفَــةٌ تَبعثُهــا هذه القبلــةُ من أعــذبِ ثَغْــر
قُبْلَــةٌ ! مــا هــذه القُبْلَــة إذ تنقــلُ الدُّنيــا إلى عــالمِ سِــحْرِ
وتُحيــلُ الجســمَ والــرُّوحَ معــاً شــعلةً طائفــةً لم تَسْــتَقِرِ
بل تُحيلُ الجســمَ والرُّوحَ شَــذىً من عبيرِ الخُلْدِ أو مِسْــكَةِ طُهْــرِ

* * *

لم أُحِــسّ الــرُّوحَ مــنى مُثْقَــلاً بهمومِ الجســمِ إذ هَوَّمَ يَسْــرِى
لم أُحِــسّ العُمْــرَ إلا خَفْقَــةً في فُؤادِ الدَهرِ قد فَاضتْ ببشرى
وأرى الماضِــى أَضْحَــى لحظَــةً بعد ما قَــدْ كادَ أن يُنْقِضَ ظَهرِي
وتطلَّعْــتُ بعــينِ المُنْتَشِــى لجمالِ الكونِ في نَشْــوةِ سُــكْرِ

* * *

أهــي القُبْلَــةُ مــن ثَغْــرٍ لِثغرِ ؟ أم هــي الخَطْرةُ مِــنْ وَحي لِفكْرِ
أم تُراهــا قُبْلَــةَ النــورِ الــتي فاضَ منهــا النــورُ في أولِ فَجْرِ
حينمــا رفــرفَ والكــونُ دُجَىً رُوحُ ربّ الكــونِ في لُجّــةِ غَمْرِ
فتجلّــى النــورُ في بَــرّ وبَحْــرِ وتَراءى الحُسْــنُ في طيرٍ وزَهْــرِ

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- تذكو: تنمو وتلتهب.

داعى الحياة*

يَخفُــقُ القلبانِ ، بل تَهفُو الشّــفاه   مُنــذُ أن ضَمَّتْك في شَــوْقٍ يَداه
مُنــذُ أن رَنّ صَدَاهــا ، قُبْلَــةً   نَهلَــتْ منهــا وعَلَّــتْ شَــفتَاه
وارتــوتْ رُوحَاكُما بَــلْ ظمِئت   برحيــقِ القُبُــلاتِ المشــتهاه
بَلْ رحيــقُ الخُلْدِ قَدْ طَــابَ جَنَاه   وسَــرَى فيــه حُــلاه وشَــذَاه

* * *

يَخفُــقُ القلبانِ؛ بل تَهفُو الشِّــفاه   حــينَ يَلْقَــى ناظِرَيْــك نَاظِرَاه
حينمــا يَسْــتَعِرُ الحــبُّ جَــوىً   يَكْتَوِى القلبــانِ مِنْ حَــرِّ لَظَاه
فَيُرجــي كلُّ ثَغْــرٍ قُبْلَــةً   هــي بــردٌ للحنَايــا والشِّــفَاه
مثلمــا يَطْلُــبُ رَيًّــا ظَامِــىءٌ   ينظــرُ المــاءَ ولا يَبْلُــغُ فَــاه

* * *

يخفُقُ القَلْبــانِ؛ بل تَهفُو الشِّــفَاه   كلمــا بَشَّــرَ بالحــبِّ الهُــدَاه
كلَّمــا نَــادَى حَــيْ هَــلا   يَقْطِــفُ المحرومُ ما طَــابَ جَنَاه
مَــا لِمَحْرومَيْــن لم يَسْــتَمِعَا   ذلك الصــوتَ الذي دوّى صَدَاه
إِيه هيــا؛ فَلْنُجبْ دَاعِى الشِّــفاه   فهوَ داعِى الحبِّ؛ أو دَاعِى الحياةْ

* نشرت في ١٩٣٤

تحية الحياة*

شَـــفَتَاي تَخْتَلِجَـــانِ للتقبيـــلِ؟ في كلِّ مُطَّلـــعٍ لديـــك جميـــلِ
ظَمَـــأُ الشّـــفاهِ طبيعـــةٌ أُلْهِمْنَهـــا منـــذ ارْتَوَيْـــنَ بثغركِ المَعْسُـــولِ
ظَمَـــأٌ تُؤجّجُـــه القلـــوبُ خَوافقاً تَنْـــزُو بعـــارمِ لهفـــةٍ وغليـــلِ
من يومِ ما التقَت الشّـــفَاهُ فَحدَّثَتْ عـــن حُبِّنـــا بســـواحرِ الترتيلِ!
أفتذكرينَ وقـــد ضَمَمْتُك والهوى يُغْـــرى ويُوقِظُ خَاطِـــرَ التقبيلِ؟
والكـــونُ يُمْسِـــكُ خَفْقَـــه مُنْتظراً قبلاتِنـــا في لَهْفَـــةٍ وذُهـــولِ
هُـــو عاشـــقُ القُبَـــلاتِ! إنّ رَنينَها لَحْـــنٌ يُنَبِّـــهُ فيـــه كلَّ خُمُـــولِ
وهـــي الحيـــاةُ إذا تُحيّـــى قُبْلَـــةٌ رَمْزاً علـــى الترحيـــبِ والتأهيل
أفـــلا نَـــرُدُّ علـــى الحيـــاةِ تحيـــةً مَا عقّهـــا في الكـــونِ أَيُّ بخيلِ؟
أفـــلا نُرَجِّـــعُ غِنْـــوةَ التقبيـــلِ! وتحيـــةَ الدُّنيـــا لخـــيرِ نزيـــلِ؟(١)

---

* نشرت ١٩٣٤.

١- النزيل: الضيف

الخطر

بـيـنَ التلفُّـتِ والحَـذَر خَطَـرتْ تُبَشِّـرُ بالخَطَـرْ!
بُشْـرَى! فمـا دامـتْ هُنَـا فعـلامَ تَقْرُبُنـا النُّـذُرْ!
وتشـيرُ للمتنظِّريـــن إشَـارةَ اللّبِـقِ الحَـذِرْ!
لتضيـعَ مـني قُبْلـةٌ لبثـتْ بفِيهـا تَنْتَظِـر!
ولبثـتُ أرقُـبُ قَطْفَهـا مـن بَعْـدِ مـا نَضَـجَ الثَّمَـرْ
هـو ذاك يـا قلـبُ الخَطَـر لا الناظـرونَ ولا النَظَـرْ

* * *

صَنَـعَ الشـبابُ صنيعَـه والحـبُّ في الحُسْـنِ النَّضِـرْ
فمضَـى يَتيـهُ تخايـلاً فـإذا تَلَطَّـفَ يَعْتَـذِرْ!
ويَلُـوحُ حـتى ننتَشِـي ويغيـبُ حـتى نَسْـتَعِرْ
ويـروقُ حـتى لا نَـرى شمسـاً سِـواه ولا قمَـرْ
ويَـرِقُّ حـتى لا نَـرى طـيراً سِـواه ولا زَهَـرْ
ونَطِـيرُ في نَشَـوَاتِنا نهفُـو إليـه وننتظـرْ
فَـإذاهُ آنـاً يعتـذرْ عَنّـا وآنـاً يسـتترْ!
هـو ذاك يـا قلـب الخَطَـرْ لا الناظـرونَ ولا النَظَـرْ!

* * *

تِــه أيُّهــا الحُسْــنُ الأغَــرُّ وامــرحْ بِنَفْسِــك وازْدَهِــرْ

مــا الحُسْــنُ إلا شُــعْلةٌ تَخْبــو إذا هِــي لم تُثَــرْ

مــا الحُسْــنُ إلا طَائــرٌ يَهــوِى إذا هُــو لم يَطِــرْ

مــا الحُسْــنُ إلا قُــوةٌ تَعْيَــا إذَا لم تَقْتَــدِي

أمّــا الذيــن أسَــرْهُم بــينَ التــبرُّجِ والخَفَــرْ[1]

فعليهــمُ أن يَعْلَمُــوا يــا حُســنُ مــن أيــن المَفَــرْ

أو يَســتَنِيموا للخَطَــر وبحســبِهم مِنــكِ النَظَــرْ

* * *

١- الخفر : الحياء.

يقظة*

سَـــهِرْتِ؟ إذنْ تَعَالَــيْ حَدِّثِيـــني   بما أحْسَسْـــتِ من حَــرَقِ الحنينِ
فقـــد جربتُـــه ســـهرَ الليـــالي   وقـــد خَبَـــرْتُ تســـهيدَ الجفون
وأعْلَـــمُ أن مبعثَـــه غَـــرامٌ   يَـــؤُزُّ جوانبَ القلـــبِ الحَنُونِ[1]
ويَقْظَـــةُ حـــالمٍ تَسْـــمُو مُنَـــاه   عـــن النُّـــوامِ في دُنيا الســـكُونِ
فَهـــلْ أحْسســـتِهِ حُبّـــا كهـــذا   فبـــتِّ الليـــل سَـــاهِدةَ العُيونِ؟

* * *

ومـــا أبْغِـــى لـــك السُّـــهدَ المُعَنّى   ولا الحُرُقَاتِ سَـــاعرةَ الشُّـــجُونِ
ولكنّـــي أريـــدُ نشـــاطَ حُـــبٍّ   ويقظـــةَ عاشـــقٍ جَمِّ الفُتـــونِ[2]
فنوقـــظُ هـــذه الدُّنيـــا خلـــوداً   ونَسْـــمُو عـــن تقاليدِ الســـنينِ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤
١- يؤز: يزلزل.
٢- الجمّ: الكثير.

رقية الحب*

خَيَّمَ الليلُ فَنامِي في هُدوءٍ وسَلامِ
رَفَّ مِنْ حَولك قَلبٌ عَلَّم الحبَّ التَسَامي
أو فَإنَّ الحبَّ نَقَّاهُ بوحِي مِنْه سَامِ
فهو يَحْيَا في سماءٍ مِن أمَانٍ ومَرَامِ
وهو يَسْرِي في وَسِيعٍ من رجاءٍ مُتَرَامِ
يَشْمَلُ الدُّنْيا بعطفٍ ورِضَاءٍ وابتسامِ

* * *

خَيَّمَ الليلُ فَنامِي في هدوءٍ وسَلامِ
رَتَّلَ الحبُّ رُقَاه في سُكونٍ لِتَنامِي
رُقْيَةُ النومِ وأُخْرى للرُّؤى بعدَ المَنَامِ
ودُعَاءٌ لكِ بالبِشْرِ غَداً عندَ القيامِ
وتَعَاويذُ مِن الشَّرّ لعامٍ بعدَ عامِ
رُقْيَةٌ في إِثْرِ أُخْرَى مُشْرِقَاتٌ في الظَّلامِ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.

أيُّهــا الحــُّب فَــلا تَنْــَس دُعــاءً بِالــدوامِ
وتعاويــذٌ لقلبينــا لِصَــدٍ أوْ سَــآمِ
أو فَعَوِّذْهــا ودَعْنِــي لِتَعاويــذِ غَرامِــي
وإذا شــئتَ فَعَــوِّذْ بِي مــن فَــرْطِ هُيامِــي
ومِــنَ اللهفــةِ تَطْغَــى في فــؤادِي كالضِّــرَامِ![1]
واجعــلْ الدُّنْيَــا ســلاماً وارْوِ يــا حُــبُّ أُوَامِــي[2]

* * *

١- الضِّرام: النار الملتهبة.
٢- أوامي: الأوام: حرارة العطش.

الحياة الغالية*

بالأمسِ كنتُ أعيــُش نِضْو تَرقُّبِ   أُزْجي حَياتيَ كالأجــيرِ المُتْعب[1]
أرنُــو إلى الإِصْبَــاحِ ثم تَمُجُّــه   نَفْســي وأنظرُ كارهاً للمَغْيب[2]
وأُحــسُّ بالقفــرِ الجديــبِ يَلُفُّني   ويَجُوسُ في نفــسٍ كقبرِ الغَيْهَبِ
ولو أنمــا اختصرت حيــاتيَ لم أبل   بَــلْ لم أحسُّ بنقصِهــا أو أعْيب
وإِذَا تَشَــابَهتِ الحيــاة وأقفرتْ   مُجَّــتْ برُمَّتِها، ولَــمْ تُتَطَيب

* * *

واليومَ. آسَــفُ للدقائــقِ تَنْطَوي   من عُمْرِي الغَــالي الثمينِ الطَّيب
واليــومَ أرْقُبُهــا وأرْقُــبُ خَطْوَها   فأعيشُــها مِثْلَينِ بَعــدَ تَرَقبذث
وهــي العميقــةُ كالخلــودِ وإنما   تَمْضِــي حَثيثاً في خُطَــا المُتوثب
وأودُّ لــو هــي أبْطَــأتْ وتَلبَّثَتْ   في خَطْوِها لَيْثَ الوَئيــدِ المُكْثِبِ
تَغْلُــو الدقائــقُ في حيــاةٍ خِصْبَةٍ   وهَــونُ أَعْــوامٌ بِعُمْــرٍ مُجْدِبِ

* * *

الحبُّ فَــاضَ على الحيــاة بخصَبه   وأجَــدَّ عُمْراناً بِــكلِّ مُخَرَّب[3]
وأزَاحَ أسْــتَارَ الدُّجَى فتكشَّــفَتْ   ظُلُمَاتُــه عــن كلِّ زَاه مُعْجِــب
وكذلك تَحْلُو لِيَ الحيــاةُ وتَجْتَلي   وتَعِزُّ ســاعاتُ الغَــرامِ المُخْصِب

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- النضو: هزيل والمراد: هزيل من الترقب والانتظار.

٢- تمجه: تلفظه كارهة.

٣- أجَدّ: استحدث.

الكون الجديد*

تَغَنّي وامْلئي الدُّنيا نشيدَا   وحَيِّي ذلك الكونَ الجديدَا
فإنَّ الحبَّ أبْدَعَه؛ وإني   نَظمْتُ على بَدائعه القَصيدَا
أجَلْ حيِّيه فهو لنا، وإنّا   لَنَعْمُرُ كَوْنَنا عُمْراً سَعيدَا
نعيشُ مَعيشَةَ الطُّلَقَاءِ فيه   وكونُ الناسِ يُثْقِلُهم قُيودَا
وَنَمْلكُه وَما الأحياءُ إلاّ   أجِيري هذه الدُّنيا عبيدَا
وَنَبْذُرُ فيه آمالاً وضاءَ   فَيُنْبِتُ غَرْسُها الطَّلْعَ النَّضِيدَا

* * *

تَغَنّى بالرجاءِ وبالأمَاني   وبالنُّعْمَى تَدومُ لَنا خُلُودَا
ومِنْ فِتَنِ الحياةِ خُذي الأغَاني   ومِنْ خَفَقَاتِها صُوغي النَّشيدَا
ومِنْ شِعْري؛ فقد نظّمْتُ فيه   أهازيجَ الهَوى لَحْناً فريدَا
فما أحْلَى الغِنَاءِ بِعَذْبِ شِعْرٍ   نحيّي فيه عَالَمَنَا الوَليدَا

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.

حب الشكور*

إنْ لَمْ أُحبُّك للسَّنَا والنُّور   وَلحُسْنِ وجه في الحياة نَضِير
ولسِحْرِ رُوحْك حين يَخْتَلِسُ النُّهَى   منِّي فَأتْبَعُه اتِّبَاعَ سَحِير[1]
ولِمَّا تَضَمَّنْت الجمالَ فأفصحتْ   بك منه سَاحِرة مِنَ التعبير
ولما مُنحْت، وما مَنحت من الهوى   للكون؛ أو أحبيْت منْ مَقبور
إنْ لَم أُحِبُّكِ حُبَّ مفتونٍ ولا   حُبَّ الأسير؛ إذَنْ فَحُبُّ شَكُور

* * *

حُبَّ الذي أحبيْت فيه حَيَاتَه   مما لديك من الحَيا المَذْخُور
ووهبته مُلْكَ الحياة وطَالَما   قَدْ عَاشَها كالعَامِلِ المَأْجُور
ومَنَحْته مَاضيه بعدَ ضَيَاعه   وأعَذْت قَابلهُ منَ المَحْظُور
حُبَّ الذي أشْرَقْت في وجْدَانه   فجلوت كلَّ مُحَجَّبٍ مَسْتُور
ونَفَخْتِ في عَزَمَاته فتوهَّجَتْ   وسَمَتْ لكلِّ مُمَنَّعٍ وخَطير

* * *

أوْ فَلأُحِبُّك حُبَّ مَنْ ألهمته   شِعْراً يُضيء سَنَاه كلَّ شُعور
شِعْراً جمعت من الحياة زُهورَه   ومن الجمال نَفَحْته بعبير
ومِن الضياءِ وهبته آمالَه   ومن النَّدَى حلْماً كوجه غَرير
وبعثته وَحيَ الحياةِ وفَنَّها   تجلُوه ضِمْنَ جمالها المأثور

* * *

أفلا أُحِبُّك؟ إنَّها لَفَريضَةٌ   حُبَّ الشَّكُورِ لواهبٍ مَشْكُور

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- النهى : العقل.

عصمة الحب*

عِصْمَــةُ الحبِّ من صنيعِ السَّـــماءِ وهي صِنْــوٌ لعِصْمَــةِ الأنبياء[١]

يُخْطِــىءُ الناسُ في الحياةِ اسْــتِبَاقاً للــذَاذَاتٍ قبــلَ يــومِ الفَنَــاء

وصِرَاعــاً مــا بينَ جســمٍ ورُوحٍ في شَــتيتِ الآمــالِ والأهــواء

وَلَــوَ انَّ الأنامَ قَدْ ضَمِنُــوا الخُلْدَ أوَ انَّ الأرْواحَ مَحْــضُ صَفَــاء

لَتَسَــامَوْا عَــنِ الخَطيئــةِ كالقَيْدِ وعَاشُــوا مَعيشــةَ الطُّلَقَــاء

* * *

وغَنَــاءٌ عــن الخُلُــودِ غَــرَامٌ هــو رَمْــزٌ ووَصْلَــةٌ للبقــاء

وهو يَعْلُو بالرُّوحِ عن خَطَلِ الجِسْمِ ويُضْفِــي عليه ثَــوْبَ الضِّيَاء[٢]

هُــو نــورٌ ومــا الخطيئَــةُ إلاَّ ظُلْمَــةٌ أو حَليفَــةُ الظَّلْمَــاء

وهُو يَسْــمُو عن الزمــانِ ومَا قَدْ يَقْتَضيــه الزمــانُ مِــنْ أخْطَاء

هُــو خُلْــدٌ، ومــا الخطيئــةُ إلاّ بعــضُ وَحْــيِ الفَنَــاءِ للأحْياء

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- الصنو: المثيل والنظير.

٢- خَطَل: فساد: الكلام الفاسد الكثير المضطرب: المنطق الفاسدز

الانتظار الخالد*

أنـــا بانتظـــارِك مـــا أُبالـــي رِضـــي الهـــوى حُكْـــمَ الجَمالِ!
غيـــبي إذَنْ أو فَاحْضُـــرِي أنـــا قَانِـــعٌ في كلِّ حَـــالِ!
رَاضٍ بأحلامـــي الـــتي تُضْفـــي عليـــك حَلْـــيَ الجلالِ
لســـتِ الملومَـــة إنـــني أنا رشْـــتُ أجْنحَةَ الـــدَّلالِ![1]
مَـــا للجَمَـــالِ مَتَـــى بَـــدَا إلا التَّخَشُّـــعُ في ابتهـــالِ

* * *

أنـــا بانتظـــارِك في الشُّـــروقِ وفي الغـــروبِ وفي الـــزَّوالِ
أنـــا بانتظـــارِك حِـــين أصْحُـــو طَلْعَـــةً مِثْـــلَ اللآلِـــي
أنَـــا بانتظـــارِك حـــينَ أغْـــــــفـــو طائفـــاً مِثْـــلَ الخيـــالِ
وإذا قربـــت تَطلَّعَـــتْ نَفشـــي إلى القُـــرْبِ المُوالِـــي!
وإلى التَّمـــازُجِ بيننـــا خَنْـــيَ النحـــور إلى كَمَـــالِ
هـــو ذاك سِـــرُّ تَنَظُّـــري أبـــدا إليـــك؛ فمـــا احتيالِـــي؟

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.
١- رشْتُ: السهم، جعل له الريش.

الحب المكروه!*

كَرِهْتُكَ أيُّها الحبُّ كراهةَ مُخْنَقٍ غاضِبْ
وضَجَّ بِهَوْلِكَ القلبُ وما تَبْلُوه مِنْ وَاصِبْ[1]

* * *

كَرِهْتُك حَيْرةً كُبْرى جحيماً كَلُّه حَرَقْ
كَرِهْتُك لهفةً حَرّى وشوقاً كلُّه نَزَقْ

* * *

كَرِهْتُك رِيبةً فينَا وفي الدُّنيا وفي النَّاسِ
نُكَذِّبُ مَا بأيدينا ونَسْمَع هَمْسَ وَسْواسِ

* * *

كرهتك غُلَّةً[38] ظَمِئتْ ولا رِيٌّ ولا مَاءْ
وَوَقْدَتُها قد اشتعلتْ وفي التلطيفِ إذْكَاءْ

* * *

كرهتك سَهدَ أجفانٍ وصَحْواً في الدُّجى المُبْهَمْ
كرهتك مَهدَ أشْجَانٍ ومُذْكِي وَقْدِها المُضْرَمْ

* * *

---

* نشرت ١٩٣٤.

واصب: من وَصَبَ: مرض.

كرهتك شُغْلِيَ الشَّاغِلْ وآمَالِي وآلامِي
وماضِي العُمْر والآجِلِ ولَيْلاَتِي وأيّامِي
* * *
كرهتُك دورةَ الزّمَنِ بلا حَدٍّ ولا فَاصِلْ
وصلتُ الصّحْوَ بالوسنِ بإحساسٍ لَنا شَاغِلْ
* * *
كرهتُك لستُ موقوفاً على حُبٍّ يُقَيّدُني
كَرِهْتُ العيشَ مَلْهُوفاً على أملٍ يُسوّفُني
* * *
وداعاً أيُّها الحُبّ كرهتك فارتحلْ قُدُمَا
كرهتك لم يَعُدْ قَلبٌ بصدري يَحْمِلُ الألَما
* * *
سَأحيا خَامِدَ الحِسّ فلا حُبٌّ ولا أمَلُ
سَتخْبُو شُعْلَةُ النفسِ ويَمضِي ذلك الأجِلُ
* * *

نكسة!*

خَفَقْتَ يا قلبُ ! . ماذَا أَنَكْسَةٌ مِنْ جَديدْ؟[1]
تَوثُّبَ الحبّ هَذَا ؟ بعدَ الهدوءِ المَديدْ
وبعد فَكّ القيودْ

* * *

يا قلبُ ماذَا أَثَارَكْ ؟ وهَاجَ فيك الحَنينَا؟
وقد خَلَعْتَ إسارَك وعِشْتَ كالناسِ حِينا[2]
أو عشتَ كالهادئينَا !

* * *

لَقِيتَها يا فُؤادِى أَنَكْسَةُ الحبّ لَقْيَا؟
كالنارِ تحتَ الرّمادِ ما يلبثُ الحبُّ حَيّا
ما أعجبَ الحبَّ دُنْيَا !

* * *

يا قلبُ فَاذكرْ عَذَابَك في الشكّ أو في اليقينِ
فهل نَسِيتَ اضطرابَكَ؟ بين القَلَى والحنينِ[3]
وبين سُودِ الشُّجُونِ؟

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤
١- النكسة: العودة رأساً على عقب. والمراد العودة إلى المرض بعد العافية.
٢- إسارك: قيدك.
٣- القلى: البغض والهجر.

وبـــينَ إنْ قِيـــلَ غَابَـــتْ أو قِيـــلَ : الآن تَأتِـــي!
وبـــينَ فَـــوزٍ مُبَاغِـــتْ أو حســـرةٍ بعـــدَ فَـــوْتِ
وحَيْرَةٍ كلّ وقتِ

* * *

أراكَ يـــا قلـــبُ لَمَّـــا تَســـمّعْ، ولم تَتَذَكـــرْ
ومـــا تحـــاوُل كَظْمـــاً لِخَفقِـــكَ المُتَســـعّرْ
وما تريدُ التدبُّرْ

* * *

عَلَيْـــكَ يَـــا قلـــبُ وِزْرَكَ فاخفـــقْ إذَنْ بَـــلْ فَخَاطِـــرْ؟
فليـــس يُجْدِيـــك حَـــذَرُكَ إذَا هَمَمْـــتَ تُحَـــاذِرْ
خاطرْ بنفسك خَاطِرْ؟

* * *

على أطلال الحب *

تَفَــرَّدَ ذلــك الطَّلــلُ وطــافَ بركنــه الوَجَــلُ
يُغَشّــى اليــأسُ صَفْحَتَــه ويُبْــرِقُ تحتَــه الأمــلُ
وهَمِــسُ حولَــه الذّكْــرَى فتلمــعُ بينهــا الشُّــعَلُ
جَفَــاه أهلُــه مَلَــلاً فَخَّيــمَ فوقَــه المَلَــلُ
عَزِيــزٌ عَهْدُهــم فيــه عزيــزٌ أَنْــتَ يَــا طَلَــلُ

* * *

بَنَــاه خَيــرُ بَنَّــاءٍ بَنَــاه الحــبُّ مُبْتَدِعــا
وبَــثَّ عَلــى جَوانِبِــه مَفَاتِــنَ تَفْتِــنُ الوَرِعَــا
وأطْلَــقَ حَولَــه سِــحْراً يَبُــثُّ الشَّــوقَ والوَلَعَــا
وأَنْشِــدَ باسمِــه شِــعْراً مِــنَ الآمــالِ مُنتَزِعَــا
وظَلَّــلَ أَهَلــه الأمــلُ فمــاذا جَــدَّ يــا طَلَــلُ ؟

* * *

* نشرت ١٩٣٤.

خريفٌ باكرٌ حلَّ خريفُ الحُبّ والعُمْرِ
فَحطّمَ كُلَّ شامخَةٍ على الأحداثِ والدَّهْرِ
وعَطّلَ كُلَّ فاتِنَةٍ مِن الإغْوَاءِ والسّحْرِ
وأبْطَلَ كلَّ ساحِرةٍ وأسْكَتَ نَغْمَةَ . الشّعْرِ
فَعَادَ بِناؤُه طَلَلاً فَويْحَكَ أيُّها الطَلَلُ
دَلَفْتُ إليه مَلْهُوفاً تحُثُّ حَنيني الذّكْرَى
فَأطْرَقَ لا يُحَدّثُني وأرْسَلَ زَفْرَةً حَرَّى
وَجَدْتُ لِوَقْدِها لَذْعاً كَأني أَلْمَسُ الجَمْرَا
وتاهتْ نَفْسي الوَلْهَي وأَسْرَتْ رُوحي السَّكْرَي
وقُلْتُ وقَدْ نَزَا ألَمي «فِداكَ الكونُ يَا طَلَلُ» ؟

* * *

صدى قبلة*

حرارتُهـــا لم تَـــزلْ فَائِـــرَه ونكهَتهَتُـــا لم تَـــزالْ عَاطِـــرهْ
أُحِـــسُّ حرارتَهـــا في دَمِـــي كمـــا تَصْـــرُخُ الشـــعلةَ الثَّائِرهْ
أنْشَـــقُ نَكْهَتَهـــا كالشَّـــذَى يفـــوحُ مـــن الزهـــرةِ النَّاضِـــرهْ
وتخطـــرُ رَيَّانَـــةً في فَمِـــي كمـــا يَخْطُـــر الحُلْـــمُ بالذَّاكِرة
وبـــينَ يَـــديَّ صَـــدَى ضَمَّـــةٍ تَـــرَدَّدُ كالنَغْمَـــة السَّـــائِرةْ[1]
أجَلْ! لَيْسَ هَذَا الذي قد ضَمَمْتُ سِـــوى نَغْمَـــةٍ حُلْـــوةٍ عَابِـــرَة
أذلـــك جِســـمٌ ! فأيـــنَ الخيُال وأيـــنَ عَرَائِسُـــه النَّافِـــرةْ؟
تَقَدَّسْـــت مِـــنْ قُبْلـــةٍ قَدَّسَـــتْ مُنَـــاي وأوْهَامِـــي الحائـــرهْ
وأَزْكَـــتْ حَياتِـــي وإنَّ الحيـــاةَ هـــي الفتنـــةُ الحيّـــةُ الطَّائِـــرهْ
أجلْ هـــي أطْهَرُ ما فِـــي الوجودِ فمـــا الرِّجْسُ إلاّ القُـــوى الخَائِرةْ
لجَسَّـــمْتِ مـــا كانَ في خَاطِرِي خيـــالاً وأُمْنيـــةً طَائِـــرهْ
وقَرَّبْـــتِ للَّمْـــسِ مـــا لم تَكُـــنْ تُقَرِّبُـــهُ الفكـــرةُ الخَاطِـــرهْ
وَأسْـــرَيْتِ بالـــرُّوحِ في لَثْمَـــةٍ تَحُـــسُّ بِهـــا الشّـــفَةُ الشّـــاعِرهْ
أَمُعْجِزَةٌ أَنْتِ تَمْزِجُ بين الجِســـم وبـــينَ القُـــوى الطَّافِـــرهْ ؟[2]
قُـــوى كلِّ هَيْكلِ هـــذا الوجودِ كذلـــك قـــدرِتْ يـــا قَـــادِرَهْ !

* نشرت في تشرين الأول(أكتوبر) ١٩٣٧.
١- السائرة: المنتشرة.
٢- الطافرة: من طفَرَ: وثب: أسرع.

وإنّــي لأغْمِــضُ فِــي نَشْــوةٍ وأُمْسِــكُ أَنْفَاسِــي السَّــاعِره

وأَخْطَرُهَــا قُبلَــةً فِي فَمِــي فَأَسْــمَعُ أَصداءَهــا السَّــاحِرهْ

وأسْــتَرْجِعُ اللحظــاتِ القِصَارِ فَأُلْفِــي بهــا صُــوراً وَافِــرهْ

وأَعْرِضُهــا مَنْظَــراً مَنْظَــراً كمــا عُرِضَــتْ قبــلُ لِلبَاصِرهْ

ثَــوانٍ تَرَكّــزَ فيهــا الزمــانُ تُبَــارِكُ دُنيــاي والآخــرهْ

* * *

غني... ؟!*

غنيّةٌ أنـتِ بالتعبيرِ قـد ذَخَرَتْ   أطـواءُ نفسِـكِ منـه زادَ أَحْقَابِ
وهَبِتـني مِنْـه أشـتاتاً منوّعـةً   وزدتِـني منـه في وجودٍ وإسهابِ
في كل جَارحـةٍ عُنـوانُ مَلْحَمَةٍ   مـن الحديثِ ، وسـرٌّ جِـدُّ جذّابِ
تقـصُّ تاريخَهـا في فـنّ راويةٍ   منسّـق النَّبْرِ ذي لحـنٍ وإطرابِ[1]
وإنَّ تاريخَهـا أُقْصُوصـةُ جمعتْ   تجـاربَ الكـونِ في أحـلامِ أربابِ
تجاربُ الكونِ في سِـحْرٍ وفي فِتَنٍ   من نُضْرةِ الرّوضِ أو مِنْ وَحْشَةِ الغَابِ
ومِنْ سَـناءِ الـدّراري في تألُّقِها   ورهبةِ الكونِ في جُنْحِ الدُّجى الخَابي[2]
ومِنْ غُموضِ الصّحَارِى في مَجاهِلِها   والعيلمُ الرّحـبُ يَطْغَى جِدُّ صَخّابِ
ومن صِيـالِ الضّواري في تَقحُّمِها   ومن أغاريـدِ أطيـارٍ وتَنْعَـابِ[3]
وفرحـةُ الظَافِرِ النَّشْـوانِ خَافِقَةٌ   تختـالُ مُعْجَبـةً في خَطـوِ وثّـابِ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٧

١ – النبر: إبراز النطق والصوت.

٢ – الدّراري: مفردها دُريٌّ: وهو كوكب لامع.

٣ – التنعاب والنعيب: صوت البوم.

هــذا حديثُــكِ بينَا أنــتِ صَامتةٌ   وَعَيْنُــهُ كلّه في صَمْــتِ مِحْرابِ
فهلْ بلغتُ مدَى مــا أنتِ زَاخرةٌ   من التجاربِ في خَلْــقٍ وإنْجابِ ؟
لا . لا وحقكِ لم أبلغْ سِوى طَرْفٌ   من الحديــثِ على وَفْــرٍ وإطنابِ
وخَلْفَ ذلــك كَنْزٌ كُلُّــه طُرَفٌ   يزيــدُ مَذْخُــورُة في كــفّ وهّابِ
وإنَّ عِنْــدكِ مــا تُعطِينــه أبــداً   للســائلينَ بإفْصَــاحٍ وإغْــرابِ

* * *

العينُ . ماذا تَقصُّ العينُ مِنْ خَبرٍ   مُسَلْسَــلٍ في حَنايا النفسِ مُنْسَابِ؟
وما الذي أبْدعتِ للفنِ إذ هَمَست   للأمْنيــاتِ فلبّتْ بِضْعُ أسْــرابِ ؟
وأفْصَحتِ عن حنينٍ كامنٍ وهَوى   يَسْــرِي الهوينى شَفُوفاً بينَ أهْدابِ ؟
والثغــرُ ماذا يبثُّ الثغرُ من قُبَلٍ   في صمتِه العَذْبِ ، بل في سِحْرِه السَّابِي(١)
وإِن فيه لقُبلاتٍ قد ارتَسَــمتْ   من بعد ما نَضَجَت ، لِلاّثِمِ الصَّابي(٢)

* * *

والجسمُ. ماذا يقولُ الجسمُ قد خَفَقَتْ   فيه الحياةُ ، وتَاهــتْ تيهَ غَلاّبِ ؟
يقولُ مــا تعْجَــزُ الدُّنيــا بِرُمَّتِها   عــن أن تقولَ بتصويــرٍ وإعرابِ

* * *

خُلاصَةٌ أنتِ من فَــنّ الحياةِ حَوتْ   جَميعَ ما تُبــدِعُ الدُّنيا لإعْجَابِ
غنيــةٌ أنــتِ بالتعبيرِ قَــد ذخرتْ   أطواءُ نَفْســكِ منــه زادَ أحقابِ

* * *

وحي جديد *

فِــي خِفّــةِ الطيْــرِ في نُضْــرَةِ الزّهْــر
لا قيتُهــا عَرَضــاً بَسّــامةَ الثّغــرِ
فتّانــةٌ تُغــري بالسّــحرِ والطُّهْــرِ
تَهْفُــو فَتَحْسَــبُها لحنــاً هَفَــا يَسْــرِى
في لَفْتــةِ الجِيــدِ في خَفْقــةِ الصَّــدْرِ
«تَقْســيمُ» موســيقـــا أمَنْغُومــةِ النّبْــرِ

* * *

يــا بَسْــمَةَ الفَجْــرِ يــا نَفْحَــةَ العِطْــرِ
أسْــكَرْتِ وِجْــدَانِي مِــنْ لَوْنــكِ الخَمْــرِي
أَلْهَبْــتِ إِحْسَاســي بالشّــوقِ كالجمْــرِ
وَهَمسْــتِ في قَلْــبِي وهَتَفْــتِ في صَــدْري
وبَعَثْتِنِــي أَشْــدُو للحُــبّ بالشّــعْرِ
وكأنّــني رُوحٌ تَقْفُــو خُطــا سِــحْرِ
مَفْتُونَــةً ترنُــو للكــونِ في سُــكْرِ
والكــونُ يَشْــمَلُها بالأنْــسِ والبِشْــرِ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٧

عَجَبِي لِمَا أَلْقَى مِنْ لُغْزِكِ السِّحرِي!
وَحْيٌ يُوَسْوِسُ لي في السِّرِّ والجَهْرِ
حوَّلتِ عُمْرِي مِن شَطْرٍ إلى شَطْرِ
حبَّبْتِنِي، عَجَبًا! في عيشَةِ الوَكْرِ
قد كنتُ أرْهَبُها كالنَّابِ والظُّفْرِ!
وإخَالُها شَرَكًا في البَرِّ والبَحْرِ!
إذ كنتُ أدْمَغُها بالشَّكِّ والغَدْرِ
فملأتِني ثِقَةً بِجمالِها المُغْرِي
ورسمتِ لي صُورًا لِفراخِها الخُضْرِ
تَزْقُو فَنُطْعِمُها بِحنَانِنا النَّضْرِ
ونَرِيشُ أجْنِحَةً مِنْ رِيشِها النَّزرِ
فَتَطِيرُ هَازِجَةً في جَوِّنا الشِّعرِي
وتؤوبُ وَادِعَةً لِلعُشِّ كالطَّيرِ!

* * *

يَا فِتْنَتِي، هَذَا طيفٌ مِنَ السِّحْرِ
إنْ تَأذَنِي أَضْحَى شَطرًا مِنَ العُمْرِ
فَهَبِي لي رُوحًا مِن رُقْيَةِ الثُّغْرِ
هِي قُبْلةٌ تُمْضِي مَا شِئتِ مِنْ أمْرِ
وكَأنَّها قَدَرٌ بِسعَادتي يَجْرِي

* * *

أكذوبة أسوان *

بعد عام أحس في نفسه بالسُّلوان، وأحس بمغاليق نفسه تنفتح للجمال. ولكنه تنبه إلى أن كلَّ نموذج جميل ينفتح له قلبه فيه شبهٌ أو سِمَةٌ من الجمال الذي حَسَبَ نَفْسَه قَدْ سَلاَه وإذا هو يَهْفُو إلى الماضي، والماضي وحْدَهَ دونَ سِواه.

الآن أعْلَمُ أنّ كلَّ خَواطِري ... تَهْفُو إليكَ كَرَقْرَقَاتِ الطَّائِرِ[1]

ما كان سُلْواني سِوى أُكْذُوبةٍ ... خُدِعَتْ بها نَفْسي خَديعَةَ شَاعِرِ

بَيْنَ الشَّغافِ وفي مُنَاي وفي دَمِي ... ألقاكِ هَاجَّةً وبينَ سَرائري

أنْسَاكِ؟! كيفَ وأنتِ بينَ جَوانِجي ... شَطْرِي الجَميلُ وأنْتِ وَحْيُ خَواطِري؟

أنْسَاكِ والآمالُ والذِّكْرى معاً ... مَوْصُولةٌ بِكِ في صَميمِ مَشَاعِري؟

وإذَا هَفَوتُ إلى الجمالِ فإنّما ... أهْوى مَثَالَكِ في الجَمَالِ العَابرِ

أنْسَاكِ إذْ أنْسَى حَياتِي كلَّها ... فإذا حَيِيتُ فأنْتِ أولُ خاطِرِ

نَبَضَ الربيعُ فَكُنْتِ أولَ نَابِضٍ ... في خَاطِري يهفُو وأوَلَ زَائِرِ

وهفوتُ للماضِي الذي قد أوْدَعَتْ ... نَفْسِي لديهِ رَغَائِبي وذَخَائِري

أنا ذلك الماضِي الذي لا يَنْقَضِي ... أنا ذلك الماضِي يعيشُ بِخَاطِرِي!

* * *

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٤٣

١ – الرقرقة: التحرك والارتجاج.

حلم الحياة*

«وهل الحب سِوى حُلْمٍ نَديٍّ في صحراءِ اليقظةِ المُحْرِقَة ورُؤيا مُشِعَّةٍ في ظلام الحياة؟».

أيُّها الحُلْمُ الذي كَانَتْ حَيَاتي ... مِنْ حَوالَيه دُعَاءً وصَلاةْ
وتَسابيحَ وَعَتْهَا أُغْنياتي ... وانْتشَاءً بأفَاويقِ الحياةْ[1]
أيُّها الحُلْمُ الذي أطْلَقَني ... مِنْ قُيودي نَحو آفاقٍ عَجيبَهْ
والَّذي في الصَّحْوةِ قَدْ طَوَّقَني ... بِتَهاويلَ من الوَهْمِ حَبيبَهْ
أيُّها الحُلْمُ الذي طَهَّرَ نَفْسي ... بالعذابِ الحُلْوِ والدَّمْعِ الطَّهُورْ
والذي أفْعَمَ بالآمَالِ كَأْسي ... وحَبَاني بعدَ رُشْدي بالغُرورْ!
أيُّها الحُلْمُ الذي رَدَّ عَليّا ... نَزَقَ الطِّفْلِ وأهْواءَ الغُلامْ[2]
والذي نَدَّى بِدَمْعي مُقْلَتَيّا ... وعلى إِثْرِ بُكَائي الابتسَامْ!
أيُّها الحُلْمُ الذي جَسَّمَ وَهْمي ... فإذَا الأوْهَامُ في الدُّنيا حَقيقَهْ
تَتَجَلَّى في أَحَاسِيسي وَهَمِّي ... صِلَةٌ بالرُّوحِ والجِسمِ وَثيقَةْ
أيُّها الحُلْمُ الذي أطْلَعَها ... في حَيَاتي مِثْلَمَا تَطْلُعُ نَجْمَهْ
وأرَانِيها كَمَا أبْدَعَها ... فِتْنةً تَشْقَى بها الدُّنْيا وَنِعْمَهْ

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٤١م
١- أفاويق: ما اجتمع مرة بعد مرة، من حليبٍ أو سحابٍ.
٢- نزق: خَفَّ وطاش.

أيُّهـا الحُلْـمُ الـذي هَيَّأ لـي   أنّهـا في ذلـك الكـونِ فَريدَهْ
والـذي جَسَّـمَ فيهـا أمَلـي   وأمانـيَّ اللَّهيفَـاتِ الشَّـريدَهْ
أيُّهـا الحُلْـمُ الـذي ظَلَّلَهـا   في خَيالـي بأعَاجيـبِ الظِّـلالْ
فبـدتْ   حُوريَّـةً   جَلَّلَهَـا   ألَـقُ الطُّهْـرِ وإشْـرَاقُ الجَمَالْ
أيُّهـا الحُلْـمُ الـذي صَوَّرَهَـا   كُلَّ يـومٍ صُـورَةً منْهـا طَريفَهْ
كلُّهـا تَبْـدُو – ومَـا أكْثَرَها –   عَذْبَـةً جَذَّابَـةَ اللَّمْحِ شَـفيفهْ
أيُّهـا الحُلْمُ الـذي جَمَّـلَ عِنْدي   كلَّ ماعَـنَّ لَهـا مِنْ نَـزَواتْ!
والذي عَلَّـقَ وِجْدَانـي وَجَهْدي   بالـذي يَبْـدُو لها منْ بَـدَواتْ!
أيّهـا الحُلْـمُ الـذي أوْقَدَهـا   شُـعْلَةً هَوْجَـاء تَذْكُـو في دَمي
كلّمـا تَلْمَـسُ كَفِّـي يَدهَـا   تَلْمَـسُ النَّشْـوةُ قَلْبـي وفَمي!
أيُّهـا الحُلْـمُ الـذي كَانَ وكَانْ   أينَ نَحْنُ الآنَ مِـن هذَا الزَّمَانْ؟
أيْـنَ أنْـتَ الآنَ يَـا سِـرَّ حَياتي   أينَ أنْـتَ الآنَ يَا مَعْنَى وُجُودي!
أينَ يَـا وَحْيَ نَشِـيدي وصَلاتي؟   أيـنَ؟ في وَادٍ مِـنَ الصَّمْت بَعيد
بينَنَـا وَادٍ مِـنَ البُعْـدِ سَـحيقْ   بَيْنَمـا أنْـتَ هُنَا مِـلءُ فُؤادي
كَإلـهٍ حَوْلَـه الصَّمْـتُ العَميقْ   وهُـو في كلِّ شُـعُورٍ وفُـؤَاد
لِـمَ يَـا حُلْـمُ قَـدْ أيْقَظْتَنِـي   فإذَا الصَّحْو خَـواءٌ[43] في خَواءْ
لِـمَ يَـا حُلْـمُ قَـد فَارَقْتَنِـي   فـإذَا الكـونُ هَبَـاءٌ فـي هَبَاءْ
أيُّهـا الحُلْمُ تُـرى كُنْـتَ خِدَاعاً   إيـه مَـا أصْدَقَه هَـذَا الخِدَاعْ!
أيُّهـا الحُلْمُ الـذي فَـاتَ وَدَاعاً   ما الـذي نَمْلِكُه غيرَ الـوَدَاعْ؟

* * *

الكأس المسمومة*

أقْلاك أقْــلاك كالشــيطان أقْلاك　　أقْلاك كالسُّم يَسْري جَدّ فَتّاك[1]
أقْــلاك: إنّك في نَفْســي وفي زَمَني　　وفي حياتــي أفَعْى ذَاتُ أشْــواك
سَمّمْت عَيْشــي وأحْلامي وَأخيلَتي　　وأنت شــيطانة في سمــت أملاك
وعشْــتُ أرْعَاك في قَلْبي وأنْت بلا　　قلب يُحِــسُّ ويَرْعَى كيفَ أرْعَاك
مَنْ أنتِ؟ مَا أنــتِ؟ إنّي حَائِرٌ قَلِقٌ　　أأنْت أُسْــطُورةٌ في سِفْرِ أفّاك؟[2]

* * *

أنْسَــى اللّيالِي الــتي قَضيّتُها قَلقاً　　وأنــت سَــاكِنَةٌ رَاضٍ مُحَيّــاك
أنْسَــى الدُّمُوعَ التي أرسلتُها غَدقاً　　ولســتُ لولا هَواك المُرُّ بالبَاكي
وكبْريائي التي مَــا كُنْتُ أخْفضُهَا　　منْ قبلُ أو بَعــدُ في دُنْيَاي لَولاَك
أنْسَــى. وأذْكُرُ أحْلاَمي وأخْيلَتي　　كَأنَّهُــن نجــومٌ بــينَ أحْــلاَك
وكلُّهُن نَســيجُ الوَهْــمِ في خَلَدي　　ولَسْــنَ غــيرَ أحابيلٍ وأشــواك

* * *

أقْــلاك؟ لَيْتَ! فإني لَسْــتُ أقلاك　　أهواك؟ لَيْتَ! فَإنّي لَسْــتُ أهْواك
أهــوَى وأقْلَــى وأيامــي مُوزَّعَةٌ　　بينَ الهوى والقلي كالضّاحك البَاكي
هذا الرّحيقُ وهذا السُّــمُّ قد مُزجَا　　ولســتُ أرْوَى بكأسٍ غَــيرَ رَيّاك
هَاتي لِيَ السُّــمّ صِرْفاً لا يُمَازجُه　　هذا الرحيقُ فإنّي لســتُ بالشّاكي
مَلَلتُ كَأسَــكِ لا ألتذّ نَشْــوَتَها　　ولا أُحطّمُهــا تَحْطِيــمَ سَــفّاك

---

* نشرت في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٣.
١- أقلاك: أكرهك.
٢- أفاك: الكذاب، المفتري.

وحي لقاء*

هَـذَا اللِّقَـاء كَأنّـه ذِكْـرَى مَكْنُونَـةٌ في عالَـم النَّفْـس
وكأنّـه وَهْـمٌ أُجَسِّـمُه لا حَـادِثٌ في عَالَـم الحِـسّ

* * *

هَـذا اللِّقَـاءُ الخَاطِـفُ الوَاجِفْ وَتَلَفُّـفُ الأنْظَـار في حَـذَرِ
كَثُمالِـةُ الأحْـلامِ، كالذِّكْـرَى في رِعْشَـةِ اللفَتَـاتِ والصُّـورِ

* * *

أُخْتَـاه. وَاعجبـاً لَنَـا! عُدْنَـا في هـذه الدُّنْيَـا غَريبَيْـن
عُدْنَـا إذا مَـا خِلْسَـةٌ سَنَحَتْ نَمْضِـي علـى حَـذَرٍ كَلِصّيْنِ!

* * *

ألقـاك مِثْـلَ الطيـف عَابـرَةً وكأنَّ مَـا قَـدْ كَانَ مَـا كَانَـا
وكأنّمَـا الأيـامُ مـا شَـعرَتْ أنّـا عَمَرْنـا قَـطُّ دُنْيانَـا!

* * *

وتُفَكِّريـنَ كَأنّمَـا افْتَرَقَـتْ مـن مَطْلَـعِ الدُّنيـا طَريقَانَـا
وتذكّريـنَ كأنّمـا اجْتَمَعَـتْ في خَاطِـرِ الأيـامِ ذِكْرَانَـا!

* * *

مـا أنـتِ؟ إني لَـمْ أجِـدْ أبداً أني كَشَـفتُك قَـطُّ في النُّـورِ
مـا أنـتِ إلا فكـرةٌ شَـردَتْ مـا أنـتِ إلا طيـفُ مذعورِ!

* * *

وشَـقيّةُ الخُطُـوات عَاثِـرةٌ في حَيثُمـا اتَّجَهَـتْ لمَأْمُـولِ
وكأنّمـا تَمْضِـي مُرَوَّعَـةً وضميرُهـا يُضْفِـيَ لِمَجْهُـولِ!

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٤٤.

حلم الفجر*

عَجَباً! أنْت مَا تَزَالِينَ حُلْمي وَمثالي وَفكْرَتي ونَشيدي
مَا تزَالِينَ في خَيالي رَمْزاً لِرَجَاء مُنَوَّرٍ مِنْ بَعيد
مَا تَزَالِينَ حَافزاً لجُهودي مَا تزَالِينَ غَايَةً لوجودي
أَتَحاشَاك بالجَفَاء وباليَأ سِ فأرتَدُّ سَاخراً مِنْ جُهُودي
أَتَحاشَاكِ كالجحيم وكالسُّمِّ ولكن إليكِ يُفْضي شُرودي

* * *

عَجَباً! تَرْكُدُ الحَيَاةُ فَأنْسَاك قليلاً في غَمْرَتي ورُكُودي
فإذا دَبَّتْ الحياةُ تَراءَى كطيفٍ مُستَيْقظ مِنْ هُجُود
وتَراءتْ تَرِقُّ حولَك أَطْيَافٌ لِمَا كَانَ بَيْنَنَا مِنْ عُهود
كلّ مالا مست يداكِ ومامَس س هوانا من قيمٌ وزهيد
أتملاّهُ بالخيال وبالحْس س كهاوٍ من عالَمٍ موعود

* * *

عجباً! بعدَ كلِّ مَا كَانَ منّا مِنْ صِراعٍ دَامٍ وجُهدٍ جَهيدِ
أتَمَنّاكِ في المَنَامِ وفي الصَّحْـ ـو تَمنِّيَ العَقيم وَجْهَ الوليدِ
وإذَا سِرْتُ في الزّحَامِ فَعَيْني لخيالٍ مُسْتَشْرِفٍ مِنْ بَعيدٍ!
لهفةٌ تَمْلأ الحَنَايا حَنيناً لرجاءٍ مُجَسَّم مَفْقُودِ
أنْتَ حُلْمُ الحياةِ في صَحْوة الفجـ ـر فَأنَّى[؟] لِحُلْمِنَا من مُعيدِ

* * *

* نشرت: في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٤.

انتهينا*

انْتَهَيْنَا قد مَضَى المَاضي جميعاً ومَضَيْنَا
انتهينَا لم نَعُدْ نَسألُ أيَّانَ وأيْنا؟!
أو نَمُدُّ اليومَ للأحْلام والأوْهَام عَيْنَا
انْطَوى الحُلْمُ الذي لاَحَ زَمَاناً وانْطوَيْنَا
ويدُ الدَّهْرِ تَمشَّتْ تُسْبِلُ السِّتْرَ عَلَينا

* * *

اضْربي في زَحْمَة الأرض على غيرِ طَريقي
فكرةً ضَلَّتْ وحُلْماً يَتَوارَى عَن مُفيقِ
ولُقىً يقذفُه الموجُ إلى الشَّطِّ السَّحيقِ
وهَوىً يَخْسرهُ الفَنُّ، على عَينِ الصَّديقِ
وَسَنىً يَطْمِسُه الليلُ إلى غيرِ شُروقِ

* * *

وأنَا المَكْدُودُ فَلْيُلْقِ إلى الأرضِ عَصَاه
آنَ للمُجْهَد أن تَسْكُنَ في الأرض خُطَاه
آنَ أنْ يَصْمُتَ لا تَهْتفُ شَوقاً شَفَتَاه
آن أنْ يُغْمضَ لا تُوقظُه وَهْناً رُؤَاه
جَاوزَ الجُهْدُ قُوَاه، فَتَهاوتْ قَدَمَاه

* * *

---

* نشرت عام ١٩٤٥

طَالَ هذا الحُلْمُ حتى صَارَ في النَّفْس عَيَانَا
ومَضَينا في طريقِ الوَهْم تنْسَابُ خُطَانَا
تَهْدمُ الأيامُ مَا نَبْني فَتَبْنيه رُؤانَا!
ونخوضُ الشَّوكَ يُدْمينا فتَمْضي قَدَمَانا
تتبعَ الوَهْمَ الذي صَاغَ مِنَ الشَّوْكِ جَنَانَا
* * *

يَا لهذا الحُلْم والأيامُ تَمضي والليَالي
عَابثَاتٌ بالأَماني وهو يَمْضي لا يُبَالي
يَغْلبُ الوَاقعَ في الأرض بتَحْليق الخَيال
ويَرَى خَلْفَ الرَّوَابي والصَحَارَى طيفَ آلِ(١)
فَيرودُ الأفقَ ظَمآناً مَشُوقاً للظِّلال
* * *

قَد مَضَى والعُمر يَمْضي وَالأَمَاني وَالزّمَان
وانْتَهَيْنَا. وصَحَا بَعْد الأوَان الحالمان
عَجَباً. قد كان حُلماً. لَيْتَ شعْري كَيْفَ كان
الْعَيَانُ الْيَوم كالحُلم وحُلْمي كالْعَيَان
صَمَتَ الدَّهرُ عَياءً وَمَضَى يَخْطُو الزَّمَان
* * *

١- الآل: السراب



وادعاً كالزَّهر حَيّاه النّسيمْ
ساهياً كالصَّمْتِ في ظلِّ الوُجُومْ
حَالماً يصْحُو قليلاً ويهيمْ
بينَ أطيافِ الأماني
وخيالاتِ الهمومْ

وردة ذابلة*

قـــد تَولّـــتْ وَذَوَتْ نُضْرتُهـــا وبـــدت كالميِّـــت المُحْتَضَـــرِ
تَفْتَـــحُ الأجفـــانَ أو تَغْمِضُهـــا فتحـــةَ الضَّعْـــفِ وغَمْـــضَ الحَوَرِ
وشَـــذَاهَا لَـــم يَـــزَلْ يُفعِمُـــني فيعيـــدُ الشَّـــجْوَ لي بالذِّكْـــرِ

* * *

العود*

مُحَلِّـــلُ القَلـــبِ أنْغَامـــاً وألْحاناً ومُلْهِـــمُ الوَحْي إسِـــراراً وإعلانا
ومُوقِظُ النَّفْسِ إنْ طَافَتْ بِهَا سِـــنَةٌ وأَنْـــتَ تَهْمِسُ بَالأنْغَامِ وَسْـــنَانا
ومُطْلِقُ الرُّوحِ تَسْمُو في معارجِها[٤٦] وتطـــرقُ العالَم العُلْـــوِيَّ أحْياناً
وباعثُ الذِّكَرِ اللائي إذا اشتجرتْ أثَرْنَ في النَّفْسِ آلاماً وأشْـــجاناً
وواهـــبُ الحِسّ لُطْفـــاً في مَدَارِكِه ومُوحِي الشِّـــعرِ إحْساساً وأوْزاناً
أسَـــلْتَ نَفْسِـــي بالألحانِ تُنْشِدُها إنشادَ ذي شَجَنٍ قَدْ هَامَ تَحْناناً[١]
كأنَّ ألْحانَـــك اللائِـــي تُرَدِّدُهـــا أطيافُ ذِكْرى؛ توارتْ؛ تَرْجِعُ الآنا
كأنّهـــا هَمْـــسُ جِـــنٍّ أو ملائكةٍ أســـرَّ عن عالمِ الإنســـانِ كِتمانا

---

*نشرت عام ١٩٢٥

* نشرت عام ١٩٢٧.

١- أسلت: أسأل النفس: حرّكها.

تســـيلُ في النفسِ والأسماعُ مُرْهَفَةٌ وإنَّ للنفـــسِ مِثْلَ الجســـمِ آذانَا
وتســـتحثُّ خيـــالاً كانَ في دَعَـــةٍ فيذرِعُ الكـــونَ آفاقـــاً وأزماناً
وتمـــلأُ النفـــسَ باطمئنانِهـــا ثِقَةً وتغمـــرُ القلبَ إخْلاصـــاً وإيمانا
* * *
حديـــثُ أيِّ فـــؤادٍ أنـــتَ تَذْكُرُه أَبَاسِـــمٌ فَـــرِحٌ أمْ كَانَ حَزْنَانَـــا
وأيُّ وَحْـــيٍ لَنـــا تَرْوِي رسَـــالَتَه فيؤمـــنُ الناسُ أفْـــكاراً وَوِجْدَاناَ
عَنِ القُلـــوبِ جميعاً أنـــتَ تُخْبِرُنَا عنِ الأنَاسِـــيِّ ما خَصّصتَ إنساناً
عـــنِ الحيـــاةِ ومـــا فِيهـــا تحدثُنا فكلُّنـــا مُؤمِـــنٌ يـــزدادُ إيقانَا[1]
عن الطبيعـــةِ تَروِي وهـــي تُلْهِمُنَا هذا الحديثَ، فمـــا نَحْتَاجُ بُرْهَانَا
* * *

1- إيقاناً: الإيمان والتسليم.

بريشة الشعر*
أو
صورة صادقة

كانَ الأمس، وبالأمسِ القريبْ يَتَراءى كالأماني هَا هُنا
هائماً كالرُّوحِ يغدُو وَيئُوبْ والرجاءُ العَذْبُ في وَادِي المُنا
وَادِعاً كالزهرِ حيّاه النسيمْ
سَاهِيا كالصمتِ في ظِلّ الوُجُومْ(١)
حَالِما يصحُو قليلاً ويَهِيمْ
بين أطيافِ الأماني
وخيالاتِ الهمومْ

* * *

زهرةٌ قد كَادَ يَعْرُوها الذُّبُولْ ثم حَيّتْها تباشيرُ الربيع(٢)
فهي تَرْنُو بين صَحوٍ وذُهولْ مثلما تحْتارُ في العينِ الدُّمُوعْ
وهو لَحْنٌ من أناشيدِ السماءْ
أرسلتْه في تضاعيفِ الضيّاءْ
فَوَعَاه كلُّ ذِي حِسٍّ بَراءْ
وشعورٌ كالنسيمْ
في الحَنَانِ والنقاءْ

* * *

دُميةٌ تُوحِي بأشتاتِ المَعَانِي وهي سَكْرَى في حَمى الصمتِ العميقْ

هادئـــاتٍ مثْلَ أطيـــافِ الأمانِي   ســـامياتِ الوَحْيِ كالعطفِ الرِّفيقْ

وهو مَا أدْرِي مَلاكٌ أمْ بَشَرْ؟

فهو رُوحٌ هَائِمٌ لا يَسْتَقِرْ

وهو صَفوٌ لم يخالطْه الكَدَرْ

والأناسِيُّ لِئامْ

مثل شَيطانٍ نُكُرْ

* * *

كان بالأمـــسِ ولَكن قـــد تولّى   ذلـــك الأمْـــسُ فَخـــلاّنِي وغَـــابْ

وإذَا بِـــي مُوحِـــشٌ لا أتَسَـــلّى   والخصيبُ النّضْـــرُ كالجَدْبِ اليَبَابْ

أذكر الساعات ومضاً ينقضين[1]

ثم يَعْرُوني لِذاكَرَاها الحنينْ

فيهيجُ الوجدُ والشّوقُ الدّفِينْ

إيه ساعاتِ الأمانِي

أتُرى قَدْ تَرجعينْ؟

* * *

١- الومض: بريق سريع الإنطفاء

هدأة الليل*

هَدَأ الليلُ وهَاجتْ بِيَ الشَّجُونُ وصَحَـا جَفْنِي لَدى غَفْـوِ الجفُونْ
وتـوارتْ ضَجَّـةُ العَالَـمِ في هَـدْأةِ الليلِ يُغَشِّـيها السُّـكُونْ
حَنَّتْ. الـوُرْقُ فلمّـا هَجَعَتْ بَعـدَ لأي هَيجَتْ عنْـدي الحنينْ[1]
ذكريـاتٌ مَـا لَهـا تَتْبعُـني حيثمـا سِـرْتُ وأيـانَ أكُـونْ
صُـورٌ شـتى إذا مـا عَرضَتْ صَـوّرَتْ لي واضحاً طيفَ السـنينْ
وأرَتْنـي كيفَ يمضِـي العُمْرُ لا يشـعرُ المـرءُ بـه حـتى يَحِـيْن
يَتقضَّـى العُمْـرُ في أحلامِنـا وإذا نَصْحُـو صَحَتْ غُـولُ المَنُونْ
وأرتْنـي شَـبَحاً مِـنْ عَـدمٍ يتبـعُ الأحيـاءَ أنّـى يَترِلُـونْ
يَبْلَـغُ المَاضِـي مِـنْ آثارِهـم فَاغِـراً فَـاهُ لِمَـا يَسْـتَقْبِلونْ

* * *

إيـه يـا ليـلُ أرانـي مُغْرَمـاً بحديـثٍ مِنْكَ يُشْـجِي السَّـامعينْ
هـاتِ مـا عِنْـدَكَ لا تبخلْ به بلسـانِ الصَّمْـتِ والوَحْـي المُبينْ
أوْحِ للأنْفُـسِ مـا حُمِّلْتَـه مـن جـلالٍ وخُشُـوعٍ ويَقـينْ
هـاتِ يا ليـلُ أحَاديـثَ الهوى واتلُ يـا ليلُ شُـجُونَ العاشِـقينْ

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٢٨
١- الوُرق: جمع الورقاء: الحمامة.

وادَّخـرْ فيـك صَـدى أنّاتِهم لا تُضِـعْ يـا ليـلُ أصْـدَاءَ الأنينْ
إنَّهـا ذوبُ قلـوبٍ فُطِـرَتْ ونفـوسٌ داميـاتٌ وعُيـونْ
كَم سـلاماً فيـك قـد حُمِّلْتَه من مُحـبٍّ وامقِ القلـبِ حَزينْ[1]
رُبَّ سِـرٍّ غامـضٍ أُودِعْتَـه في حَنايـا الصَّـدْرِ مَخْبـوءٌ دفينْ
ضَاقَ صدْرُ الصَّـبِّ عن كتمانه فـأراكَ السِّـرَّ دون العالمـينْ

* * *

مُـرْ يا ليـلُ فقـد أشْـجَيتَني عَلَّ في الصبْحِ هدوءاً أو سُـكونْ
إنَّ لي فيـكَ لَشَـجْواً وأسَـىً ومُنَاجَـاةً وشَـكوى وحنـينْ
عبَثـاً أنْجُو بروحي مِـنْ حنينِ هُو أصلُ الوَجْدِ عِنْدِي والشُّجُونْ
إنـني أهْـواكَ يـا ليـلُ ولكنْ أنْتَ بالإشـفاقِ والعطـفِ ضَنينْ
تبعثُ الأشـجانُ مِـنْ مَكْمَنِها رحمـةً يـا ليـلُ بالمسـتيقظينْ

* * *

١- وامق: محب ودود

الصبح يتنفس *

نَسَـمَاتٌ زَفَّهَـا الفجـرُ الوليدُ بعد ما جَـاشَ بها صَـدْرُ الحَياةْ
ناعمـاً مِثْـلَ أنفـاسِ الـورود بَلّـلَ الطـلُّ شَـذّاها بِنَـداهْ

* * *

كانت الدُّنيا يُغَشِّـيها السـكونُ وظـلامُ الليـلِ والنـومُ العَميق
طِفْلَـةٌ قد ضمَّهـا الليـلُ الحَنونُ ضَمَّـةَ الرحمـةِ كالأمِّ الشَّـفُوقْ

* * *

وتـراءى الصُّبْحُ في سَـمتٍ بديع فـإذا الطِفْلةُ تَصْحُو من سُـبَات
تُرْسِـلُ الأنفـاسَ في رِفْـقٍ وديع وإذا الأنفـاسُ تلك النَّسَـمَات

* * *

وإذا الزهـرُ يُحَـيِّ في ابتسـامْ ذلك الصبـحَ ويرنُـو في هُدوء
كابتسـامِ الطفلِ في عهـدِ الفِطام حينمـا يَحْلُـمُ بالثَّـدْيِ المَليء

* * *

وإذا الطـيرُ وقَـد رَانَ النُّعـاسُ فـوقَ عينيـه تَنَـزَّي فَصَحَـا
يرمـق النـورَ بهمـسٍ واختلاسِ فَيُحَيِّيـه طَرُوبـاً مَرِحَـا

* * *

وانبثاقُ الفجرِ من سُـدْفِ الظلامِ مثلمـا يَبْسَـمُ للغَانـي الأمل[1]
يَلْثُـمُ الكـونَ ببشـرٍ وابتسـام ويُحييـه برفـقٍ في القُبَـل

* * *

١- سدف: سواد

وتـــرى الأنفـــسَ في هـــذا الحَنانِ   سَــاكِناتٍ بينَ أحضـــانِ الطّبيعَه
ســـاهياتٍ رَاضيـــاتٍ في أمـــانِ   تُرْســـلُ الطرْفَ بنَظَـــراتٍ وَديعه

* * *

عَالِمـــاتٍ في كَراهـــا يَقِظـــاتِ!   ســـابحاتٍ في التّعِلاّتِ الوِضَاءْ[1]
تُنْشِـــدُ الآمالَ عَــذْبَ الأغْنياتِ   بينَ سَـــمْعيها ويحْدُوهـــا الرَّجَاءْ

* * *

فتـــرةٌ في مَطْلِـــعِ الفجـــرِ تَمـــرّ   هي حُلْـــمٌ مثـــلَ أيـــامِ الطُّفُولَه
فـــإذا مَـــرَّتْ فجـــوٌّ مُكْفَهِـــرٌّ   هـــو في الطِّفْلِ شَـــبابٌ وكُهُولَه

* * *

ليتني عِشْـــتُ بأحضَـــانِ الصبَّاحِ   أو قضيتُ العُمْرَ أســـتمتعُ طِفْلاَ!
لا ولا هـــذا مـــن الدَّهْـــرِ يُتـــاحُ   لا ولا قـــد عُدتُ أســـتمتعُ كَلاَّ!

* * *

١– كراها: نومها

عبث الجمال*

غَادةٌ مِراحٌ طروبْ، لم تقنعْ أنْ تعبثَ بالقلوب والأرواح، فعمدتْ إلى جماعة من الطير، اتخذن لَهن عُشّاً بين أحضان شجرة، تذودُهن عن عشهن الهادئ في عبث قاسٍ، وكلما عُدْنَ إلى العشِّ، عادتْ هي إلى الذود!

دَعِيهــا تُغَــرِّدْ لَحنهــا وتُرَجِّــعْ وتمرحْ ما شــاءت وتَلهُو وتَرتَع
دَعيهــا تُنَمِّــقْ للحيــاةِ تحيــةً وتبعثُهــا لحنــاً يَلَــذُّ ويُمْتِــع
دَعيهــا تُعَبِّــرْ عن مَشــوقٍ مُتيمٍ تَلِجُّ به الذِّكرى؛ فيهفُو ويَنْزَع[1]
دَعيهــا ففى ألحانهــا، الحبُّ نَاطقٌ ومن وَحْيه تَشْــدُو مَليًا وتَسْجَع
دَعيهــا فقــدْ رَوَّعْتِهــا وتَرَكْتِها مُشــتَّتةً حَيْــرى تُطِــلُّ وتَرجِعُ

* * *

عزيــزٌ عليها عُشُّــها دَرَجَــتْ بهِ فِراخــاً نَحيــلاتٍ تَهُــمُّ فَتَقْعُدُ
يُطالِعُهــا رَوحُ الربيــعِ فَتَنْتَشِــى ويَدْهَمُهــا قَــرُّ الشِّــتاء فَتَجْمُدُ
وتَنْشَــقُ أنفــاسَ الصبَّــاحِ نَديةً فَتَنْدَى؛ ويَحْدُوها الرَّجاءُ فَتَسْعَدُ
وظَلَّلَها في عشِّــها الحــبُّ حَانياً عَلَيهــا قويَّــاً مُنْعِشــاً يَتَجَــدَّدْ

* * *

فَــكانَ لهــا زاداً إذا قَــلَّ زَادُها ورَوحــاً وريْحَاناً ولَحنــاً يُرَدَّدْ

* * *

* نشرت عام ١٩٢٩
١- تلج: ألحّ عليه.

ويَا طالَمَــا غَنَّتْ ويا طالمــا بَكَتْ سُروراً بقربٍ أو حَنيناً إلى ذِكْرى
ويا طالَمـــا ارتاعتْ لِخَطْبٍ مُدَاهِمٍ فكانَ لها مَنْجَى وكَانَ لَها سِتْراً(٥)
وكَم ليلةٍ مَرَّتْ وكَم أَشْرَقَ الضُّحى وكم أمَّلَتْ خيراً، وكَم حَذَّرَتْ شَرّاً
دَعيهــا. بمهــدِ الذكريــاتِ أمينةً تَطيفُ بها كالومضِ مُسْرِعَةً تَتْرَى(٦)
دَعيها أجَــلْ لا تَعْبَثِي بشــعورِها ولا تَحْرِميها خيرَ ما حَفِظَتْ ذُخْرَا
* * *
وإن لا يكنْ بُدٌّ مــن اللهوِ فاعبثي بألبابِنــا لا بالطيــورِ الهَوائمِ!(٧)
وَهَبْتُكَ إِحسَاسي فما شئتِ فاصنعي أميــناً لعهدِي مُخْلِصاً غــيرَ نَادمِ
وقَاكِ الجمالُ السَّــمْحُ كلَّ مَلامَةٍ وعَتْبٍ فَلا تَخْشَــى مَقالَةَ لائمِ(٨)
ولكنَّهـــا الأطيـــارُ تَلْهُـــو بريئــةً فما بالهــا تُدْهَــى بِفَعْلَــةِ ظَالمٍ!؟
دَعيها – فَدَتْكِ النفسُ – لا تعبثِي بها فمــا كان أوْلاَها بِرَحْمَــةِ رَاحِمِ!
* * *

يوم خريف*

وَقَفَ الكونُ شَاخِصاً في سُكونٍ وتَراءى لخَاطِري كالحزينِ
وشُخُوصُ الأحداثِ يُغْرِقُها الصَّمْتُ فتبدُو كَبَاهتاتِ الظُّنُونْ
وكأنَّ الزّمانَ سَاوَرَه الحُزْنُ فأغْفى إغفاءةَ المُسْتَكِينِ(1)
وكأنَّ الأفلاكَ أجْهدَها السّيرُ فناءتْ بحمْلِ عِبْءِ القُرونِ
وكأنّ الأقدارَ أرْخَتْ يَدَيْها وتراختْ عَنْ صَرْفِها للشؤون

* * *

وقفَ الكونُ سَاهِماً ليس يَدْرِي أينَ يَمْضي؛ وأينَ لَو شَاءَ يَمْضِي
طَالَما دَارَ بالأنامِ ودَارُوا بينَ رَفْعٍ مِنَ الحياةِ وخَفْضِ
ثم ماذَا؟ تَساءَل الكونُ: ماذَا؟ أحياةٌ ما بينَ غَزْلٍ ونَقْضِ
أيّما غَايةٍ نَؤمُ إليها أيُّ قَصْدٍ قَضَيْتُه أو سَأقْضِ
تَعَبٌ ضَائعٌ وجُهْدٌ غَبِينٌ ومَصيرٌ مُقَنَّعٌ ليسَ يُرْضِي

* * *

وسَرى اليأسُ والخُمُولُ إليه فَتَرَاخى في سَيْرِه كالبليدِ
وتَمَشّى الهُمُودُ في كلِّ شيءٍ مِشيةَ الدّاءِ بالأسى والكُنُودِ(2)

---

* نشرت عام ١٩٣٢.
١- ساروه: واثبه
٢- الهمود: السكون.

فإذا الدَّوحُ في وجُومٍ كئيبٍ   وإذا الطيرُ في ذُهُولٍ شَريد
وإذا الزَهْرُ في الرياضِ أسيفٌ   كصغارِ الأيتامِ في يومِ عيد
وإذا بالزمانِ يعطُو كَسيحاً   كأسيرٍ يُساقُ تضْو القيودِ

* * *

وكأنَّ السَّماءَ والأرضَ، مَرْضَى   بَرِمَاتٌ بثقلةِ العُوَّادِ![1]
وترى السُّحب في السماءِ تغشَّى   ناظِرَيها كَصَفْحَةٍ مِنْ رَمَادِ
وتَرى الأرضَ كالكظيمِ مِنَ الحُزْنِ   ثَكُولا تَسْرِبَلَتْ بالحدادِ
والفَناءُ المريضُ، طافَ عليها   طائفٌ منْه في ثَنَايا الرُّقَادِ
كلُّ شَيءٍ يرنُو إلى كلِّ شيءٍ!   كسجينٍ يَرْنُو إلى الجَلَّادِ

* * *

مَأتَمٌ صَامتٌ يُهوِّمُ فيه   شَبَحُ اليأسِ والقُنُوطِ العَقيم
ليسَ موتٌ وليسَ ثَمَّ حَياةٌ   كُلُّ شيءٍ في صمتِه كالسَّقِيم
والوُجُومُ الذي يُغشِّي عليها   كاسِفَ البالِ مُمْعِنٌ في الوُجومِ!
وخُفُوقُ الأرواحِ أبْطَأَ نَبْضاً   كَخُفُوقِ النُّجُومِ خَلْفَ السَّدِيمِ[2]
أسْبَلَتْ عَينَها الحياةُ سَآما   واسْتَنَامتْ لليأسِ والتسليمِ!

* * *

١- العوّاد: مفردها عائد: زائر المريض.
٢- السديم:الضباب الرقيق

الجبار العاجز*

على إفريز محطة القاهرة، أنزل قطار الصعيد، كتلة بشرية، تتنزى وتتلوى؛ وتصرخ في حشرجة مفزعة. هذه الكتلة هي بقايا رجل متحطم؛ صار أشل، يتنزى الصرع فيه، وتتلوى صرخاته؛ كأنما تغالب معركة داخلية عنيفة ويبدو على سِحْنَته أن هذا العجز ليس أصيلاً فيه، وأن له ماضياً جباراً؛ في ناحية من النواحي؛ وأنه يألم أكثر ما يألم؛ لهذا العجز الطارىء الجديد.

* * *

حَطَّـمَ الدَّهْـرُ قُـواه فـا نْحَطَمَ   وتـنَزّي الـداءُ فيـه والألم
ودَوّتْ مـن فيـه تعـوي صَرْخَةٌ   تَتَلـوّي فيـه حـتى تَحْتَـدِمْ
صَرْخَـةُ الجبـارِ يَشـكُو مُرْغَماً   ذِلّةَ الشّـكْوَى وإهوانَ الرَّغَمْ [1]
يَشْـتكى العجـزَ ومـا يُؤلِمـهُ   فيـه إلا كَبْـحُ نفـسٍ تَضطرم
يَشْـتكى العجـزَ الـذي أقعدَه   عَنْ صراعـاتٍ وهـولٍ يُقْتَحَمْ
تسـمعُ القـوةَ في صَرْخَتِـه   مِـن وَراءِ العجزِ تَـدْوي فَتُصِمْ
ويَهـمُّ البـأسُ في أشـلائه   ناهضـاً ؛ لكنما العجـزُ جَثَـم

* * *

* نشرت عام ١٩٣٣
١ - الرّغم:الإلجاء.

أَيٌّ معنى تَحتوِي صَرْخَتُهُ ؟ أَيُّ ماضٍ في ثَنَاياها ارْتَسَمْ
هو ماضٍ نَازَلَ الدهرَ به في عِنَادٍ شامخٍ حتى انحطم
هو ماضٍ غَامضٌ تَكْنُفُه جَلْجَلاتٌ، وهَزيمٌ، ورُجَمْ[1]
هو ماضٍ مَاردٌ مُقْتَحِمٌ لا يهابُ الموتَ فيما يَعْتَزِمْ
هو ماضٍ! أَيُّ ماضٍ ؟ يا لَه مُبْهَمُ التعبيرِ كالدَّهرِ الأصَمْ

* * *

١- الهزيم : صوت الرعد.

ناحت الصخر
أو
«الفاعل»*

لِمَنْ طَرْقَةٌ خَرْسَـــاءُ صَمَّاءُ تُعْوِلُ   أَقضَّ بها النُّوَامَ في الفجرِ معْوَلُ؟[٢]
لِذلكم الصَّخَّـــارُ يَحْطِمُ صَخْرَهُ   ولَمّا يَــزَلْ لليلِ في الصبُّــحِ مَدْخَلُ
أَكبَّ علـــى تحطيمـــه وانتحاته   كَراجٍ له في ذلـــك الصَّلْد مَأْمَلُ[٣]
يُطَوِّحُ في عُــرْضِ الفَضَاءِ ذِرَاعَه   ويهوِى على الصَّمَّاءِ كالخَطْبِ يَنْزِلُ
ولكنّهـــا تَلْقَـــاه صَمَّاءَ لَـــمْ تَلِنْ   وقد خُذِلَتْ كَفَّاهُ، والصَّخْرُ يَخْذُلُ
يــدورُ حَوالَيهـــا لِيُـــدْرِكَ مَقْتَلاً   وهَيهـــاتَ في الصُّلدِ الأصمَّاءُ مَقْتَلُ
ويَغْمِزُهـــا غَمْزَ الخَبِـــير ويَنْثَني   يحـــاولُ مَـــا أعيـــاه، لا يَتَحَـــوَّلُ
وقد جَـــاشَ في أعضائه كلُّ نَابضٍ   وسَـــالَ دَمٌ في صورةِ المـــاءِ يَهْطِلُ!
وحـــينَ توالتْ طَرْقَةٌ بعـــدَ طَرْقَةٍ   تَفَتَّتَ تحتَ العَزْمِ مَا كانَ يَصْمَلُ[٤]
فَأرخى ذِراعَيْه، وأسْـــنَدَ جِسْمه   إلى مِعْـــوَلٍ؛ نَضَّاه للكـــدحِ مِعْوَلُ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٢٤.
١– الفاعِل: كلمة متداولة تعني (العامل)
٢– تعول: رفع الصوت بالبكاء والصياح.
٣– الصّلدِ: اللب الأملس الشديد.
٤– يصمل: ما يكون ضخماً صُلباً.

تَســـيلُ جُهـــودٌ أو دِمَـــاءٌ نَقيةٌ   لِيُنْصَـــبَ تِمْثَـــالٌ ؛ ويُرْفَـــعَ مَنْزِلُ
وما نَصْبُ التمثالِ للكادحِ الشَّقِيِّ   وليـــسَ له في ذلك القصـــرِ مَوْئِلُ!
ولكن قُصـــارَاه شَـــرابٌ ولُقْمَةٌ   ومَأْمَلُـــه في ذلك الصَّلْـــدِ مأكلُ!
قِفَارٌ كمثلِ الصَّخْرِ أســـودَ كالِحٍ   وأفراخُه كُثْـــرٌ؛ وأَنْثَـــاه مُطْفِلُ[1]
فـــإن كانَ إكليـــلٌ فهـــذا جَبينُه   وَإِنْ كانَ تمثـــالٌ فهـــذا المُمَثَّـــلُ
ويا رحمةَ الإنسانِ أَدْعُوكِ فَاخْجَلِي   أمامَ بني الإنســـانِ إِنْ كانَ يَخْجَلُ!

* * *

١- أثناه مطفل: لها طفل رضيع.

حلم النيل*

هَازَجَ بالنشيدِ تلْوَ النَّشيد وهو يَمْضِى إلى مَدَاه البَعيدْ
ذكرياتُ القُرونِ قَدْ صَاغَها النيلُ نَشيداً، فيَا لَه مِنْ نَشيدْ!
يَنْظِمُ السِّحْرَ وَالكَهَانةَ والفَنَّ، ويَشْدُو بكلّ هَذَا القَصِيدْ
منذُ فَجْرِ التاريخِ لَمْ يَتَبَدَّلْ لَحْنُه العَذْبُ مِنْ قَدِيمٍ جَدِيدْ

* * *

حَالِمٌ بالرَّجَاء عِنْدَكَ يَا نِيلُ سَعِيدٌ بِحُلمِكَ المَعْهُودْ
يَنْبُتُ الزَّهرُ في خُطَاكَ بَهِيجاً ذاك حُلْمٌ تَأويلُه في الوُرُودْ

* * *

* نشرت في تشرين الأول(أكتوبر) ١٩٣٨.

وداع الشاطئ
من الفردوس إلى الجحيم*

أُحْلُ يا شَــطُّ ما تَشَــاءُ فإنّي رَغمَ ســحرِ الجمالِ والمــوجِ رَاحلْ
رَاحلُ حَشْــدٌ نفْســه لفَتَاتٌ ليــسَ عــن فتنــةِ الجمــالِ بغَافلْ
قــدْ دَعَتْــهُ إلى الرّحيــلِ ديارٌ في صَميــمِ الجحيمِ تُدْعي الشّــواغلْ
هي قبرُ الآمــالِ والفنِّ والحبِّـــب وقَيدٌ عن كلِّ ما شــاقَ شَاغلْ
وهي دَارِى التي دَرَجْتُ عليها وإليهــا المــآبُ مَهْمــا أُحــاوِلْ !

* * *

أُحْلُ يا شــطُّ بالجمــالِ طَليقاً مــن قُيودِ الزمــانِ نَشْــوانَ واهلْ
أَسْــكَرَتْهُ الأمواجُ وهي تُزَجّي دَفَعــاتِ الحيــاةِ في كلّ نــازلْ
فــيرَى نفْسَــهُ خفيفــاً غريراً قاهــراً قــادراً يجــوزُ الحوائــلْ
دَفَعَاتُ الحياةِ في المَوْجِ أَسْــنَى مــن بَريقِ الآمــالِ في نفْــسِ آملْ

* * *

أُحْــلُ ياشــطُّ بالعَرائسِ حُوراً سَــابحاتٍ والمــوجُ ظمــآنُ نَاهــلْ
كانْفتَــالِ الحيتانِ في البحرِ وَثْباً وانثنــاءِ الغِــزْلانِ والشــطُّ ذَاهلْ
فتنــةٌ تَسْــكُبُ الحيــاةُ عليها ســحْرَها والعيــونُ حُــورٌ قَواتــلْ

* * *

واندفاعُ الأمواجِ يُوقظُ في النَّفْـــس ظَمــاءً مُرَقْرَقــا في الدّخَائلْ
وانطلاقــاً من التَّزَمُّــتِ والْعُرْف وشَــوْقاً إلى المباهــجِ واغِــلْ
أُحْلُ يا شــطَّ لن نُطيــقَ انْفلاَتاً مــن رَحيــلٍ إلى جحيمِ الشّــواغلْ

* نشرت في أيلول (سبتمبر) عام ١٩٤٠

الوادي المقدس*

علـى ضفـاف الخلـودْ وفي شـعاب الزمـنْ
والدهـر يجُـو وليـدْ قـد كان هـذا الوطـنْ

* * *

يـا فجـرُ مَـنْ ذا رآكْ تجـولُ تلـكَ السماءْ
وليـسَ حَـيٌّ سِـواك تُهـدى إليـه الضيـاءْ؟

* * *

رأتْـكِ تلـكِ الضّفـافْ رأتـكَ تلـك البُـرورْ(1)
رأتْـك قبـلَ المطـاف وأنـتَ طفـلٌ غريـرْ

* * *

وشـبْتَ والدّهـرُ شَـابْ وحنّكَتْـك الحيـاةْ
والنيـل بـادي الشـبابْ والزهـر يَقْفـو خُطـاهْ

* * *

يَنْسَـابُ مثـل النَّغَـمْ في عَـزف نـاي طـروبْ
وكانسـيابِ الحلْـمْ تُضْفِـي عليـه الغيـوبْ

* * *

خريـرةُ صَلَـواتْ مُعَطَّـرَاتْ النشـيدْ
وموجُـهُ أغنيـاتْ مُرتّـلاتُ القصيـدْ

* * *

يـا نِيـلُ كـم مـن شـراعْ يـا نيـل كـم مـن سَـفينْ
أسْـلَمْتَها للـوَداع علـى مَـدَارِ السّـنيـن

* * *

---

* نشرت في أيار(مايو) ١٩٤٤.

١- البرور: مفردها البرّ(الشاطئ)

يا نيلُ كَمْ من جُموعْ ماجَتْ بتلك الضفافْ
يا نيل كم من زروع وذِي وذي للقطاف

* * *

وأنتَ صنوُ الخلود وفي يديْك الزّمام
وكل عَامِ تعودْ مُجدّدَ الأيام

* * *

تجرى فتجرى الحياة ويُمْرعُ الشاطئان
ويستفيقُ الرُّعاه وتمرحُ القُطعان

* * *

ويَنشطُ الزرزورْ يجمّع العيدان
لعشّه المعْمُورْ بفرخه الوَسنان

* * *

أكادُ خلفَ القرون أُحسُّ رِكْزَ الجموع
أراهُمُ مُهطعينْ فيَ موكبِ للربيع

* * *

قد شمّروا للحصاد وخَلّفوا أمشير
في فرحةِ الأولادِ تسابقوا للبكور

* * *

وموكبٌ للرّواحْ في كلّ يومِ يؤوب
يزّفه الفلاحْ على مَدارِ الغروب

* * *

مــن الحقــولِ المّريعــة إلى الحِمــى والدّيــار
تضــمُّ فيــه الطَبيعــةْ أبناءَهــا الأبــرارْ

* * *

لُحُونُــه مــن صيــاحْ ومــن رُغــاءِ النّعــمْ(١)
ومــن رجيــع النُبــاحْ ومــن ثُغــاءِ الغنــمْ

* * *

علــى مَــدارِ القــرونْ يســيرُ فيــه الرُعــاهْ
كأنهــم خالــدون مــا بُدّلُــوا في الحيــاةْ

* * *

أُحــبُّ فيــك الخلــودْ يــا أيُّهــا الــوادي
أحــب فيــك الصمــودْ للقاهــرِ العَــادي

* * *

تَصــبُّ فيــكَ الوفــودْ وأنــت يقظــانُ ســاهرْ
تصوغهــم مــن جديــدْ كأنمــا أنــتَ ســاحرْ

* * *

يــا مَهبــطَ الأســرارْ مــن الغيــوب العميقَــةْ
يــا موطــنَ الأســحارْ مــن القــرونَ الســحيقةْ

* * *

يَــأوي إليــك الزمــانْ خــوف البِلَــى والفَنــاءْ
يــأوَي لحصــن الأمــانْ فيســتمدُّ البَقــاءْ

* * *

ووجهـــك الفَتّـــانْ بلونــه الأسمـــرْ
يـــا طالمـــا يَــزْدانْ بَزرعــك الأخضــرْ

* * *

ترنُــو لــه عينــاي في فتنـــة العاشـــقْ
يـــا أرضُ يـــا دنيـــاي يـــا آيــةَ الخالــقْ

* * *

يـــا أرضُ كَـــم تَحْلُمـــين بالزهــر أحــلامَ شـــاعرْ
رُؤاكِ طـــول الســـنين يـــا أرَضُ ، تلـــك الأزاهـــرْ

* * *

وريحـــك المعـــروفْ يشـــمُّه أَنْفـــي
فيَ خاطـــرِي مألـــوف مميـــز العَـــرْف

* * *

يـــا أرض، هـــذا الصعيـــدْ مقـــدسٌ في ضمـــيري
سَـــرى عليـــه الجـــدودْ وأخلـــدوا للقبـــورِ

* * *

يـــكادُ فَـــرْطُ الحنـــينْ إليهـــمُ فِي شُـــعوري
يردّهـــم شـــاخصين إلى خلـــف الدهـــوَرِ

* * *

يـــا أرضُ ســـرٌ دفـــينْ مُغيّـــبُ في ثـــراك
يَرُدُّنـــا مُوثقـــين إليـــكِ أســـرَى هـــواكِ

* * *

هـــذا الشـــرى المنشـــور في صفحـــة الـــوادي
عرفتــــه في الضمـــير رفـــات أجـــدادي

* * *

يــا أرض. هـــذا النشـــيد مـــن وحيـــك العبقـــريّ
فاقضِـــي لــــه بالوجــــود بســـرّك القُدُســـيِّ

* * *

في ليلة من ليالي الربيع*

فِي الجوّ رائحةٌ تُوسْوِسُ في الحَنَايا والصُّدُورْ
نَشْوانةً خَدِرَتْ يُعاوِدُها التوثُّبُ والفُتُورْ
فَتهيمُ كالشَوقِ المجنَّحِ في مَتاهَاتِ الضَّميرْ
وكأنّ رائحةَ الحياةِ تَدِبُّ في عَبَقٍ مُثيرْ
* * *

وأحسُّ بالنغماتِ سَاريةً تَرَقْرَقُ في الدّمَاءْ
كهُتَافِ مشتاقٍ تَولّه لا يكفُّ عَن الدُّعَاءْ
الأرضُ تَفْتنُه ويَرْنُو في ابتهالٍ للسَّمَاءْ!
والصَّمتُ يَغْمُرُه وفي الأحْنَاءِ وَسْوَسَةُ الغنَاءْ!
* * *

والحبُّ والأشواقُ والظَمأ المُغَلْغَلُ للحياهْ
وهَواتفُ الدُّنيا إلى القُبَلِ المُليحةِ في الشّفَاهْ
وتَرَقْرُقُ الخُرّقَاتِ في شَغَفٍ يَهيمُ إلى مَدَاهْ[1]
وتطلُّع الصُّوفيِّ في شوقٍ إلى ذاتِ الإلَه!
* * *

هو ذا الربيعُ وإنّه لَهوُ الهَواتف والحَنينْ
أَبَداً يَهيجُ إلى عَوَالِمَ تائهاتٍ لا تَبينْ
ويُهَدْهِدُ الأحلامَ والذِّكرَاتُ شَتّى والفُنُونْ
فإذَا الحياةُ هوىً يَرفُّ وفتنةٌ وشَجىً دفينْ
* * *

---

* نشرت في آب(أغسطس) ١٩٤٥

١ - الخرقات : نوع من العصافير.

جمال حزين*

أجَــلُّ مــن الحُــزْنِ والمَأتَــمِ   جَمَالُــكِ. إنْ كُنْتِ لَــمْ تَعْلَمي!
وَقَــدْ دار حــولَ الجبــين الخمارُ   تَشَعْشَــعَ°° كالليــلِ بالأنْجُــمِ!
كمــا أرْسَــلَ الصبــحُ لآلاءَهُ   بَريئــاً مِــن الصّبْغِ كالعَنْــدمِ![1]
وفي شَــفَتَيْكِ الجَنَــي والرَّحيــقُ   ولكــن طَهُــرْتِ فَلَــمْ تَأثَمِــي
وكَفّكِ في الصمتِ حُزنٌ شَــفِيفٌ   سِــوى قُبْلَةٍ وصْوصَتْ في الفَمِ![2]
وفِتْنَــةُ هــذا الجَمَــالِ العَميــقِ   وطُهْــرٌ نَمَــاكِ إلى مَــرْيَمِ

* * *

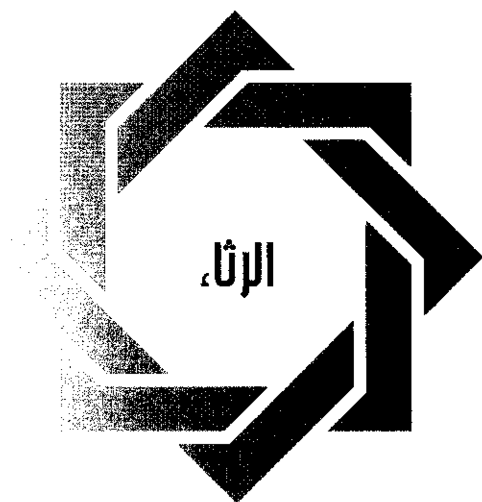
هُــو الحِلْمُ بــينَ ضِفَــافِ الجنَانِ   يَــرِفُّ علــى ثَغْــرِكِ المُلْهِــمِ
ويَطْــرُقُ عَيْنَيــكِ في سَــبْحَةٍ   إلى عَــالَمٍ شَــاعِريٍّ ظَمِــي
تَحجَّــبَ بــينَ شِــعابِ الغُيوبِ   وأومــضَ في قلبــكِ المُفْعَــمِ
ضَمــيري يُحِسُّــكِ أُغْــرُودةً   علــى شَــفَتيْ خَاطِــرٍ مُبْهَــمِ

* * *

* نشرت في كانون الثاني(يناير) ١٩٤٨.

١ – الغندم: صبغ تختصب به الفتيات.

٢ – وصوصت: ضيقت ويقال: وصوصت المرأة: ضيقت نقابها فلم يرَ منه إلا عيناها ، والمراد ... قبلة سريعة خفيفة.



ودمُ المختار ما زالَ نديّا

يستحثُّ الخانعينَ الضُّعَفاءْ

وضحايا الأمسِ والأمسُ نذيرُ اليوم

يدعو مَنْ يجيبونَ الدُّعاء

وحي الخلود*

المـوتُ مرحلـةُ الخلـودِ والذّكـرُ عُمْـرٌ لا يبيـدْ
فـإذا انتهـى أجَـلُ العظيـم فَذِكْـرُه أجـلٌ جَديـدْ
مـاتَ الزعيـمُ ولم تـزلْ آثـارُه تُحْـيِي الجنـودْ
وَمضَـى شـهيداً طاهـراً يـا نِعْـمَ ذَيَّـاك الشـهيدْ
هـو عَلّـمَ الشـعبَ الجِهـا دَوأيقـظَ القـومَ الرُّقُـودْ
هـو كانَ رَوحـاً بيننـا يَحيَـا فيُحْـيي مَـنْ يُريـدْ
هـو كانَ كالأمـلِ المُضـى ء وكانَ كالجـدِّ السـعيد
هـو قـد حَبَـا الأشـبالَ مِـنْ عَزَمَاتـه بـأسَ الأسـودْ
فـإذَا مَضَـى الأسـدُ الهصـو رُ فَخَلْفَـه أسَـدٌ عَتيـدْ
وإذا خَبَـا الـرأيُ الرّشـيـ ـدُ فَخَلْفَـه رأيٌ رشـيدْ
يـا سـعدُ أدْمنـتَ الجُهـو دُ فحسـبُنا تلـك الجُهودْ

* * *

نَـمْ مطمئنـاً بعدمَـا عَلَّمْتَنـا معـنى الوجـودْ
الشـعبُ بعـدَكَ لم يَعُـدْ يُثْنِيـه وَعـدٌ أو وَعيـدْ

---

* نشرت في نيسان (إبريل) ١٩٢٨.

الشـــعبُ لا يرضَـــى القُيـــوَ دُ ولم تنـــلْ منـــه القُيـــودْ
الشـــعبُ نَصَّـــبَ[٧٥] مصطفـــا كَ وكاتمَ السِّـــرِ الـــودُودْ
وهـــو الأمـــينُ علـــى العهـــو دِ فمـــا يخُـــونَ ومـــا يَحيـــدْ
يـــا أيُّهـــا الخَلَـــفُ العظيـــــُ ـــــم ويا أخَـــا الرأي الســـديدْ
الشـــعبُ خَلْفَـــكَ كُتلـــةٌ في مَوقـــفِ الهـــولِ الشـــديدْ
أقْـــدِمْ علـــى الخَصْـــمِ العَنيـــــ ـدِ يَحُوطُـــكَ الجيـــشُ العتيـــدْ
مُسْـــتَلْهِماً وَحْـــيَ الفقيـــدِ فإنـــه وَحـــيُ الخُلـــودْ
إنَّ الحيـــاةَ لِمـــن صَحَـــا ليســـتْ لِعُشَّـــاقِ الهجُـــودْ

* * *

الذكرى الخالدة لسعد العظيم *

هـــي هذه الذكـــرى لثالــثِ عامٍ   حَشّــْت رَكائبَهــا يــدُ الأيــامِ؟
هي هذه ذكــرى الخُلُــودِ ورَمْزه   وشــعارُه الباقي علــى الأعوامِ
ذكــرى البُطولةِ والزمــانُ يَحفُّها   بجلالِــه فتجِــلُّ في الأفهــامِ
جــاءتْ تُحَدّثُ في جَــلالٍ رَوْعَةً   مَحفُوفــةً بمــرارةِ الآلامِ
بَيْنَــا تُذَكّــرُ بالحيــاة إذا بهــا   تَرْنُــو مُحَدّثــةً بطَــرْفٍ دَامِ[1]
مَمزُوجة الألــوانِ تعَصــفِ تَارةً   وتعــودُ هَامِســةً بَوحْــي سَــامِ
هي كالخلــودِ المحض غــيرَ محددٍ   وهــي اليقــينُ يَبُــضُّ بالأحلامِ
وهي النفــوسُ حَيالَهــا في رَوْعةٍ   أخّــاذَةٍ مَســحورةِ الإلْهــامِ
مَشْــدُوهَةً مــا إنْ تَفيــقُ وحولَها   زُمَــرٌ مــن الأشــباحِ والإهــامِ
مغمورةَ الأطرافِ شَــاعِرَةً الحَشَا   في غمــزةٍ تَطْغَــى وفيــضٍ طامِ
هي هــذه الذكــرى وذاكَ جَلالُها   تَحْنِــي لِرَوْعتِهــا أعــزّ الهــامِ

* * *

أمْضَــتْ ثلاثــاً كالقــرومِ طويلةً   سُــودَ المفارقِ جُلّلَــتْ بقَتَامِ[2]
عَصَفَــتْ بمصرَ الحادثــاتُ كأنّها   كانــتْ مُهيّــأةً علــى الأقــدامِ

---

* نشرت في آب (أغسطس) ١٩٣٠.
١- بطرف دام: طرف: نظر، دام: من الدم والمراد: نظرة أسى وحزن.
٢- القتام: الغبار الأسود.

وَمَشَــتْ بها هُوجُ الرِّيــاحِ جريئةً تَجْــري لغايتهــا بغــيرِ زِمــامِ
وعَلَــتْ بؤوسٌ كــنّ أخفضَ هَامةً وأذلَّ مــن عِــيرٍ بــكلِ مَقَــامِ
هم قَد دَعَا دَاعِي الغرورِ فأســرعُوا وهــم ارتضَوْا من دَهْرِهم بِحُطَامِ
ودَعَاهُم الوطنُ الكــريمُ فأعْرَضُوا وتَســلَّلوا للخَصْــمِ غــيرَ كِرَامِ
هدمُــوا من الدســتورِ ركناً قائماً وتعلّلــوا بالــزُّورِ والأوْهَــامِ
وتَصيّــدُوا للشــعبِ كلَّ مَســبّةٍ كيــدَ العــدوّ وطعنــةَ الأخْصَامِ
لولا جــلالُ الذكرياتِ ذَكَرْتُ مِنْ آثَامِهــم مُستَبْشَــعَ الآثَــامِ!

* * *

يا ســعدُ والذكرى تُثِيرُ شــجوننَا وتَهدُّنَــا بالعــزمِ والإقْــدامِ
وتُطِــلُّ روُحُكَ في جــلالٍ صامتٍ يُــزْرِي بــكلّ إشــارةٍ وكلامِ
يا ســعدُ تُوليكَ القلوبُ حُشَاشَــةً مِنْهــا تقــومُ بواجــبِ الإكْرامِ
وتَــزُفُّ أنفــاسَ النَّســيمِ رقيقَةً تَسْــرِى مــزودةً بــكُلِّ سَــلامِ
يا سعدُ شخصُك في القلوبِ مُجَسَّمٌ في كلِّ تِمثــالٍ هنــاك مُقــامِ!
إنّ الــذي يحيــى مَشَــاعَر أُمَّــةٍ تحييــه بــالأرْواحِ لا الأجْســامِ

* * *

يــا أيُّهــا الثَــاوِي وفي تــذكارِه وَحْــي الخلــودِ وآيــةُ الإلْهامِ
اليــوم تُذْكَــرُ والجَــلالُ مُخيّمٌ والصمتُ يبعث شَــاجِيَ الأنغامِ

وتمـرُّ أجيـالٌ وأنـت مُغَيّـبٌ   عنـا وذكـرُك في المشـاعرِ نَامِ
إنَّـا فَقَدْنَـا بافتقـادِك طلعـةً   وبَقيـتَ ذكرى خُلِّـدَتْ بِدَوام
في كلِّ نَفْـسٍ مـن سَـنَاكَ بَقيةٌ   وبـكلِّ رُوحٍ منك فيـضٌ هَامِ[1]
هـذا هُو الشـعبُ الـذي خَلّفَته   وسـطَ الطريـق مُيممـاً لأمامِ
هـو لا يـزالُ مُجاهِـداً كعهودِه   هـو لا يـزالُ مُؤيـدَ الأعْـلامِ
أمّا الألى نكَثُوا العهـودَ فما رَعَوا   إلاَّ ولم يَسْتَمْسِـكُوا بِذِمـامِ
فهـم البُغَاثُ جَليلُهـم وحقيرهُم   وهُم الذِّئابْ تَفَجُّعٌ في الإجرامِ[2]
يا سـعدُ لا تقلـقْ لِفَعْلَـةِ خارجٍ   أنـتَ الخبـيرُ بهـذه الأقْـزَام!
حَمَلَ اللواءَ وصارَ بعدَكَ مُصْطفى   يقفُو خُطاكَ فـكانَ أخلصَ حَامِ
قـد يَذْهبُ الليثُ الهصـورُ وإنّما   تبقى الليوثُ عـن العرينِ تُحامي

* * *

١ – هام: غزير.
٢– البغاث: ضعاف الطير

البطل*

في مثل هذه الغمرات القاسية، التي تعانيها الأمة المصرية الآن، يمر كثير من الحوادث الجسَام دون أن يثير انتباها؛ لأن الأمة في شغل عنه بما هي فيه؛ في شغل بالنَكبةَ العامة عن النكبات الجزئية.

من ذلك وفاة السيد (العَبيد) رئيس جمعية اللواء الأبيض في السودان؛ ذلك الشاب الجرىء الذي ألّفَ جمعيته على إثر إخراج الجيش المصري من السودان سنة ١٩٢٤ وقام يناضل عن صلة شطري الوطن المفدى، ووحدته المقدسة؛ في جُرْأة عجيبة؛ ورجولة كَاملة؛ وبطولة فذة غير عابىء بسجن مُرْهق شديد، ولا بتنكيل وحشي قاس بلغ من وحشيته وقسوته أن يسجن الفقَيد وهو «سياسي» في سجن رطب في بقعة نائية من السودان تحيطُ بها الأحْرَاجُ والمستنقعات، ويطوف بها طائف الفناء الرهيب، وتحوم حواليها الحشرات القتالة. ثم لم يكتف الاستعمار بذلك «الاستعمار الذي يمثل المدنية!!!» بل أضاف إليه تشغيل هذا البطل ورفاقه في قطع الأحْجار ورصف الشوارع حتى وَهَنَتْ قواهم وأصابت الشهيد الحمى فمات في سجنه تحوطه مظاهر القسوة بل الوحشية، بعد سبع سنوات كاملة لم تَهُنْ فيها نفسه، ولم يخضع للإذلال.

هذا هو (العبيد) الذي يموت دون أن يشّعر بموته في مصر أحد. والشباب المصري، الشباب التافه الناعم، الشباب المشغول بالتطرية والزينة والحقارات النفسية الوضيعة، الشباب الذي فقد رجولته ومميزاته؛ ونسي ماضيه ووقفاته. هذا الشباب في شغل بما هو فيه من متاع ضئيل عن الانتباه للبطل الشهيد وذكراه، بل عن الانتباه لكل أمر ذي بال في الحياة!

وهذه القصيدة نفثةٌ من شاب يقضى بها حق الشباب، وهذا ما يستطيع فرد أن يعمله؛ فإذا كان بالشبانَ الآخرين حياة تعمل شيئاً للذكرى كان بها، وإلاّ فحسبي هذه النفثة الحرّى.

* نشرت عام ١٩٣١.

سَـجّلي يا أرضُ وارْعَـيْ يا سماءْ مَصْـرَعَ الجبـارِ بـينَ العُظَماءْ

مَصْـرَعُ الجَشّـامِ مـا إن يَنْثَنـي أو تُدَكُّ الأرضُ أو تُطوى السماءْ[1]

يقـفُ الهـولُ لديـه خَاشـعاً وهـو يَلْقى الهولَ بَسّـام الرّضَاءْ

* * *

نـالَ منه المـوتُ ما لَمْ يسـتطعْ نَيْلَـه الغُصّـابُ في سَـبْعٍ وِلاءْ

عَذّبُـوه ونَفَـوه ومَضَـوا في فنـونِ الظّلْمِ ما الظلمُ يَشَـاءْ!

أرسـلُوه حيثُ وادِي المـوتِ إذْ لا يَـرى الأحياءُ أطيـافَ الرّجَاءْ

في مَبـاءاتِ تُـدوّى بَيْنَهـا جَلْجَلاتُ الموتِ في هَولْ الوبَاءْ[2]

تَصْفُـرُ الرّيـحُ بهـا مُعْولـةً تنـذرُ الأحيـاءَ فيهـا بالفنـاءْ

وأرادُوا والمَنَايـا حَوْلَـه أن يُذِلُّـوا فيـه تلـك الكِبْرِيَاءْ

فمضَـى يَأْنَـفُ في سُـخْريةٍ عيـشَ ذُلٍّ هُـو والموتُ سَـواءْ

لم يقلْهـا: لَفْظَـةٌ، لـو قالَهـا لَقِـي النّعْمـاءَ مِنهـم والـوَلاَءْ

* * *

ليـتَ أهلَ الأرضِ يـدرونَ بما صنـعَ الغُصّـابُ بالنفـسِ البَراءْ

أَتُـرى أنْعَتُهـا وَحْشـيةً في ظـلامِ الكهفِ لَمْ تـدرِ الضيّاءْ؟

أظْلِـمُ الوحـشَ إذا شَـبَّهتُه بوحـوشِ الغَـربِ تمتـصُّ الدّمَاءْ!

---

١ – الجشّام: المتقحّم.

٢ – مباءات: الأماكن الموبوءة.

يَفْتِــكُ الوحـــشُ لِيحيَـــا بينما يَفْتِـــكُ الغـــربيُّ حُبّـــا في الثَّـــرَاءْ!
يا شــبابَ الشــرِقِ هذا موقفٌ تَقْشــعِرُّ الأرضُ منـــه والســـماءْ
ودمُ المختـــارِ مـــا زالَ نـــد يّاً يســـتحثُّ الخَانعيـــنَ الضُّعفَاءْ[1]
وضَحاياالأمسِ والأمسُ نذيرُ اليـــ ـــومِ يدعُو مَـــنْ يجيبـــونَ الدُّعَاءْ

* * *

يا شبابَ الشـــرقِ والشرقُ إذا لم تكونُـــوا جُنْـــدَه ضَـــاعَ هَبَـــاءْ
لا يـــردُّ الحـــقّ قـــولٌ فَـــارِغٌ تَذْهَـــبُ الرِّيـــحُ به عَصْـــفَ الهواءْ
إنْمـــا يُجْـــدِي جِهَـــادٌ عَـــارِمٌ وخِصَـــامٌ ونِضَـــالٌ وعَنَـــاءْ
إنمـــا يُجْـــدِي إذا نَبْعَثُهـــا كهـــزيمِ[٩٥] الرعدِ تَـــدوِي في الفَضَاءْ
إنمـــا يُجْـــدِي إذا مـــا أيْقَنُـــوا أننـــا كالغَـــربِ قـــومٌ أقْويـــاءْ

* * *

يا شـــبابَ النيلِ ماذَا؟ وَيْحَكُم! أفأنتـــم حيـــثُ يُحييكُـــم دُعَـــاءْ؟
يـــا شـــباباً نَاعمـــاً مُسْـــتَأنِثاً كَذواتِ الخِـــدرِ في ظِـــلِ الخِبَاءْ![2]
يـــا شـــباباً تافهـــاً مُحْتَقَـــراً تأنـــفُ الأجيـــالُ منـــه في ازدرَاءْ
يـــا شـــباباً هَمُّـــه لَذّاتُـــه فهـــو يَحيـــا بـــينَ كأسٍ وخَنَـــاءْ

١- هو الشهيد البطل عمار المختار الزعيم الطرابلسي وقد أعدمه الطليان رميا بالرصاص مع أنه مجاهد مستقل، مخالفين في ذلك كل التقاليد المدنية.
٢- ذوات الخدر: الفتيات الأبكار .

يــا شــباباً قَصُــرَتْ آمالْــه كخَشَــاشِ الأرضِ مَرمَــاه الغِــذَاءْ
يــا شــباباً نُكِــبَ النيــلُ بِه في الأَمانِــي والتّعــلّاتِ الوِضَــاءْ
يا شــبابَ النيلِ هَــلْ أَبْصَرْتُمو في فَتى الســودانِ كيفَ الشُّــهداءْ؟
عُمْــرُ الإيمــانِ بالحــقِ لــه مهجةٌ حَــرّى فجــادتْ بالفِــدَاءْ
يــا شــبابَ النيــلِ هــذَا مَثَلٌ لجــلالِ المــوتِ في ظِــلِّ الإِبَــاءْ
مــا يقولُ الشّــعْرُ في هــذَا ومَا حِيلــةُ الشّــعرِ؟ وما طَــوْقُ الرثاءِ؟
موقفٌ جَــلَّ عن الشــعرِ فَهَلْ يُكْمِــلْ التاريخُ بَــدْءَ الشُّــعَراءْ؟

* * *

ذكرى سعد*

خَمْسٌ مَضَينَ تَجُنُّكَ الأستارُ فيها. وقبرُك كعبةٌ ومَنارُ
في كلّ مطّلعٍ وكلّ ثنيةٍ ذكرى تَزاحَمُ حولَها الأفْكارُ
باقٍ على عَنَتِ الخُطوبِ وعَسْفِها مجدٌ تَقَاصَرَ دونَه الأنظارُ
تتصرَّمُ(١) الأيامُ وهو مُوطَّدٌ يعنُوالخصومُ لديه والأنصارُ
وكأنّه عَلَمٍ يُنيفَ على الورَى ترنُو إليه وتَخْشَعُ الأقدارُ
وتَضَاءلَ الأشخاصُ عنه ويستوى في ظلّه الأقزامُ والجبارُ!

* * *

ماذا يُطيقُ الكونُ أن يَنْسَاه من سعدٍ؟ وكلُّ عظيمةٍ تَذْكَارُ؟
هل كانَ إلاّ في العظائمِ مَوْئلاً في يوم تَشْخَصُ عندَه الأبصَارُ
تَذْوي حَواليه الخطوبُ وتَنْثني كأشمَّ يَعْصِفُ حَوْلَه الإعْصَارُ
فإذَا مَضَى الهولُ المُرَوِّعُ وانجلتْ غمراتُه وتَرَاخَتْ الأخْطَارُ
أبْصَرْتَ تحتَ الهولِ بَسْمَةَ هَادِىءٍ راضٍ أشَمَّ كأنّه المقْدَارُ
رُوحٌ تَجِلُّ عن الحياةِ وأهلِها وصروفِها، وتَحُفُّها الأسرارُ
رُوح البطولةِ والبُطولةُ طَلْسَمٌ كالسحرِ تَدْهَشُ عِنْدَه وتَحارُ
أفذاكرٌ أنتَ الجموعَ وحَشْدَهَا لما دَعَا سعدُ الجموعَ فَثاروُا

---

*نشرت عام ١٩٣٢

مــاذا أبــركانٌ تَفَجَّــرَ أم تُرى   مــوجٌ أشــمُّ أحــمُّ؟ أمْ تَيــارُ
سِــحر البطولةِ أو شُــواظُ لَهيبها   يُذْكِــي النفَــوسَ فكلُّهــا مِغْوارُ
ذكرى تُقدِّسُــها البــلادُ كريمةً   وتصــوُن رَوْعــةَ مَجْدِهــا وتَغَارُ
هي بعضُ تاريــخِ البلادِ فَلَمْ تَكُنْ   تاريــخَ فــردٍ يَنْطِــوي ويُثَــارُ!
ذكرى يَحُفُّ بِها الجَلالُ وتَنْزَوِى   بِإزائهــا   الأحقــادُ   والأوزَارُ
ذكــرى تُطِــلُّ كأنَهــا قُدْسِــيّةٌ   فالــكلُّ تَحــتَ ظلالِهــا أبَــرارُ
فلتَعْــنِ للذكرى الجبــاهُ وتَنْحَنِ   الهامــاتُ ولتتخَشَّــعُ الأبصــارُ

* * *

طليعة الضحايا*

سَــجّلي يا أرضُ وارعَيْ يا سماءْ مَصرع النَّسْرينِ في جوفِ الفَضاءْ[1]
سَــجّليه بمــدادِ الفخــرِ لا بلْ بفيــضٍ مــن دمَاءِ الشُّــهداءْ
مَصْــرعُ الآســادِ في آجَامِهــا لا كمــا تَلْقَــى مَنَايَاهــا الظِّبَاءْ!
سَــجّليها رَوعــةً قــد مُزِجَتْ من أسَــى الحزنِ، ومِنْ فَيْضِ العَزَاءْ
وضَحَايــا المجــدِ في مَذْبَحِــه يلتقــي اليــأسُ عليهــا والرَّجاءْ!
وهــي القُرْبــانُ يَفْــدى أُمــةً إيــه مــا أكرَمــه هــذَا الفِــدَاءْ

* * *

دَوْمــاً والريــحُ في مُعْتَــرَكٍ صَاخِــبِ الأنواءِ، مِشــؤوم العُواءْ
وظــلامٌ في ظَــلامٍ مُبْهَــمٍ يَخْشَــعُ الهــولُ لديــه والفَنَــاءْ
طَامِــسُ الآثــارِ مجهــولُ الخُطَا لا دليــلَ، لا شُــعَاعَ؛ لا ضِيــاءْ
وهمــا في جَوْفِــه تَحْدُوهُمــا همَّــةٌ قَعْسَــاءُ تَأبَــى الانْــزِوَاءْ
يَلْطُمــانِ الريــحَ إمّــا لَطَمَتْ ويَروغــانِ كأطيــافِ الهَــواءْ
أُشْــرِبَتْ نَفْسَــاهُما حُبُّ العلاْ وأرَادَهــا حيــاةً في الســماءْ
قــد أرادَا؛ وأرادَ الله مــا كانَ؛ سُــبحانَك تُمْضي ما تَشَــاءْ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٢.

١- هذا البيت لمؤلف في قصيدة سابقة، والنّسرين هما حجاج ودوس شهيدا الطيران.

إيـــهِ يـــا مِصْـــرُ عـــزاءً إنّمـــا أنـــتِ أولَـــى بالتحيـــاتِ الوِضَاءْ
قـــد بذلـــتِ اليـــومَ مـــا تَبْذُلُه أمـــةٌ شَـــاءتْ حيـــاةَ النُّبَـــلاءْ
أمـــةٌ قَـــدْ أعلنـــتْ قِســـمتَها من صميمِ المجـــدِ بينَ القُسَـــمَاءْ!
ودمٌ يُهـــراقُ في تَضحيـــةٍ ســـوفَ يَسْـــرِي نخوةً بـــينَ الدِّمَاءْ

* * *

موتُ سوسو*

سوسو هرٌّ أليف ظريف انطفأت فيه شعلةُ الحياة المقدسة بين يديه، وهذه مرثيته، أو مرثية الشعلة الخابية فيه:

لقد هَمَدَتْ في الضُّلوعِ الحياةُ فما يَرْجُفُ القلبُ أو يَخفُقُ
وقد غابَ لألاؤها في العيونِ فما تَرْمُقُ الكونَ أو تَبْرُقُ
وقد سَكَنَتْ نَأمَةٌ في حَشَاه فما عادَ يَقْفِزُ أو يَمْرُقُ
فَيا قُرْبَها لَحْظَةٌ في الزَّمانِ ويا بُعْدَ آثارِها تَنْطِقُ
وتَنْقُلُ من عَالمٍ صَاخِبٍ إلى عَالمٍ صمتُه مُطْبِقُ

* * *

تُقيمُ الحياةَ هُنا مَأتماً وما إنْ تَني جَزَعاً تَفْرَقُ[1]
وإنَّ الحياةَ لمجنونةٌ بأبنائِها الكلِّ لا تَفْرُقُ
فجيعتُها في صِغارِ الفراشِ كموتِ الفَتى حَادِثٌ مُرْهِقُ
هو الموتُ في كُنْهِه واحدٌ ويُزْهِقُ مِنْ بعدُ مَنْ يَزْهَقُ
قد انْدَحَرَتْ في صِراعِ الرَّدَى فحقَّ لَها كلُّ ما تَحْنَقُ!

* * *

* نشرت في تشرين الثاني(نوفمبر)١٩٣٨.

١ – تني: تضعف.

وتَرْجُفُ في كلِّ حَيٍّ إذَا أصَابَ سِواه السَّرَدى المُزْهِقُ
أشِعَّتُها في جميعِ النفوسِ يُرقْرِقُها مَصْدرٌ يَألَقُ
فإن مَسّه ما يَغُضُّ الضياءَ تَذَبْذَبَ لألاؤُها المُشْرِقُ[1]
فيا دَمْعَةً رَقْرَقَتْ في العيون لأنتِ الحياةُ هَمَتْ تَدْفُقُ
يَعِزٌّ على النفسِ فَقْدُ الحياةِ فَتَجْزَعُ للموتِ إذْ يَطْرُقُ

* * *

١- الحياة وحدة في جميع الأحياء كمستودع الطاقة يمد فروعه المتفرقة ومتى مسّه ما يغض من طاقته تذبذبت جميع الفروع وكذلك يرجف الأحياء لموته.

الزاد الأخير*

زَوّدِيني مِنَ الرّجاءِ الأصيلِ   مُشْرِقاً فيكِ في المُحَيَّا الجميلِ
أَنْتِ كَنْزٌ من الطَّلاقَةِ والبِشْرِ   ودُنْيا مِنَ السَّنا المَعْسُولِ
خفّةُ الطَّيْرِ وانطلاقُ الأماني   بعضُ مَا فيكِ وانطلاقُ السُّيولِ
وَهَجٌ يُبْهِرُ النُفُوسَ ويُزْكِي   خَفَقَاتِ القُلوبِ عِندَ المُثُولِ
ذَخَرَتْكِ الحياةُ كَنْزَ حَيَاةٍ   ورَصيداً لِمَالِها المبْذُولِ!

* * *

زَوّدِيني لَكَادَ يَنْفَدُ زَادي   في صِرَاعٍ مِنَ الحياةِ طَويلِ
كادَ يَخْبُو المصبْاحُ إلاّ بَصيصاً   فاسْكُبي الزيتَ في بَقَايا الفَتيلِ
كُنْتُ كالجَذْوَةِ المُشعَّةِ نُوراً   وهي اليومَ في طَريقِ الأُفُولِ
فيكِ زَادٌ يَقُوتُنَا ويَقِينَا   عَثَرَاتِ الطريقِ بينَ التُّلُولِ
أنْتِ لا غيرُكِ القَديرةُ أنْ تُزْكِي   حَياةً بِخَاطِري ومُيولي

* * *

حينَ أَلْقَاكِ يَغْمُرُ البِشْرُ نَفْسِي   بِرَجَاءٍ مُشَعْشَعٍ مَوْصُولِ
وأرَى عِبْئِي الثقيلَ خَفيفاً   وأرى نَاهِضاً بِعِبْئي الثّقيلِ
وكَأنّي استَشْعَرْتُ رُوحَ شَبابي   وَرَجَّعْتُ الزّمَانَ صَعْبَ القُفُولِ
فَأعيدي إلىّ مَاضيَ عُمْري   واغْمُريهِ بالبِشْرِ والتّأميلِ
واطْلُعي في قِفَارِ نَفْسِي حياةً   وإذَا مَا دَجَى عَالَمي أوَ مِضي لِي

* * *

---

* نشرت في تموز (يوليو) ١٩٤١.

نوسة
أو
شطر من العمر*

نوسه قطة صحبتني اثني عشر عاماً، تحتل مكان الطفل الحبيب، وتشغل فراغه من نفسي وزمني، وتمنحني من الودّ والثقة والدعابة كفاء ما أمنحها من العطف والعناية والملاعبة، ثم ماتت بين يدي...

أَغْمِضـي عينيك قـد آنَ الأوانْ وَدَعيـني نُهبـةً للشـجَنِ
وَأَمّنـي دُنيـاكِ في آتـي الزمانِ وَدَعينـي لُعْبَـةً للزَّمَـنِ!

* * *

هـذه كَفّـي وقد مـرَّتْ عليكِ في حَنَـانٍ وارتيـاعٍ وولُـوعِ
لم تَحُسّـيها ولم يَنْبِـضْ لديـكِ قلبِيَ النابـضُ من بـينِ الضُلوعِ

* * *

هـذه الكفُّ الـتي كَـمْ دَلَلّتْكِ وسَّـدَتْكِ اليومَ أطبـاقَ الثَّرى(١)
أيُّ حاليْهـا تُرى أحنَـى عليكِ؟ ليتَـني أدْري. ومَـن فينـا دَرَى؟

* * *

ذلـكَ الصّـوتُ الـذي تَرْتَقبِينَ قَدْ دَعَاكِ اليومَ من خَلْفِ الحِجَابْ
قـد دعـاكِ. إنّمـا لا تَسْـمَعينَ أُسْـدِلَ السِّـتْرُ وقد عَيَّ الجوابْ

* * *

* نشرت في تشرين الثاني(نوفمبر) ١٩٤٢.

١ - وسدتك: جعلت تحت رأسك الثرى.

أنَا يا «نُوسـةُ» والعهـدُ قريبٌ   مُوحِـشُ النفسِ شَـجِيٌّ للمَغيبِ
مَوْضِعُ الصاحبِ والطفلِ الحبيبِ   قـد خَلا في ذلكَ القلـبِ الغريبِ

* * *

مَوْضِعُ الشَّطْرِ الذي قد عِشْتِ فيه   مـن حَياتـي مَوْضِعـاً للحَدَبِ
مَا مَضَى مـن دونِـه أو مَا يَليه   غربـةٌ تَقْسُـو علـى مُغْتَـرِبِ

* * *

إنـي أبْكيكِ يـا ظلَّ الشـبابِ   إنـي أبكيـكِ يـا طيـفَ البنينْ
رُفْقَةٌ طالـتْ على خيرِ اصطحابِ   لَـكِ عَطْفـي ولَي الـودُّ المكينْ

* * *

لم يكـن ودٌّ بُطُـونٍ وطعـامِ   إنمـا وُدُّ اصطحـابٍ ووَفَـاءِ
طَالَمَا آثَـرْتِ إنْ غِبْـتُ الصيامَ   أو تَلُوذيـنَ بِصَمْـتٍ وانْـزِوَاءِ

* * *

فـإذَا عُـدتُ فَوَثْـبٌ ومُـواءٌ   نَاطِـقٌ بالشـوقِ أو بالفـرحِ
وألاَعِيـبٌ وخَمْـشٌ والْتِـوَاءٌ   وتَثَـنٍ   نَاطِـقٌ   بالمَـرَحِ

* * *

طَالَمـا نَادَيْتنـي عَـذْبَ النِّداءِ   في وَدَاعٍ حـينَ أمْضِـي أو لِقَـاءْ
في صبـاحٍ حينَ أصْحو أو مَسَـاءٍ   بِوثُـوقٍ   واعتـدادٍ   وذَكاءْ!

* * *

طَالَما أحْسَسْــتُ أنّي لكِ وَحْدَكِ   لا تطيقِــينَ شَــريكاً أو شَـــبيهاً
طالما وَطّــأتِ في حِجْــرِي مَهْدَك   فَعْلَــةُ الطفلــةِ في حُضْــنِ أبِيَها
* * *
كنــتِ لي كلّكِ في هــذي الحياةِ   أيــنَ مَنْ ألقَــاه فيها لَــي كُلُّهُ؟
كُلُّ مَــنْ ألْقَــى لَــه فيها هَــوَاهُ   ولَــه آمَالُــهُ فيهــا وشُــغْلُهُ!
* * *
قَــد خَلا حُضْنِي وكَفّــي وذِرَاعِي   قَــد خَلا قَلْبِــي مِنْ هَــذا المَتَاعِ
مُنْــذُ دَعا المَــوتُ فأصْغَيْتِ لداعٍ   مَــنْ دعَــاه لم يُعقّــبْ لِــوَدَاعِ
* * *
أنَــا يا «نُوســةُ» أمْضِــي والليالي   وخَــواءُ المَــوتِ يَغْشَــى عَالَمِي
رَسْمُكِ الشّــاخِصُ يبدُو كالخيالِ   أو كَحُلْــمٍ في ضمــيرِ الحَــالِمِ
* * *
وخَيالاتُــك في كلِّ مَــكانٍ   شَــاخِصَاتٍ تَتَــراءى للعَيَــانْ
تَصْحَبُ العُمْرَ علــى خَطْوِ الزمانِ   هَاهُنا كنــتِ وقَــدْ كَانَ وكانْ
* * *
هــذه أنْــتِ إلى حُضْنِــي أوِيْتِ   هــذه أنــتِ أمامي قَــد رَبَضْتِ
هــذه أنتِ علــى صَــدْري وَثبْتِ   لهفَ نفســي! أينَ أنتِ أينَ أنتِ؟
* * *

ها هُــو الصبــحُ فأيــنَ الوَثَبَاتُ   هــذه كَفّي فأيــنَ اللّمسَــاتْ؟
ها هــو الأكلُ فأيــنَ المَهْمَاتُ؟   أينَ أينَ؟ كلٌّ ما قَــد كَانَ فَاتْ!

* * *

أيــنَ قِطّاتُــكِ في الحِــرْزِ الأمينِ   مَــنْ دَنَــا منهــا عليــه تَثبــيْنْ
غــيرَ أنّــي لِــيَ وَحْــدِي تأمنينَ   وإذَا مُسّــتْ فَبي تَســتَنْجِدين؟

* * *

سَــكَتَ الصوتُ وقــد كَان غِنَاءً!   سَــكَتَ الوَثْبُ وقَــدْ كَانَ مَضَاءْ
وامتــلاءُ البيتِ قد أمْسَــى خَواءَ   كلٌّ مَــنْ فيه قــد اسْــتَلْقَى عَيَاءْ

* * *

هــا هُنا كنتِ؟ أمَــا هذا ضَلالٌ؟   وتهاويــلُ خَمَّــارٍ أو خَبَــالْ؟
لم يكــنْ شَــيءٌ ولم يَطْــرَأ زوالٌ   كلُّ مَــا كَانَ خيــالٌ في خيــالْ!

* * *

ضَلَّــةٌ للنــاسِ في آمالِهــا   والمَنَايــا رَابِضَــاتٌ بالوَصِيــد
زُمَــر تَمضِــي إلى أَجَالِهــا   والذي يَحيــا يُرَجّــى في الخلودِ!

* * *

صدى الفاجعة *

لم تكن إلا مرات معدودة جلست فيها إلى فقيد مصر العظيم. ثم هأنذا أعاني من الفجيعة فيه كأنها فجيعتي الخاصة... فيا ويحَ لأولئك الذين عاشروه، فأحبوه ووارحمتاه لهم كيف يعيشون...؟

جَفَّ الرِّثاءُ بخاطري المَفْجُوعِ وصَمَتُّ لا أفضي بغيرِ دُمُوعي
إني ذُهِلتُ عَنِ المُصابِ بوقعه حيناً، ذُهُولَ الوَاهِمِ المَخْدُوعِ
فَظَللتُ أنْصِتُ للرجاء، وأتَّقي صوتَ اليقينِ الفَاجِعِ المَسْمُوعِ
أيَمُوتُ؟ كَلاَّ! لا يموتُ وهذه مِصْرُ تُرجِّي نَجْمَه لِسُطُوعِ
أيموتُ والأحداث تَهْتِفُ باسمه أتكونُ تلكَ هُتَافَةَ التوديعِ؟
قُلْ أيُّها النّاعي سِواه؟ فما أرى أنّي — وإنْ جَاهَدْتَني — بِسميعِ!

* * *

واويلتاه! أإنّها الحقيقةُ جلّتْ عن الإيجافِ والترويعِ؟[1]
صَمَتَ الذي قَدْ كَانَ ألْحَنَ حُجّةً وتَحدَّثَتْ طعناتُه بِنَجِيعِ[2]
مُتَفَجِّراتٍ بالدِّماءِ كأنّها كلماتُه في قوةٍ ونُصوعِ
كلماتُه اللائي نَبَضْنَ بِقَلْبه ودِمَاؤه من ذلكَ اليَنْبُوعِ

* * *

* نشرت في آذار (مارس) ١٩٤٥.

١ – الإيجاف: من أوجف الشيء: حرّكه، ووجف القلب: خفق، قال تعالى ﴿قلوب يومئذ واجفة﴾ والمراد خفقان القلب واضطرابه.

٢ – النجيع: دم الجوف

يا واهبَ الوادي مَريعَ حَياتِه ما بالُ عُمْرِكَ لم يكنْ بِمَرِيعِ؟

يا مانعَ الوادي العزيزِ بنفْسِه ما بالُ عُمْرِكَ لم يكن بِمَنِيعِ؟

خَطَفَتْكَ عَادِيَةُ المَنُونِ وخَلَّفَتْ وَطَناً يُعَالِجُ سَكْرَةَ المَصْرُوعِ

لَهَفاً مَكانُكَ ليس يَمْلأُ رَحْبَه إلا الأسى وتفجُّعُ المَفْجُوعِ

لَهَفاً مَكانُكَ والبلادُ تَهيّأتْ تَخْطُو إلى أُفْقٍ رَسَمْتَ وَسِيعِ

وتَلَفّتَتْ تُصْغِي لِصَوْتِكَ هَادِياً في المُدْلَهِمِّ ورأيِكَ المَسْمُوعِ

فَصَمَتَّ - يا للهولِ - صَمْتَةَ وَاجِمٍ ماضٍ لغيرِ تأوُّبٍ ورُجُوعِ

وَاهاً لِمَصْرَ ويا فجيعَةَ أهْلِها في الرائِدِ المتفرِّدِ المَتْبُوعِ!

* * *



تبغُونَ الاستقلالَ؟ تلكَ طريقُهُ ... ولقد أَخَذْتُم بالطريقِ فيمّمُوا

وهو الجهادُ حَمِيّةٌ جَشّامَةٌ ... ما إنْ تخافُ من الرَّدَى أو تَحْجُمُ

إلى البلاد الشقيقة*

عَهـدٌ علـى الأيـام ألا تُهْزَمُوا فالنصرُ يَنْبُتُ حيـثُ يُهراقُ الدَّمُ
في حيـثُ تَعتبطُ الدِّمَـاء فأيقنُوا أن سوف تَحيَوْا بالدِّماءِ وتَعْظُمُوا[1]
تبغُونَ الاسـتقلالَ؟ تلك طريقُهُ! ولقـد أخَذْتُـم بالطريـقِ فَيمِّمُوا
وهـو الجهـادُ حَميَّةٌ جشّـامة ما إن تخافُ مـن الرَّدى أو تُحْجمُ
إن الخلـودَ لمـن يَطيقُ مُيَسَّـرٌ فليمض طلابُ الخلـودِ ويُقْدِمُوا
وطـنٌ يُقَسَّـمُ للدخيـلِ هدية فعـلامَ يَحْجُمُ بعد هـذا مُحْجمُ؟
الشـرقُ يا لَلشّـرقِ تلك دمَاؤُه والغربُ يا لَلغـرب يُضْريه الدَّمُ[2]
الشرقُ ويحَ الشرقِ كيفَ تَقَحّمُوا حرماته الكُبْرى وكيـفَ تهجَّمُوا
غرتُهمُو سـنَةُ الكَـرى فتوهَّمُوا يـا للذكاء! فكيفَ قـد غَرَّتْهُمُو؟
سـنَةٌ ومـرت والنيـامُ تيقظُوا فليعلمُوا مَنْ نَحـنُ أو لا يَعْلَمُوا!
اليـومَ فَلْيَلغُوا الدّمـاءَ وفي غد فَلْيَنْدَمُـوا عَنهـا ولاتَ المَنْدَمُ[3]

* * *

أبطـالَ الاسـتقلالِ تلـك تحيةٌ مِنْ مصـرَ يبعثُهـا فـؤادٌ مُفْعَمُ
إخوانُنـا في الحـالِ والعُقْبى معاً إخوانُنـا فيمـا يَلَـذُّ ويُؤْلِـمُ
مصُـر الفتاة ومـا تَـزالُ فَتيةً تَهْفُـو إليكُـم بالقلـوبِ وتَعْظُمُ
في كلِّ مُطّلـعٍ وكُلِّ ثَنيّـة نارٌ من الشـرقِ الفتيِّ سَـتُضْرَمُ

* * *

---

* نشرت في ١٩٣١ بمناسبة ثورة فلسطين وحوادثها الدموية.

١- تعتبط: من عبطه الموت أي مات شابا صحيحا.

٢- يضريه: يجعله من الضواري .

٣- فليلغوا: من ولغ يلغ: شرب الدماء دون ارتواء. لات الندم: ليستالساعة ساعة اليوم.

مأساة البداري*

ليس في مصر من لا يذكر هذه المأساة الوحشية التي مثلها مأمور البداري المقتول مع أهالي البداري عامة؛ وسجين البداري خاصة، وذلك الموقف العجيب الذي وقفته منها وزارة العهد المظلم البائد، وقد حالت قيود ذلك العهد البغيض دون نشر هذه المقطوعة وسواها.

ما ذلك، العِرْضُ الشريفُ يُثْلَمُ؟ ويَسيل منْ حَنَق حَواليه الدَّمُ؟
ومن الذي سَام النفوسَ مَهانةً يَأبَى ويأنَفُها الذلُولُ الأعْجَمُ؟[1]
من كلِّ ما عَوْرَاء تُكْشَفُ جَهْرَةً ويُهانُ منها ما يُصانُ ويُكْرَمُ
وكرامَة يَشْتطُّ في تحقيرها نَذْلٌ حقيرُ القلب لا يَتأثَّمُ
في أيِّما بلد نعيشُ؟ وأيَما عهد يَمرُّ على الكنانة مُظْلمُ؟[2]
عهدٌ نُسَامُ الخَسْفَ فيه ونُبْتَلى نقَماً إذا قُمْنا نَضجُّ ونَنْقمُ
وَحْشيَّةٌ كَشَفَ الزَّمانُ حجَابَها لا بَلْ أشَدُّ من الوحُوشِ وأظْلمُ
الوحشُ يَضْلُ جَائعاً ويَعفُّ عن فتَكاته إذ ما يَعَبُّ ويَطْعَمْ

* * *

يا أيُّها الرُّفَقَاءُ بالحيوان لا تَنْسَوْا أنَاسيًّا تَئنُّ وتألَمُ
في مصَر قد تَلْقَى الكلابُ رِعَايةً بينَا يُحَقَّرُ شَعْبُها ويُحَطَّمُ!
في مِصَر لا يَلْقَى المسيءُ جَزَاءَه لا بلْ يُكَافَأ دونَه ويُكَرَّمُ
في مِصر ما لا يَحْفَظُ التاريخُ من فُحْش يَعجُّ بِها وفُحْش يُكْتَم
في مِصَر! لو في مِصْر بعضُ كرامة غَضبَتْ وفارَ على جوانبِها الدَّمُ!

* * *

ماذَا يَعِزُّ على الهوان نَصونُه؟ لم يبقَ من حُرماتنا ما نُكْرِمُ!
الموتُ! يَا للموت! أشرفُ شِرْعة مِمَّا نُسَامُ به ومِمَّا نُوسَمُ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٢.
١- الذلول الأعجم: الحيوان.
٢- نعت مقطوع مرفوع في موضع الذم.

صوت الوطنية*

بمناسبة موافقة وزارة وبرلمان صدقي على مشروع خزان جبل الأولياء.

ضجّتْ الدُّنيا فماذَا تَرْتَقِبْ ... مِصرُ من أهوالِها حتى تَثِبْ؟
ضجّتْ الدنيا من الهولِ الذي ... تركَ الدنيا جميعاً تَضطربْ
فَارَ ماءُ النيلِ أو صَارَ إلى ... حُمَمٍ أو نِقْمَةٍ مِنْه تُصَبْ
وأرى مِصرَ تُعاني سَكْرةً ... وإذا تصحُو تولتْ تَنْتَحِبْ؟
مِصر. يا مصرُ. وما يُجْدِي البُكا ... غضبةٌ يا مصرُ كالليثِ وَثَبْ
غضبةٌ يا مصرُ. أو. لا. فادْرُجِي ... في قيودِ الذلّ وارضَيْ بالحَرَبْ

* * *

أفهذِي مِصرُ أم ماذا أرى؟ ... أمةٌ أُخرى وشعبٌ مُنْقلِبْ
أم تُرى الأيامُ دارتْ دورةً ... فإذا الأسْدُ شِياهٌ تُحْتَلَبْ؟
ما عَهِدْنا مِصرَ تُمطِي ظَهْرَها ... كَذلُولِ النُّوقِ مَنْ شَاءَ رَكِبْ!
المَطَايا حِينَ تَخْشَى حَتْفَهَا ... تُعطِبُ السَّائِقَ من دونِ العَطَبْ!

* * *

مِصْرُ لَمّا غَضِبَتْ غَضْبَتَها ... لَمْ يَرُعْها الغربُ لما أنْ غضِبَ
أرسلَتْها صَيحةً داويةً ... كهزيمِ الرعدِ جَيّاشَ اللَّجُبْ[1]

---

* نشرت عام ١٩٣٢.

١- جياش اللجب: مرتفع الضجيج.

أنصتَ الغربُ لها واستمعتْ أُذُنُ العَالمِ مِنْ خَلْفِ الحُجُبْ
وأحسّ الظُّلْمُ مِنْها رِعْدَةً تتمشى فِيه كالرُّعْبِ يَدُبْ
لم تَرُعْنا هَجْمَةً مِنْه على رُسُلِ الحقِ غَشُوماً يَحْتَطِبْ
سالتْ الأنفسُ فيها فارتوتْ تربةُ المجد بها بعد الجَدَبْ
وَوَعاها الدهرُ في آثاره جَذْوةً حمراءَ في رَأْسِ الحِقَبْ

* * *

هذه يا مِصرُ ذِكْرى فاذكُري ما تولّى وادأبي خيرَ الدّأبْ
أرجِعي الكَرّةَ لا هَيّابَةً واغلبي بالعزمِ أشتاتَ النُّوَبْ

* * *

المهرجان*

مَـــا هُتــافٌ ثَـــمَّ في كلِّ مـــكانْ   ما دُعـــاءٌ ثَـــمَّ في كلِّ لســـانْ؟
مـــا نَشــيدٌ تسْــكُبُ الدنيـــا به   أعذبَ الألحانِ في سَـــمْعِ الزمانْ؟
ما شـــعورٌ فَـــاضَ كالوحْـــيَ هَفَا   فهفَا الشـــعرُ علـــى كلِّ جنانْ؟
مـــا ابتهـــاجٌ وسُـــرورٌ ورِضَـــا   وانطـــلاقٌ في التمنّـــي والأمانْ؟
مِهْرَجـــانُ العـــرشِ والشـــعبِ مَعاً   عـــاشَ فـــاروقٌ، ودام المِهْرَجانْ

* * *

قَـــال لي الدهـــرُ – وقَـــدْ راودتُه   عَـــن خَفَايـــاهُ فأفْشَـــى وأبانْ:
ليـــس كاليـــوم جَمـــالاً وسَـــنَىً   منـــذُ مـــا كان زمـــانٌ ومـــكانْ
ليـــس كاليـــومِ ابتهاجـــاً ومُـــنى   منـــذُ مـــا كانَ ابتـــداعٌ وافتنانْ
غـــيرُ يومـــين وإنّـــى حَافِـــظٌ   في ســـجلّى كلَّ مـــا كان وبـــانْ
يـــومُ ميـــلادٍ وفي يـــوم ارتقـــى   عرشَـــه السّـــامي فأعـــلاه وزَانْ
ثم هـــذا اليـــومُ يـــومُ المِهْرَجـــان   عـــاشَ فـــاروقٌ ودَام المِهْرَجانْ!
أنـــتَ يـــا فـــاروقُ خـــيرٌ خَالصٌ   بيتما الخـــيرُ مشـــوُبٌ في الزمانْ
مـــن ضميرِ الشـــعبِ مِـــنْ يقظته   مِنْ مناهُ مِـــنْ أغانيه الحِسَـــانْ
صاغـــكَ اللهُ ســـناًءً وســـنَى   صَانَـــك اللهُ وأعطـــاكَ الأمانْ!!
صَانَـــكَ اللهُ. فَإنّـــا أُمّـــةٌ   تَقْـــدرُ المُحْســـنَ في غـــير امتنانْ
كلّ يـــوم أنـــت فيـــه مِهرجـــان   عاش فـــاروقٌ، ودام المهرجانْ!!

* * *

* نشرت عام ١٩٣٨م

أنـــت في مِصـــر قُـــوىً كامنـــةٌ منذ كانت مصرُ شـــعباً ذا كيانْ
يُســـلِمُ الجيـــلُ إلى تَابعـــهِ هـــذه القـــوةَ تَذْكُـــو وتُصـــانْ
والليـــالي مُرهِصَـــاتٌ والدُّنـــا تَرْقُـــبُ الميـــلادَ آنا بعـــدَ آنْ[1]
ثُمَّ شَـــبَّ الشَّـــعْبُ في نهضتـــه ناضـــجَ الفِكْرَةِ مشـــبوبَ الجَنَانْ
فـــإذا فـــاروقُ في طَلْعَتِـــه هتفُ البشـــرى على كلِّ لِســـانْ
ثم كان اليـــومُ يـــومَ المِهرجـــان عـــاش فـــاروقٌ، ودام المِهْرَجانْ!

* * *

أنـــت صِنْـــوُ الشـــعبِ في تاريخه كنـــتَ منه في الأمانِـــي يومَ كانْ
قـــد تَوَافَى مَولِدُ النهضـــةِ والمَولِدُ الضَّاحِـــى، فوافت بُشْـــرَيانْ[2]
حِكْمـــةٌ هَـــذا التَّوافِـــي عَجَـــبٌ شَـــاءها الله فجـــاءتْ في الأوانْ
ثم وَافي اليـــومُ، يـــومُ المهرجـــان عـــاشَ فـــاروقٌ، ودام المهرجانْ

* * *

يـــا صديقَ الشـــعْب قُـــدْ نهْضتَه في ســـباقِ الكونِ يَظْفَـــرْ بالرهانْ
ولـــه مِنـــك شـــبابٌ طَامِـــحٌ يبعـــثُ الجَـــرأةَ في قَلـــبِ الجَبانْ
كلُّ قلـــبٍ حـــينَ تدعُـــو هاتفٌ: إيـــه لبيـــكَ، إلى شَـــطِّ الأمـــانْ
إيـــه لبيـــكَ، وفيـــه نَشْـــوةٌ وله مِنْ وَجْهِكَ السَّـــمْحِ ضَمانْ

١- مرهصات: من أرهَصَ الشيء: أثبته وأسسه.
٢- توافى جاءا بعضهما مع بعض.

إيـــه لبيـــكَ، وقـــد طَهّـــره حُبُّـــك السَّـــامِي وروّاه الحَنَـــانْ
كلُّ قلـــبٍ خافـــقٌ بِالمهرجـــان عـــاشَ فـــاروقٌ، ودامَ المِهرجانْ

* * *

شَعْشَـــعْ النَّغْمـــة في قِيثَارتِـــي وحيُـــك العَذْبُ فجـــوَّدتُ البيانْ
وجَـــرى الشّـــعْر وفي نَكْهَتِـــهِ من معانيك شـــذَى عَرْفَ الجِنَانْ
فأنـــا الشَّـــادِي وفي رُوحي هوىً عَبْقَـــرِيٌّ الوَحِي ذَاكِـــي الافتنانْ
وأنـــا الشـــاعرُ آفاقـــي سَـــمَتْ فَسَـــمَا مِنّـــى بيـــانٌ ومَعَـــانْ
وأنـــا الغريـــدُ يـــومَ المِهرجـــان عـــاشَ فـــاروقٌ، ودامَ المِهْرَجَانْ

* * *



أخي إنْ نمُتْ نلْقَ أحْبابنَا

فروْضاتُ ربي أُعدّتْ لَنَا

وأطيارُها رفرفتْ حَوْلَنا فطوبى

لنا في ديار الخُلودِ

سيد قطب

هبل.. هبل*

هُبَلٌ... هُبَلْ رَمْزُ السّخافَةِ والدَّجَل
مِنْ بَعْدِ ما اندَثَرَتْ على أيدي الأباة
عادَتْ إلينا اليَوْمَ في ثَوْبِ الطُّغاة
تتنشّق البحور تحرقُهُ أساطير النّفاق
مَنْ قُيِّدَتْ بالأسْرِ في قَيْدِ الخَنا والارْتِزاق[1]
وَثَنٌ يقودُ جُموعَهُمْ... يا لَلْخَجلِ
* * *

هُبَلٌ... هُبَلْ
رمزُ السَّخافَةِ والجَهالةِ والدَّجَل
لا تَسْألَنْ يا صاحبي تلك الجُموع
لِمَن التَّعَبُّدُ والمثوبَةُ والخُضوع(٣)
دَعْها فما هي غيرُ خِرْفان... القطيع
معبودُها صَنَمٌ يَراهُ... العَمُّ سام
وتكَفَّلَ الدُّولارُ كي يُضْفي عَلَيْهِ الاحتِرام
وَسَعى القطيعُ غبَاوَةً... يا لَلْبَطَل
* * *

---

* من مجموعة شعرية قيلت بعد ثورة تموز (يوليو) عام ١٩٥٢صدرت في عمان تحت عنوان (لحن الكفاح)، ونقلها أحمد عبد اللطيف الجدع، وحسني أدهم جرار في كتابهما (شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث)٤/٤١ هُبَلّ: صنم كان بالكعبة ، وهو رمز لكل طاغية.

١- الخنا: الفحش في الكلام.

هُبَلٌ... هُبَلْ
رمزُ الخيانَة والجهالَة والسّخافَة والدَّجَل
هُتَّافَةُ التَّهريج ما ملُّوا الثَّناء
زعموا لَهُ ما ليس... عنْدَ الأنبياء
مَلكٌ تَجَلْبَبَ بالضيّاء وجاء من كَبِد السَّماء
هو فاتحٌ... هُوَ عَبْقَرِيٌ مُلْهَمُ
هو مُرْسَلٌ... هو عالِمٌ ومُعَلِّمُ
ومن الجهالَة ما قَتَلْ
* * *

هُبَلٌ... هُبَلْ
رمزُ الخيانَة والعَمالَة والدَّجَل
صيغَتْ له الأمجادُ زائفَةً فَصَدّقَها الغبي
واسْتَنْكَرَ الكَذِبَ الصُّراحَ وَرَدَّهُ الحُرُّ الأبي
لكنّما الأحرار في هذا الزَّمان هُمُ القليل
فليَدْخُلوا السّجْنَ الرَّهيبَ ويَصْبِروا الصَّبْرَ الجَميل
وَلْيَشْهَدوا أقْسَى روايَةْ... فَلكُلِّ طاغية نهايَةْ
وَلكُلِّ مَخْلُوقٍ أجَلْ... هُبْلٌ... هُبَلْ هُبَلٌ... هُبَلْ
* * *

أخي*

أخي أنــتَ حُرٌ وراء السُّــدود   أخي أنــتَ حُــرٌ بتلــكَ القُيودْ
إذا كُنْــتَ بــالله مُســتعصماً   فمــاذا يَضــيرُكَ كيــدُ العبيــد

* * *

أخــي سَــتبيدُ[٢٦] جُيــوشُ الظّلام   وَيُشــرِقُ في الكَــوْنِ فجرٌ جديد
فَأطلِــقْ لِرُوحِــكَ إشــراقَهَا   تَــرى الفَجْــرَ يرمُقُنا مــن بعيد

* * *

أخي قــد أصابَــكَ ســهمٌ ذليل   وغَــدْراً رَمــاكَ ذِراعُ كَلِيــل
سَــتُبْتَرُ يَوْمــاً فَصَبْــرٌ جميــل   ولم يَــدْمَ بعــدُ عريــنُ الأســود

* * *

أخي قد سَرَتْ من يَديْكَ الدِّماء   أَبَــتْ أن تُشَــلَّ بِقَيْــدِ الإمــاء
سَــتَرْفَعُ قُرباهــا... للسَّــماء   مُخَضَّبــةً   بوســامِ   الخُلــود

* * *

أخي هل تُــراكَ سَــئِمْتَ الكِفاحِ   وأَلْقَيْــتَ عن كاهِلَيْكَ السَــلاح
فَمَنْ للضّحايا يواســي... الجِراح   ويرفــعُ رايتهــا مِــن جديــد

* * *

---

* الكفاح الإسلامي الأردني-العدد ٢٩- الصادر في ٢٨/١٢/١٣٧٦هـ الموافق ٢٦/٧/١٩٥٧

أخـــي هل سمعـــتَ أنـــينَ التُّراب   تَـــدُكُّ حَصـــاهُ جيـــوشُ الخَراب
تُمَـــزِّقُ أحشـــاءه بالحِـــرابِ   وتَصْفَعُـــهُ وهـــوَ صلـــبٌ عنيد

* * *

أخـــي إنني اليـــومَ صَلـــبُ المِراس   أدُكُّ صُخـــورَ الجبـــال الـــرَّواس
غَـــداً سأشـــيحُ بفـــأس الخَلاصِ   رؤوس الأفاعـــي إلى أنْ تبيـــد

* * *

أخـــي إنْ ذَرَفْـــتَ علـــيّ الدُّموع   وَبَلَّلْـــتَ قَبري بها في خُشـــوع
فَأوْقِـــدْ لَهُمْ من رُفاتي الشُّـــموع   وســـيروا بها نحـــو مَجْـــدٍ تليد

* * *

أخـــي إن نَمُـــتْ نَلْـــقَ أحبابَنـــا   فَرَوْضـــاتُ ربيّ أُعِـــدَّت لَنـــا
وأطْيارُهـــا رَفرَفَـــتْ حَوْلَنـــا   فَطـــوبى لنـــا في ديـــارِ الخُلـــود

* * *

أخـــي إنّني مـــا سَـــئِمْتُ الكِفاح   ولا أنـــا ألقَيْـــتُ عني السّـــلاح
وإن طَوّقَتْـــني جُيـــوشُ الظّـــلام   فَإنّـــى علـــى ثِقَـــةٍ... بالصبّاح

* * *

وإنَـــي علـــى ثِقَـــةٍ مِـــنْ طريقي   إلى الله رَبّ السّـــنا والشـــروق
فـــإنْ عافَـــني السّـــوْقُ أوْ عَقَّـــني   فـــإني أمـــينٌ لعهـــدي الوثيـــق

* * *

أخــي أخَــذُوكَ علــى إثْرِنــا وَفَــوْجٌ علــى إثْرِ فــوجٍ جَديد
فــإنْ أنــا مُــتُّ فإنّــي شــهيد وأنَتْ سَــتَمْضِي بنصــرٍ جديد

* * *

قَــدِ اختارَنــا اللهُ في دعوتِــه وإنّــا ســنمضِي علــى سُــنّتِه
فَمنّــا الذيــن قَضَــوْا نَحْبَهُــم ومنّــا الحفيــظُ علــى ذِمَّتِــه

* * *

أخــي فَامْــضِ لا تَلْتَفِــتْ للوراء طريقُــكَ قــد خَضبَّتْــهُ الدّماء
ولا تَلْتَفِــتْ هَهنــا أو هُنــاك ولا تَتَطَلَّــعْ لغــيرِ السَّــماء

* * *

فلســنا بطــيرٍ مَهيــض الجَنَــاح ولــن نُسْــتَذَلَّ ولن نُسْــتَباح
وإنّــي لأسْــمَعُ صــوتَ الدّماء قَويًّــا يُنــادي الكِفَــاحَ الكِفَاح

* * *

سَــأثْأرُ لكــنْ لِــرَبٍّ وديــن وأمْضــي علــى سُــنّتي في يَقين
فإمّــا إلى النّصــرِ فَــوْقَ الأنَــام وإمَــا إلى اللهِ في الخالديــنْ

* * *

ترجمة سيد قطب

ولد سيد قطب لأسرة شريفة في مجتمع قروي (صعيدي) في يوم ٩/١٠/١٩٠٦م بقرية موشا بمحافظة أسيوط، وهو الابن الأول لأمه بعد أخت تكبره بثلاث سنوات وأخ من أبيه غير شقيق يكبره بجيل كامل. وكانت أمه تعامله معاملة خاصة وتزوده بالنضوج والوعي حتى يحقق لها أملها في أن يكون متعلمًا مثل أخواله

كما كان أبوه راشدًا عاقلاً وعضوًا في لجنة الحزب الوطني وعميدًا لعائلته التي كانت ظاهرة الامتياز في القرية، واتصف بالوقار وحياة القلب، يضاف إلى ذلك أنه كان دَيِّنًا في سلوكه.

ولما كتب سيد قطب إهداء عن أبيه في كتابه (مشاهد القيامة في القرآن) قال: «لقد طبعتَ فيّ وأنا طفل صغير مخافة اليوم الآخر، ولم تعظني أو تزجرني، ولكنك كنت تعيش أمامي، واليوم الآخر ذكراه في ضميرك وعلى لسانك.. وإن صورتك المطبوعة في مُخيلتي ونحن نفرغ كل مساء من طعام العشاء، فتقرأ الفاتحة وتتوجه بها إلى روح أبيك في الدار الآخرة، ونحن أطفالك الصغار نتمتم مثلك بآيات منها متفرقات قبل أن نجيد حفظها كاملات».

وعندما خرج إلى المدرسة ظهرت صفة جديدة إلى جانب الثقة بالذات من أمه والمشاعر النبيلة من أبيه وكانت الإرادة القوية، ومن شواهدها حفظه القرآن الكريم كاملاً بدافع من نفسه في سن العاشرة؛

لأنه تعود ألا يفاخره أبناء الكتاتيب بعد إشاعة بأن المدرسة لم تعد تهتم بتحفيظ القرآن.

وفي فورة الإحساس والثقة بالنفس كان لظروف النضال السياسي والاجتماعي الممهدة لثورة ١٩١٩ أثر في تشبعه بحب الوطن، كما تأثر من الثورة بالإحساس بالاستقلال وحرية الإرادة، وكانت دارهم ندوة للرأي، شارك سيد قطب فيها بقراءة جريدة الحزب الوطني، ثم انتهى به الأمر إلى كتابة الخطب والأشعار وإلقائها على الناس في المجامع والمساجد.

الاستقرار في القاهرة

ذهب سيد قطب إلى القاهرة في سن الرابعة عشرة وضمن له القدر الإقامة عند أسرة واعية وجهته إلى التعليم وهي أسرة خاله الذي يعمل بالتدريس والصحافة، وكان لدى الفتى حرص شديد على التعلم

إلا أنه في القاهرة واجه عقبات محصته تمحيصًا شديدًا جعلته يخرج من الحياة برؤية محددة قضى نحبه —فيما بعد– من أجلها.

والتحق سيد قطب أولاً بإحدى مدارس المعلمين الأولية —مدرسة عبد العزيز– ولم يكد ينتهي من الدراسة بها حتى بلغت أحوال الأسرة درجة من السوء جعلته يتحمل المسئولية قبل أوانه، وتحولت مهمته إلى إنقاذ الأسرة من الضياع بدلاً من استعادة الثروة وإعادة المجد.

واضطر إلى العمل مدرسًا ابتدائيًا حتى يستعين بمرتبه في استكمال دراسته العليا من غير رعاية من أحد اللهم إلا نفسه وموروثاته القديمة. وكان هذا التغير سببًا في الاحتكاك المباشر بالمجتمع الذي كان لا بد له من أسلوب تعامل يختلف عن أسلوب القرويين وتجربتهم.

فالمجتمع الجديد الذي عاش فيه انقلبت فيه موازين الحياة في المدينة السليمة، وبدت في القاهرة سوءات الاحتلال الأجنبي ومفاسد السياسة؛ حيث سادت عوامل التمزق الطبقي والصراع الحزبي وغدت المنفعة وما يتبعها من الرياء والنفاق والمحسوبية هي الروح التي تسري، ويصف عبد الرحمن الرافعي هذا المجتمع بأنه :«مجتمع انهارت فيه الثقافة العربية أمام الثقافة الغربية التي تؤمن بالغرب حتى بلغت في بعض الأحيان حد التطرف في الإيمان بالغرب وبمبادئه إيمانًا مطلقًا». فكيف يواجهها هذا الشاب الناشئ المحافظ الطموح؟

كانت صلته بهذا المجتمع صلة تعليم، ثم أصبح الآن مشاركًا فيه، وعليه أن يختار ما بين السكون والعزلة، وبالتالي عدم إكمال تعليمه أو الحركة والنشاط، واختار سيد قطب المواجهة مع ما ينبت معها من عناصر الإصرار والتحدي وعدم الرضا بهذا الواقع المؤلم.

ارتحال فكري

واختار سيد قطب حزب الوفد ليستأنس بقيادته في المواجهة، وكان يضم وقتذاك عباس محمود العقاد وزملاءه من كتاب الوفد، وارتفعت الصلة بينه وبين العقاد إلى درجة عالية من الإعجاب لما في أسلوب العقاد من قوة التفكير ودقة التغيير والروح الجديدة الناتجة عن الاتصال بالأدب الغربي.

ثم بلغ سيد قطب نهاية الشوط وتخرج في دار العلوم ١٩٣٣ وعين موظفًا –كما أمل وأملت أمه معه– غير أن مرتبه كان ستة جنيهات ولم يرجع بذلك للأسرة ما فقدته من مركز ومال؛ فهو مدرس مغمور لا يكاد يكفي مرتبه إلى جانب ما تدره عليه مقالاته الصحفية القيام بأعباء الأسرة بالكامل.

وهذه الظروف التي حرمته من نعيم أسلافه منحته موهبة أدبية إلا أن الأساتذة من الأدباء -كما يصفهم- كانوا: «لم يروا إلا أنفسهم وأشخاصهم فلم يعد لديهم وقت للمريدين والتلاميذ، ولم تكن في أرواحهم نسمة تسع المريدين والتلاميذ» كل هذا أدى إلى اضطرابه وإحساسه بالضياع إلى درجة -وصفها الأستاذ أبو الحسن الندوي في كتابه «مذكرات سائح من الشرق» انقطعت عندها كل صلة بينه وبين نشأته الأولى وتبخرت ثقافته الدينية الضئيلة وعقيدته الإسلامية» ولكن دون أن يندفع إلى الإلحاد، وكان دور العقاد حاسمًا في ذلك.

وانتقل سيد قطب إلى وزارة المعارف في مطلع الأربعينيات، ثم عمل مفتشًا بالتعليم الابتدائي في عام ١٩٤٤ وبعدها عاد إلى الوزارة مرة أخرى، وفي تلك الفترة كانت خطواته في النقد الأدبي قد اتسعت وتميزت وظهر له كتابان هما: «كتب وشخصيات»، «والنقد الأدبي - أصوله ومناهجه».

وبعد ميدان النقد سلك سيد قطب مسلكًا آخر بعيدًا: بكتابه «التصوير الفني في القرآن» الذي لاقى مقابلة طيبة من الأوساط الأدبية والعلمية فكتب: «مشاهد القيامة في القرآن» ووعد بإخراج: «القصة بين التوراة والقرآن» و»النماذج الإنسانية في القرآن»، و»المنطق الوجداني في القرآن»، و»أساليب العرض الفني في القرآن»، ولكن لم يظهر منها شيء.

وأوقعته دراسة النص القرآني على غذاء روحي لنفسه التي لم تزل متطلعة إلى الروح. وهذا المجال الروحي شده إلى كتابة الدراسات القرآنية فكتب مقالاً بعنوان «العدالة الاجتماعية بمنظور إسلامي» في عام ١٩٤٤.

الرحلة إلى أمريكا

وجد سيد قطب ضالته في الدراسات الاجتماعية والقرآنية التي اتجه إليها بعد فترة الضياع الفكري والصراع النفسي بين التيارات الثقافية الغربية، ويصف قطب هذه الحالة بأنها اعترت معظم أبناء الوطن نتيجة للغزو الأوروبي المطلق.

ولكن المرور بها مكنه من رفض النظريات الاجتماعية الغربية، بل إنه رفض أن يستمد التصور الإسلامي المتكامل عن الألوهية والكون والحياة والإنسان من ابن سينا وابن رشد والفارابي وغيرهم لأن فلسفتهم — في رأيه — ظلال للفلسفة الإغريقية.

فكان من المنتظر حين يوم ١٩٤٨/١١/٣ في بعثة علمية من وزارة المعارف للتخصص في التربية وأصول المناهج ألا تبهره الحضارة الأمريكية المادية ووجدها خلوا من أي مذهب أو قيم جديدة، وفي مجلة الرسالة كتب سيد قطب مقالا في عام ١٩٥١ بعنوان: «أمريكا التي رأيت» يصف فيها هذا البلد بأنه: «شعب يبلغ في عالم العلم والعمل قمة النمو والارتقاء، بينما هو في عالم الشعور والسلوك بدائي لم يفارق مدارج البشرية الأولى، بل أقل من بدائي في بعض نواحي الشعور والسلوك».

المصلح والأديب

امتلك سيد قطب موهبة أدبية قامت على أساس نظري وإصرار قوي على تنميتها بالبحث الدائم والتحصيل المستمر حتى مكنته من التعبير عن ذاته وعن عقيدته يقول: «إن السر العجيب — في قوة التعبير

وحيويته — ليس في بريق الكلمات وموسيقى العبارات، وإنما هو كامن في قوة الإيمان بمدلول الكلمات وما وراء المدلول، وإن في ذلك التصميم الحاسم على تحويل الكلمة المكتوبة إلى حركة حية، المعنى المفهوم إلى واقع ملموس».

وكان سيد قطب موسوعيًا يكتب في مجالات عديدة إلا أن الجانب الاجتماعي استأثر بنصيب وافر من جملة كتاباته، وشغلته المسألة الاجتماعية حتى أصبحت في نظره واجبًا إسلاميًا تفرضه المسئولية الإسلامية والإنسانية، وهذا يفسر قلة إنتاجه في القصة التي لم يكثر فيها بسبب انشغاله بالدراسات النقدية ومن بعدها بالدراسات والبحوث الإسلامية.

وطوال مسيرته ضرب سيد قطب مثل الأديب الذي غرس فيه الطموح والاعتداد بالنفس، وتسلح بقوة الإرادة والصبر والعمل الدائب؛ كي يحقق ذاته وأمله، اتصل بالعقاد ليستفيد منه في وعي واتزان، ولم تفتنه الحضارة الغربية من إدراك ما فيها من خير وشر، بل منحته فرصة ليقارن بينها وبين حضارة الفكر الإسلامي، وجمع بينه وبين حزب الوفد حب مصر ومشاعر الوطنية، وجمع بينه وبين العمل الإسلامي حب الشريعة وتحقيق العدالة الاجتماعية وبناء مجتمع إسلامي متكامل. واستطاع بكلمته الصادقة أن يؤثر في كثير من الرجال والشباب التفوا حوله رغم كل العقبات والأخطار التي أحاطت بهم، وأصبح من الأدباء القلائل الذين قدموا حياتهم في سبيل الدعوة التي آمنوا بها.

العودة والرحيل

عاد سيد قطب من أمريكا في ٢٣ أغسطس ١٩٥٠ ليعمل بمكتب وزير المعارف إلا أنه تم نقله أكثر من مرة حتى قدم استقالته في ١٨ أكتوبر ١٩٥٢، ومنذ عودته بدأ يؤكد توجهه الإسلامي.

خاض تجربة العمل الإسلامي السياسي إلى أن استشهد فجر الإثنين ١٣ جمادى الأولى ١٣٨٦ هـ الموافق ٢٩ أغسطس ١٩٦٦.

كتب سيد قطب

١ - مهمة الشاعر في الحياة، وشعر الجيل الحاضر. (نقد).

٢ - الشاطئ المجهول (شعر)

٣ - نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر (نقد).

٤ - التصوير الفني في القرآن (نقد).

الفهرس